

مَقِيقَةُ نَظَامِ الدَّوْلَةِ رَاعِشٌ

سُرُّ

بَكَارِمٍ

أَمْرَاءٍ وَفَادِهِ السَّطِيمِ

مَقِيقَةُ نَظَامِ الدَّوْلَةِ رَاعِشٌ

سُرُّ

بَكَارِمٍ

أَمْرَاءٍ وَفَادِهِ السَّطِيمِ

حَقِيقَةُ نَظَامِ الدَّوْلَةِ رَاعِشٌ

سُرُّ بَكَارِمٍ أَمْرَاءٍ وَفَادِهِ السَّطِيمِ

نَقْدُّمُ الْمُشَائِخَ الْفَضَّلَاءَ
حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ الْبَنَى
أَبِي يُوسُفِ عَادِلِ السَّيِّدِ
مُحَمَّدُ دَبْنَ رَمَانِ الْمَهَاجِرِيِّ
أَبِي حَسَنِ عَلَىِ الْإِرْمَانِ الْأَرْدُنِيِّ

تَأْلِيفُ
أَبِي سَفيَّانِ عَمَرِ رَاهِمَ سَارِاتِ الشَّيخِ
أَبِي زَيَادِ مُحَمَّدِ يَعْقُوبِ التَّونِيِّ

دارُ الْمَنْهَاجِ لِلذِّلِّيَّةِ التَّوْزِيعِ

مَقِيقَةُ نَظَامِ الدَّوْلَةِ رَاعِشٌ

مُهَمَّدُ أَمَّادَةَ رَمَانِ وَمُحَمَّدُ يَعْقُوبَ الْمَهَاجِرِيِّ

دارُ الْمَنْهَاجِ لِلذِّلِّيَّةِ التَّوْزِيعِ

حَقِيقَةُ نَظَامِ الدَّوْلَةِ رَاعِشٌ

سُرُّ بَكَارِمٍ أَمْرَاءٍ وَفَادِهِ السَّطِيمِ

لِقَدْمِ الْمُشَائِخِ الْفَضَّلَاءِ
حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَانِ الْبَنَى
أَبِي يُوسُفِ عَادِلِ السَّيِّدِ
مُحَمَّدُ دَبْنَ رَمَانِ الْمَهَاجِرِيِّ
أَبِي حَسَنِ عَلَىِ الْإِرْمَانِ الْأَرْدُنِيِّ

تَأْلِيفُ
أَبِي سَفيَّانِ عَمَرِ رَاهِمَ سَارِاتِ الشَّيخِ
أَبِي زَيَادِ مُحَمَّدِ يَعْقُوبِ التَّونِيِّ

دارُ الْمَنْهَاجِ لِلذِّلِّيَّةِ التَّوْزِيعِ

دارُ الْمَنْهَاجِ لِلذِّلِّيَّةِ التَّوْزِيعِ

العنوان: جي 18 فيفي 19 هبران رقم 23 - قالمص - الجزائر

الهاتف والفاكس: 0021337106220 - 00213553036143

البريد الإلكتروني: Dar.almanhadj@gmail.com

ISBN 978-9931-649-02-1



9 789931 649021

حَقِيقَةُ نَظِيمِ الدَّوْلَةِ
رَاعِشٌ
مُؤْسِعٌ بِكَلَامِ أَمْرَاءِ وَفَارِهِ الْسَّطِيمِ

حُمُورٌ لِلطَّبْعِ مُحْفَوظَةٌ

الطبعة الثانية

م 1437 هـ - 2016 م

ردمك : 978-9931-649-02-1

الإيداع القانوني : السادس الثاني : 2016

دار المنجح للنشر والتوزيع

العنوان: حي 18 فيفيري 19، بئر العبد، قم، 23، قلمة - البرازيل

الهاتف والفاكس: 0021337106220، البريد: 00213553036143

Dar.almanhadj@gmail.Com.. البريد الإلكتروني:

الطبعة الثانية مصححة ومبصرة

حَقِيقَةُ نَظِيمِ الدَّوْلَةِ
رَاشٌ
مُؤْسِسُ بَكَارِمٍ أَمْرَاءٍ وَفَارَادَةُ النَّظِيمِ

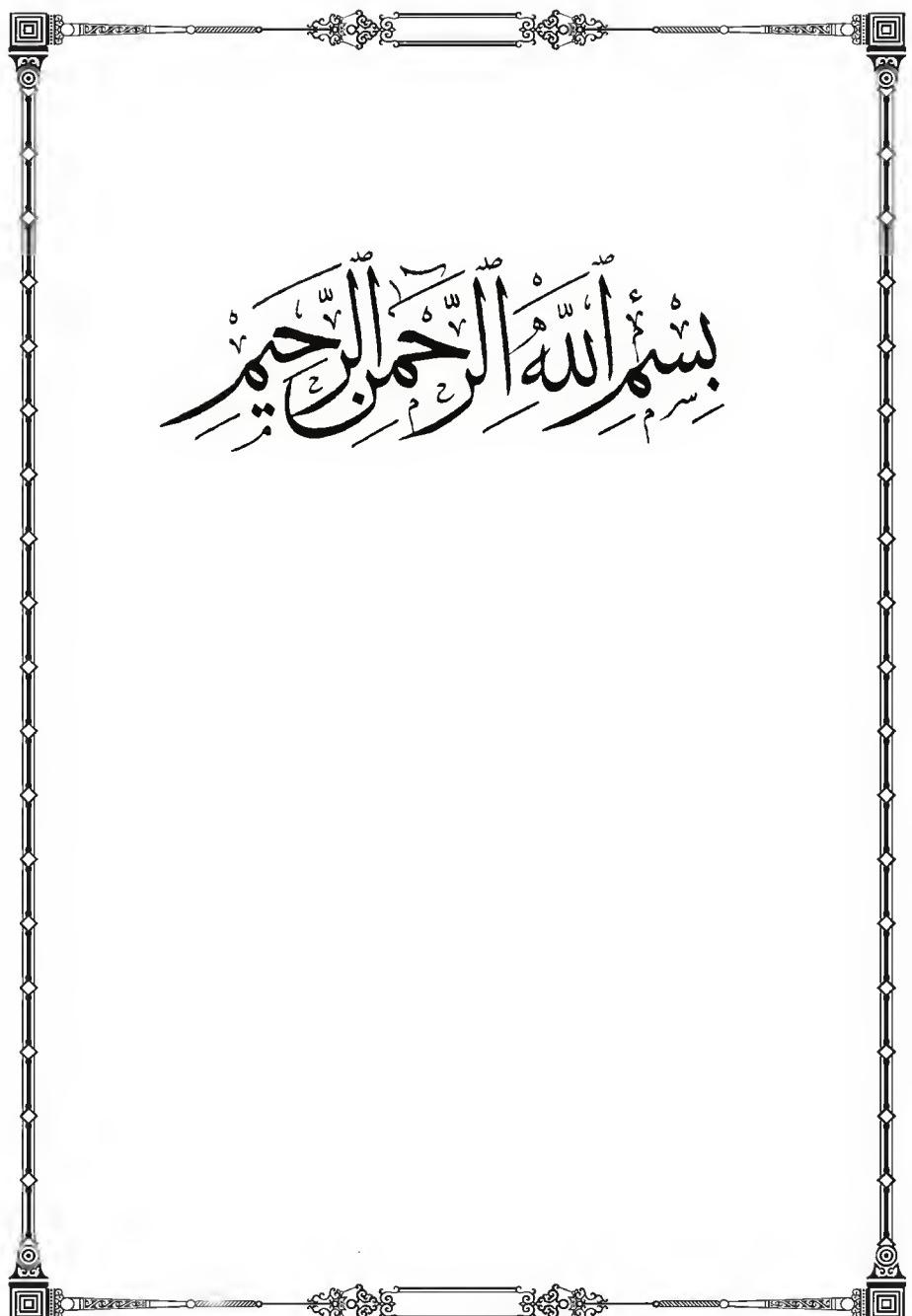
نَقْدُمُ الْمُشَيخَ الْفُضَلَاءَ

حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَنَى
أَبِي يُوسُفِ عَادِلِ السَّيِّدِ
مُحَمَّدُ بْنُ رَمَزَانَ الْمَهَاجِرِيِّ
أَبِي الْحَسَنِ عَلَىِ الرَّمَدِيِّ الْأَرْدُونِيِّ

تأليف

أَبِي سُفْيَانَ عَمَرِ وَأَحْمَدَ سَارَاتِ الشَّيْخِ
أَبِي زَيْلَادَ مُحَمَّدَ مُحَمَّدَ بَعْقُوبَ التَّوْزِينِيِّ

كِتابُ الْمُنْهَكِ لِلذِّكْرِ الْمُنْتَهَى



مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله والحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله
عليه وسلم على آله وصحبه وسلم.
أما بعد:

فهذه بفضل الله وملائكته وحوله وقوته الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي نسأل
الله عز وجل أن يكون مباركاً، وينفع به في الدارين بفضله ورحمته.
وهذه الطبعة -بحول الله- بها تناصيرات وتصحيحات وزيادات وتوضيحات،
والله من وراء القصد وهو الموفق المستعان.

المؤلفان

ليلة الأربعاء ٢٠ من ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ

الموافق ١٨ - ١ - ٢٠١٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

<p>بنهج مضينا كأسد الشرى بردي ستسقى لظى مسيرا كوقح الحسام بضرب سرى ومن دون أمت وسوف ترى قصدن اللئيم لكي يدحرا برفع الشعار نشق العرى بنهج الأباء حسامي انبرى فذوقوا وبالى ولن أكسرها فنبوا فراراً لرب يرى عقاب الكلاب شرار الورى</p>	<p>أتينا أتينا برد رمينا قريباً ستلقى ردودي وتشقى سيأتي كلامي كرمي السهام إليكم سنأتي بهدى وسمت رماحاً سهاماً تبعن الحسام بعقر الديار قتال الشرار شعار الهداة سبيل النجاة تركتم سبيلي لنهج الضلال فشلتم مراراً فذقم خساراً قييل الحساب قبيل العقاب</p>
---	--

مقدمة فضيلة الشيخ
حسن بن عبد الوهاب البنا
حفظه الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونسعفه، ونعود بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضللا فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْانِيهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٢]

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ عَنْهُ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١]. [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قُلْ لَا سَدِيدًا﴾ [٧٠] **يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب: ٧٠، ٧١].**

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار .

وأما بعد:

فقد دفع إلى الأئمان الكرييان أبو سفيان عمرو السادات، وأبو زياد النوببي هذا المصنف بعنوان «حقيقة تنظيم الدولة ... داعش».

وإن هذا المصنف الطيب فيه الدعوة الخثيثة للاهتمام من المسلمين عامة وخاصة

َفَقِيهَةُ نَظِيمِ الدَّرَلَهِ رَاعِشَ

للمسارعة الجادة ضد الفتنة الكبرى! التي ابتي بها المسلمون - وهي فتنة الخوارج، والتي لو استمرت - لا قدر الله - فستقضي على المسلمين بإهلاك الحرف والنسل؛ نعوذ بالله من ذلك.

ولابد أن نضع أمامنا أولاً قول الله تعالى مسترشدين به: ﴿وَتَذَكَّرُ الْأَمْثَالُ نَضَرِيْهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]؛ وإن لم يكن أهل السنة والجماعة الخالص هم العالمون؛ فمنهم إذن؟!

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ اءِيمَنِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يوحنا: ٩٢]؛ فالجهل بأصول الدين وفروعه - فيما هو من الدين بالضرورة - دفع الكثيرين في الغفلات؛ فصاروا من الغافلين، وهم الذين ذمهم الله تعالى في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ اءِيمَنِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [٦١] فلا يبصرون النجاة؛ فإن هذا من الأسباب الرئيسية؛ فيها وقع فيه المسلمون من هزيمة وتختلف عن ركب الحياة الكريمة، والتي وعد الله به عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْمَنَنَّكُمْ مِّنْ هُدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىٰ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ولا يخفى على كل مسلم وفقه الله لعرفة دينه الصحيح الحديث الذي ورد في صحيح الترمذى وهو قوله ﷺ: «اختلفت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، واختلفت النصارى إلى ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «الذين هم على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١).

وقال ﷺ: «الجماعـة رحـمة وـالفرقة عـذاب»^(٢)، وقال ﷺ: «...إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية والناحية»^(٣).

(١) انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤).

(٢) انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٦٦٧).

(٣) حسنة العلامة الألبانى فى «صحيح أبي داود» رقم (٥٥٦).

وإن الفرقة الناجية هم الطائفة المنصورة وهم أهل السنة والجماعة (على الحقيقة) وهم المتبعون للرسول ﷺ بفقه سلف الأمة وأو لهم الصحابة رضي الله عنهم ثم من تبعهم بإحسان؛ فهم على بصيرة من دينهم لأنهم يسترشدون بعلم وتوجيهات علماء أهل السنة.

ويجب علينا ألا نذهب بعيداً في الفتنة والشقاق؛ فقد نبه الرسول ﷺ المسلمين بذلك في حياته، وحتى تقوم الساعة، قال ﷺ: «... فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدي، عضوا عليها بالنواجد»^(١). وهذا من منطلق الحديث الصحيح بافتراق الأمة إلى ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهم الذين على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ولسائل أن يسأل: هل الرب العظيم يحب هذا التفرق، أم يكرهه، وينهى عنه؟!

والجواب: إن الله تعالى نهى عن التفرق في الدين في أكثر من آية، وفي الأحاديث الصحيحة كذلك، ولكن الله تعالى وضح ذلك بعدما قدره امتحاناً للأمة! قال تعالى:

﴿وَتَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٣٥.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يَبْيَثُنَ لَهُمْ مَا يَتَقَوَّبُنَّ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١١٥ علمه من علمه وجهمه، من جهمه والسعيد من وفقه الله تعالى.

ولنستعن بالله تعالى لبيان أمر هذه الفرق الضالة، وعلى رأسها الخوارج الذين لا يرقبون في المسلمين إلا ولا ذمة بسبب تقليدهم لأشيخهم أشياخ الضلال الذين ضلوا وأضلوا، وجادلوا بالباطل ليحضروا به الحق بسبب زيف قلوبهم واغتروا بأنفسهم فأصابهم الكبر والجرأة، والمحاربة لله تعالى ولرسوله ﷺ باسم حرية الرأي والتمرد ونزع يد الطاعة للأمراء المسلمين، ويعقوبها عوجاً حتى يصبح الناس لا سراة

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٧٦) وصححه العلامة الألبانى.

لهم؛ فيهلك بذلك الحرف والنسل!

وقد حدث التحدي والجرأة على رسول الله ﷺ من كبيرهم وقادتهم إلى فتنة المسلمين ذي الخويسرة التميمي حينما كان يقسم ﷺ الغنائم قائلاً له: «اعدل يا محمد» فقال رسول الله ﷺ: «إذا لم أعدل فمن يعدل» فهم أحد الصحابة أن يضرب عنقه فلم يأذن له الرسول ﷺ، وقال ﷺ: «يخرج من ضئضته ناس تحقرن صلاتكم إلى صلاتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد وثمود»^(١). وهم كلام النار كما ثبت في الأحاديث الصحيحة^(٢).

ولقد حذر النبي ﷺ كل التحذير من البدع والمحدثات، وجاء هذا صريحاً في خطبة الحاجة بقوله ﷺ: «... وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار»^(٣).

ومع كل هذا فإن الفرق الضالة - والتي على رأسها الخوارج والذين تخوض عنهم في هذه الأيام فرقه داعش - يعتبرون أنفسهم زوراً وبهتاناً لأنهم على الحق ويفارسون ضلالاتهم بتكفير المسلمين من غيرهم ثم قتلهم! إذا لم يرجعوا إلى عقيدة الخوارج الضالين.

ثم كانت فتنتهم وفتنته من سبقهم من الخوارج وعلى رأسهم الإخوان المسلمين، هي فتنة أولئهم؛ فيتبعون ما تشبه من القرآن؛ لأنهم لا يردون المتشابه إلى المحكم، ولا يحضرن إلى العلماء ولا يسألون عن العلم الصحيح، فضلاً عن مخالفاتهم الصرحة لتفسير القرآن في هذه الآيات لعلماء أهل السنة، وبخاصة الآيات من سورة المائدية (٤٦-٤٩)^(٤).

(١) سيأتي تخربيجه.

(٢) سيأتي تخربيجه.

(٣) سبق تخرجه.

(٤) جاء تفسير هذه الآيات في الصفحات من ٦٧٩-٦٨٤ من مختصر تفسير القرآن العظيم لمصنفه الشيخ

والخوارج قدّيماً وحديثاً أصابتهم هذه الفتنة دون علم ولا هدى ولا كتاب منير؛ لأن تأویلهم لهذه الآيات لم يقل به أحد من أهل السنة (الخلص) لا علماء، ولا طلاب علم، بل يأخذون علمهم وتفسيرهم من تفاسير أهل السنة وأقواهم وأما الخوارج فيقلدون أشيائهم؛ فإنهم هم متبعو عوهم، وليس متبعوهم رسول الله ﷺ في هذه الفتنة الخارجية، وغيرها مما وقعوا فيه، وأوقعوا فيه المسلمين فضلوا وأضلوا، وكل هذا من عمل الشيطان هذا فضلاً عن استدراجهم لضعف العلم من المسلمين ويؤمنونهم بالحكم بما أنزل الله، وهم من أبعد الناس عن الحكم بما أنزل الله، وتارينهم شاهد عليهم!

إن هؤلاء لم يتفقروا بفقه سلف الأمة، وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تفقهوا قبل أن تسودوا» اطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَعِفْرُ لَذَنِي كَوَاللَّهُمَّ إِنَّمَا يَعْلَمُ مُتَّقَبِّلُكُمْ وَمُشَوِّنُكُمْ﴾ [١٩] [محمد: ١٩]

وتبويب الإمام البخاري «باب العلم قبل القول والعمل» محتاجاً بالأية الكريمة.

وإن الإخوان وغيرهم من الخوارج يزعمون أنهم سيطبقون الإسلام في أيام وشهور دون الأخذ بهذه الأسباب، وهذا ينطبق على فرقه داعش وغيرها أيضاً كالقاعدة والنصرة ونحو ذلك؛ فأين علماؤهم الذين أفتوا لهم بما وقعوا فيه من الفتن والمخالفات وزعماؤهم يفسرون الآيات بغير تفسيرها الصحيح ويحملونها حملًا على عقائدهم الزائف، وقد أتوا للناس بسلاحهم وتدريباتهم وأموالهم ليكفروهم ويقتلواهم ويخربوا بيوتهم؛ ففتنتهم أشد من سبقهم.

فهلا يتتصح كل مسلم ومسلمة بهذه المؤامرة من حزب الشيطان ويعاونهم في ذلك الخوارج ليبيدوا خضراءنا.

أحمد شاكر رحمه الله وكذلك في غيره من تفاسير أهل السنة وهم الفرقة الناجية إن شاء الله، وقد بين هذا التفسير الأخوان الكرييان أبوسفيان عمرو السادات وأبو زياد النوي في كتابهما هذا.

فالخوارج يتولون كبر هذه الفتنة العارمة، ولا يغيب عن كل ذي لب أن بعض المسلمين قد استدرجوا من قبل جماعة الإخوان المسلمين الذين كان ظاهرهم التصوف وحقيقة لهم الخروج ومن شعاراتهم أن دعوة الإخوان المسلمين كما صرحت بذلك كبيرهم حسن البنا «حقيقة صوفية وعقيدة سلفية»، وأدخل هذا الشعار والزيف والتناقض على الكثرين حتى حصل ما حصل من بلايا وتکفير المسلمين وقتاهم، ونسف وحرق وتدمير لكل مقومات المسلمين، في مصر وغيرها، ولكن على رأسها مصر.

ثم خلف الإخوان المسلمين بعد اعتقالهم والخذلان الذي أصابهم من خلفهم من قطبين ونحوهم إلى ما يسمى بفرقة داعش ومعهم السلاح والتدريب والأموال الطائلة يُدفعون دفعاً لتكفير المسلمين وقتلهم بحجج أنه لا يكفرون الحكام ومن تبعهم من أفراد الشعب، وقد أمر الرسول ﷺ بالسمع والطاعة لأمراء المسلمين ما داموا قد أمسكوا بزمام البلاد وإن جاروا، وأن من ينابذ الأمراء العداء يموت ميتة جاهلية، وأن من لم يبايع الأمير الذي عليه وينزع يد الطاعة منه وإن كان ظالماً - مادام قد أخذ بأزمة البلاد - مع الدعاء له بالهدایة والتناصح معه ما أمكن؛ فهو خارجي مارق!

هذا ما وفقني الله إليه في هذا الأمر العظيم.

وأضيف إلى ما سبق: ما ذكره الأخوان المصنفان في نهاية بحثهما تحت عنوان «حقيقة داعش قرن الخوارج» وأثبتتا ذلك بما هو من واقعهم -يعني الدواعش- للأسباب الآتية:

- ١- اتفاقهم على أصل واحد وهو التکفير بالحكم.
- ٢- لا يحكمون بما أنزل الله .
- ٣- خروجهم من المشرق .
- ٤- الانزال عن المجتمعات المسلمة بعد تکفيرها .

- ٥- يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان .
- ٦- اتباع المتشابه من القرآن .
- ٧- كثرة الاختلافات والاشتقاقات .
- ٨- اتخاذهم الشعارات البراقة يخدعون بها الناس .
- ٩- حداثة أسنانهم وقلة علمهم وانتشار الجهل بينهم .
- ١٠- يسفكون الدم الحرام .

هذا على وجه الإجمال وأما التفصيل لكل سبب موجود في البحث والحمد لله .
هذا، وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحقق الحق بكلماته ويقطع دابر
الكافرين ويهدي الحزبيين والعصاة أو يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ويبدلنا منهم خيراً،
وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة والحمد لله أولاً وأخراً، وصل اللهم
على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

حسن عبد الوهاب البنا

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

وعضو التوعية الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً

مقدمة فضيلة الشيخ
محمد بن رزان الهاجري
حفظه الله

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وآلها وصحبه.

أما بعد:

فلقد اطلعت على كتاب «حقيقة تنظيم الدولة... داعش» وقرأت بعض مباحثه، وألفيته جيداً في بابه قريباً من حقيقتها.

والله أعلم من خلْفَ «داعش» هذه الفرقـة المارقة؛ فالخوارج وصفهم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنهم «كلاب النار»^(١)، وهم أهل بدع ودسـيسـة؛ ولا مانع عند أهل البدع من التعاون مع اليهود والنصارى؛ فمقدمـهم «ابن سـبـأ» له عـلاقـة بـتأسـيسـ الـرافـضـةـ والـخـوارـجـ، وـكانـ له دورـ فيـ حـراـكـهـمـ فيـ «ـالـعـرـاقـ وـالـشـامـ»ـ وـانـطـلـقـوـاـ مـنـ مـصـرـ، وـماـ أـشـبـهـ اللـيـلـةـ بـالـبـارـحةـ.

وتعاونـهمـ معـ الـرافـضـةـ وـالـيهـودـ وـالـنـصـارـىـ قـدـيمـ أـعـنيـ:ـ الـخـوارـجــ فـشـاهـدـ العـصـرـ مـرـتـبـطـ بـتـارـيخـ أـهـلـ الـبـدـعـ مـعـ فـضـائـحـ الـاسـتـعـمـارـ،ـ وـالتـارـيخـ يـشـهـدـ لـذـلـكـ؛ـ فـهـمـ مـطـايـاـ وـصـنـيـعـةـ مـغـذـاءـ مـنـ أـهـلـ الـكـفـرـ وـالـرـفـضـ،ـ عـلـمـ بـذـلـكـ كـبـارـهـمـ وـأـخـفـوـهـاـ عـنـ صـغـارـهـمـ.

ويقول المقدسي الأردني: «لا مانع من التعاون مع الكافر الأصلي على الكافر

المرتد»!

(١) سـيـأـيـ تـحـرـيـجـهـ.

ويعني بالمرتد حكام المسلمين، فاللهم اكف شرهم وادحرهم، وهم مغلوبون
بإذن الله.

قاله وكتبه

محمد بن رمزان الهاجري

١٤٣٧ هـ صفر ١٩

مقدمة فضيلة الشيخ
أبي الحسن علي الرملي الأردني
حفظه الله

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فقد نظرت في كتاب (حقيقة تنظيم الدولة داعش) واطلعت على أكثر مباحثه فوجده كتابا نافعا أجاد فيه مؤلفاه وبينا حقيقة تلك الجماعة التي تسمى نفسها بدولة الإسلام كذبا وخداعا للمغرر بهم من الجهل .

فحقيقة هذه الجماعة أنهم خوارج، لو لم يكن فيهم إلا سفكهم لدماء المسلمين وتعبدهم بذلك، وتسميتهم لهم بالمرتدين، وجعلهم قاتلهم أولى من قتال الكفار الأصليين؛ لكان كافيا في الدلالة على كونهم من الخوارج؛ لأنَّ الوصف الذي ذكره النبي ﷺ للخوارج بقوله: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان».

وبقتل المسلمين والعزم على مقاتلتهم واستباحتهم لذلك ؛ حكم علي بن أبي طالب على جماعة خروا عليه بأنهم من الخوارج .

وقد أبان الأخوان جزاهم الله خيرا عقيدة هذه الجماعة ومنهجهم من كلامهم إنصافا لهم وعدلا، وذكرا قصتهم من بدايتها حتى يعلم رأس الفتنة في هذا العصر، وبيننا منهج الخوارج الذين حذر منها النبي ﷺ؛ ثم ربطا أصول داعش بأصول أسلافهم وذكرا علامات القوم بما لا يدع مجالا للشك بأنهم خوارج يجب أن تنزل عليهم أحكام الخوارج التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، ويجب على كل مسلم الحذر منهم وتحذير من حوله؛ فقد أفسدوا في الأرض فسادا عريضا؛

بسفك دماء المسلمين، وتنفير الناس عن دين الله الحق، وتصویر الإسلام للناس بأنه دين غایته القتل وسفك الدم ، مع أن النبي ﷺ امتنع عن قتل من حل قتله كي «لا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه» كما قال ﷺ؛ كي لا ينفر الناس عن دين الله ويفهموه فهـا خاطئا .

ولكن هؤلاء القوم كما وصفهم عليه السلام «سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان» لا يقدرون مصلحة ولا يدفعون مفسدة.

أسأل الله الهدایة للجميع وأن يحقن دماء المسلمين وأن يجنبهم الفتنة ما ظهر منها وما بطن وأن يجعلنا هداة مهتدین .
وجزى الله الكاتبين خيراً على جهدهما وعملهما ورزقهما الله أجره .

كتبه / أبو الحسن علي الرملي الأردني
المشرف العام على شبكة الدين القيم
شوال ١٤٣٧ هجري ٢٨

تمهيد بين يدي الكتاب

بِقَلْمِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ الْمُفْسِرِ عَادِلِ السَّيْدِ - حَفَظَهُ اللَّهُ -

الحمد لله رب العالمين والعقاب للمتغرين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأصلح وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن مسألة الخلافة الإسلامية شغلت بالكثيرين من يسعون إلى الإصلاح في العصور المتأخرة، وبرغم الكتابات المتعددة في هذا الشأن إلا أن نصيب الاستدلال بالنصوص الشرعية من كتاب وسنة صحيحة في ضوء فهم السلف، كان ضئيلا؛ ولذلك غالب على أكثر هذه الكتابات الحماسة والعاطفة المتحررة من الضوابط الشرعية، بل جاء كثير منها ينزع إلى مذاهب بدعاية مناوئة لمنهج أهل السنة والجماعة. ونحن في هذه الوريقات لن نناقش الأمر من جميع جوانبه، بل ما يهمنا في هذا المقام تسلیط الضوء على أمر مهم وهو:

استغلال بعض الجماعات التي أنشئت إثر إلغاء الخلافة العثمانية على يد العميل «كمال أتاتورك» - قبحه الله - أعظم الاستغلال للوصول إلى السلطة - ليس السلطة المحلية في بلد المنشأ - بل السلطة العامة على جميع دول الإسلام - وأعني بذلك جماعة الإخوان التي أسسها حسن البنا ١٩٢٨ بعد إلغاء الخلافة بأربع سنوات.

والذى قال عنه وعن دعوته العلامة بقية السلف أحمد محمد شاكر رحمه الله: «حسن البنا وإن وانه الذين حولوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدامة ينفق عليها

الشيوعيون واليهود كما نعلم ذلك علم اليقين^(١).

قلت : ومنذ إنشاء جماعة الإخوان وهي تتبني السعي لإقامة الخلافة- المرفوعة بإذن الله القدرى^(٢) - والتي بنوا على ضياعها ورفعها ضياع جماعة المسلمين وإمامهم- وأصبحت الجماعة هي جماعة الإخوان والإمامية للمرشد العام للجماعة الذي تُقدم له البيعة- بيعة الخليفة العام- على السمع والطاعة في العسر واليسر والنشط والمكره... إلخ.

ثم نشأت بعد ذلك جماعات كثيرة منبثقة من الجماعة الأم -أعني: جماعة الإخوان- وكل هذه الجماعات، وإن تعددت أشكالها وأسماؤها إلا أنها تجتمع على هذه الضلالـة الكبـرى: غياب جماعة المسلمين وإمامهم والنظر إلى الإمارات الإسلامية والدول الإسلامية على أنها تجمعات لمجموعات من المسلمين (إن نجوا من الحكم العام عليهم بالتكفير كما فعل سيد قطب- عامله الله بما يستحق) ليس لهم إمام شرعـي ولا سلطة شرعـية، ثم تبلور هذا الفكر فيما سمي أخيراً: بشغور الزمان عن الإمام. وهذا الكلام ليس ادعاء وإنما هو كلام موثـق جهروا به حتى في الرسائل العلمـية المقدمة إلى إحدى الجامعـات الإسلامية العظـيمة -ولا أدري كيف تمت مناقشتها ثم إعطاء الباحـث درجة الماجـستير بامتياز مع مرتبـة الشرف أعنـى الرسـالة التي تقدم بها الباحـث «حسـين بن محمد بن علي بن جـابر» إلى الجـامعة الإسلامية بالمـدينة النـبوـية -على سـاكنـها أـفضل الصـلاـة وأـتم التـسلـيم -بـإشرـاف الدـكتـور محمود أـحمد مـيرـة، وـطبـعتـها دار الـوفـاء الإـخـوانـية، وـقـدـمـ للـرسـالة الـقطـبـي الإـخـوانـي عـلـي جـرـيشـة وـهـي رسـالة [الطـريق إـلـى جـمـاعـة الـمـسـلمـين] وـالـكـلامـ في هـذـه الرـسـالة لـيـسـ مـطـوـيـاـ فـي ثـنـيـاهـاـ، أوـ ضـمـنـ حـاشـية دـسـنـ فـيـهاـ بـمـكـرـ حـتـىـ نـلـتـمـسـ الأـعـذـارـ!ـ، وـإـنـماـ يـصـرـحـ المؤـلـفـ بـعـدـ المـقـدـمةـ مـباـشـةـ^(٣)

(١) راجـعـ «ـتـقـرـيرـ عـنـ شـؤـونـ الـتـعـلـيمـ وـالـقـضـاءـ»ـ.

(٢) إـشـارـةـ إـلـىـ قـوـلـ الرـسـولـ ﷺـ: «ـتـكـونـ فـيـكـمـ الـخـلـافـةـ مـاـ شـاءـ اللـهـ أـنـ تـكـونـ ثـمـ يـرـفـعـهـ اللـهـ ...ـ»ـ.

(٣) بلـ صـرـحـ فـيـ العنـوانـ نـفـسـهـ.

بقوله:

هدف البحث: أن أبين للأمة الإسلامية أن جماعة المسلمين غير موجودة وأنه واجب على المسلمين كافة إقامتها، وأن هذا الواجب هو فرض العصر على كل الأمة، حتى تقوم دولة الإسلام وتترعرع قوية وعزيمة منيعة، يقذف الله بها ومنها الرعب في قلوب أعداء الله وأعداء الإسلام».

قلت: يقول الباحث هذا الكلام في دولة التوحيد التي تطبق الشريعة حسب الإمكان، وتقوم بنشر التوحيد والسنّة في جميع بقاع الأرض، والباحث من احتضنتهم الدولة هو وجماعته بعدما ضاقت بهم الأرض كل ذلك لم يشفع لدولة التوحيد أن ترفع عن الأمة معرة غياب الجماعة والإمام.

وظلت هذه البدعة والضلالة تسري في كتابات القطبيين من سيد قطب إلى من يليه حتى خرج علينا أحد هؤلاء وهو عبد الحميد هنداوي المدرس بكلية دار العلوم بكتاب سماه «كيف الأمر إذا لم تكن جماعة»، وذكر في مقدمة كتابه أن مجموعة من أهل العلم والدعوة! راجعوا كتابه وأثنوا عليه، واستفاد من ملاحظاتهم وهؤلاء يمثلون مدارس إخوانية متعددة الوجوه، فمنهم سعيد عبد العظيم يمثل مدرسة الأسكندرية، ومحمد عبد المقصود وسيد العربي يمثلان ما يسمى بالسلفية الحركية، بالإضافة إلى صلاح الصاوي المنظرقطبي المعروف، ومحمد حسين يعقوب، ومحمد عمرو عبد اللطيف، وسعود الفنسان، وعبد المنعم إبراهيم أبو عائش... إلخ من ذكرهم، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى حلمي الإخواني الذي تستر بالسلفية، وميزة هذا الكتاب أنه لا يمثل مؤلفه؛ بل يمثل هذه الأسماء التي راجعته وأثنت عليه، بل قال محمد عبد المقصود نصاً: «إن هذا البحث الفريد قد عبر تعبيراً دقيقاً عن كل ما يجول بخاطري وأعتقد في هذا الموضوع».

وحتى لا أطيل في هذه المقدمة أنقل بعض الضلالات الموجودة في الكتاب^(١)

(١) يعني كتاب «كيف الأمر إذا لم تكن جماعة».

لنعرف سر الفتن التي نعايشها هذه الأيام ومن أين نؤتي؟!

قال في (ص ١٠١-١٠٢): «فالمسلمون الآن جمِيعاً بلا جماعة ولا إمام، وقد يُعترض البعض على هذا بوجود دولة مثل أفغانستان^(١)؛ إذ إن لها حكومة إسلامية، ورایة إسلامية، قائمة على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومواجهة قوى الكفر والطغيان المُحَادِّين لله تعالى؛ ولكن الحق أن دولة أفغانستان؛ وإن كانت دولة مسلمة كانت نتاج جهاد إسلامي رائع أعاد لنا سيرة الصحابة والتابعين الذين جاهدوا لرفع رایة هذا الدين؛ إلا أن دولة أفغانستان لم تعلن أنها دولة الخلافة ولم يعلن رئيسها أنه خليفة المسلمين، ولا طلب بيعة أهل الخل والعقد له، ولا بايعه أهل الخل والعقد^(٢) من المسلمين؛ فمثل هذا ليس خليفة، ولا إماماً للمسلمين يقيناً؛ حتى وإن كان مستحقاً للإمامنة، مستجماً لصفاتها... ولو حدث هذا -أي إن دعا إلى نفسه وتمت له بيعة أهل الخل والعقد لأمكننا أن نقول: إن المسلمين قد صارت لهم دار خلافة، وصارت لهم جماعة وإمام يجب أن يرجعوا إليه، ويأتروا بأمره، ويتهوا بهم بنهيه، وتكون الهجرة إليه واجبة، ولا يجوز البقاء في دار من ديار الكفر^(٣)؛ إلا بتكليف منه، أو لحاجة، أو ضرورة لا على نية الإقامة بها؛ لأن الإقامة بها حيئتذ -إذا ما وجدت دار الخلافة- لا تجوز؛ إلا للمستضعفين الذين لا يقدرون على الهجرة إلى دار الخلافة، ولكن الحقيقة التي يؤيدتها الواقع أن ذلك لم يحدث»^(٤).

(١) لاحظ أنه لم يذكر أي دولة من دول المسلمين ولا المملكة العربية السعودية!

(٢) ويلاحظ أن مصطلح أهل الخل والعقد، ليس المقصود به عند القائلين بشغور الزمان: أهل الشوكة والسلطان والخل والعقد في بلاد المسلمين المكينين والذين يختارون حكام المسلمين، وإنما المقصود بهم رؤوس الجماعات الخزبية كالإخوان والتبلیغ والسرورين وغيرهم كما قال المؤلف ذلك صراحة وكما ادعى ذلك أعضاء ما يسمى مجلس شورى العلماء، وراجع كتابي «بيانات شورى العلماء في ميزان أهل السنة».

(٣) معنى ذلك أن جميع ديار المسلمين ديار كفر بما في ذلك مكة والمدينة=الحرمين الشرفين كما صرَّح بذلك أبو محمد المقدسي!

قلت: وهذه حقيقة القول بشغور الزمان باختصار شديد ومركز. ويترتب على القول بشغور الزمان أمور عديدة وخطيرة سأذكرها بعد بيان أن القائلين بذلك لا يشغلون بالهم بموضوع عدم جواز الخروج على الحاكم الظالم من عدمه؛ بل ربما كتبوا، وأشاعوا بين طلابهم مقررات منهج أهل السنة بعدم جواز الخروج على الحكام إلا إذا وجد منهم الكفر البواح، ويتناقلون ذلك فيما بينهم، وقد يغير بهذا بعض من لا يقف على حقيقة الأمر! فما المانع من ذلك، وهل يوجد أصلا إمام مبایع له في أعقابهم بيعة؟ إنَّ اعتقادهم لا يوجد جماعة ولا إمام؛ فدراسة أمر الخروج على الولاة الظلمة أو عدم جوازه لا علاقة له بزماننا أصلاً لفقدان المحل «كما يقال في الفقه» فليس هناك إمام لا ظالم ولا فاسق ولا عدل نظراً لشغور الزمان عن الإمام، فهو غير موجود أصلاً فضلاً عن أن يحكم بفسقه أو بعده أو بظلمه! .

ثانياً: يترتب على ذلك عدم البراءة من الخارجين بالسلاح؛ وحتى وإن أعلنوا مخالفتهم لهم؛ فلن يدعوهم؛ والسبب في ذلك أنهم في نظرهم أخطأوا في التوقيت فقط؛ أما من خرجوا عليه – فإن ثبت عدم كفره فهو ليس بإمام أصلاً، فلا تتناوله النصوص المحرمة للخروج.

ثالثاً: وهذا أخطر ما في الموضوع أنهم يربون الشباب على انتظار الإمام الموهوم؛ فإذا جاء أي دجال وطلب البيعة العامة على الخلافة لسارعوا إليه زرافات ووحدانا، كمارأينا في كلام عبد الحميد هنداوي، ولذلك وجدنا أبا بكر البغدادي في بيانه الصادر في ١ يوليوز ٢٠١٤ ميلادي يلعب على هذا الوتر ويقول: «اسمعي يا أمّة الإسلام اسمعي واعي وانهضي فقد آن لك أن تتحرري من قيود الضعف وتقوّي في وجه الطغيان على الحكام الخونة عملاً الصليبيين والملحدين وحاماً اليهود... يا أيها المسلمين في كل مكان من استطاع الهجرة إلى الدولة الإسلامية فليهاجر فإن الهجرة إلى دار الإسلام هي واجبة ففروا إليها أيها المسلمين بدینکم إلى الله مهاجرين، ونخص بدعوتنا طلبة العلم والعلماء والفقهاء وعلى رأسهم القضاة وأصحاب الكفاءات

العسكرية والإدارية والخدمية والأطباء والمهندسين في كل التخصصات وال المجالات، ونستنفرهم ونذكرهم بتقوى الله فإن النفير واجب عليهم وجوباً عيناً حاجة المسلمين الماسة إليهم فإن الناس يجهلون دينهم ومتغطشون إلى من يعلمهم ويفقههم فاتقوا الله يا عباد الله» أهـ.

أقول: فبعد هذا النداء الذي يلبي عطش الشباب للخلافة التي تربوا على الاستعداد لها وانتظار من يناديهم بها باسمها ليلبوا النداء الذي طالما تشوفوا إلى سماعه بعد أن عاش في مخيلتهم دهراً طويلاً فها هي الخلافة مائلة أمام أعينهم فليذهبوا ولبياعوا البغدادي ويصبحوا طوع أمره وإن كانوا آثمين مضيئين لدينهم ودنياهم فإذا ماتوا ماتوا ميتة جاهلية، وإذا خرج أحد مشائخهم ليرد على البغدادي وينتقصده فلن يسمع له الشباب ولن يلتفتوا إليه لماذا؟!

لأنهم تربوا على هذا ولذلك يعتبرون مشائخهم حيث إنهم من القاعدين المفتونين الذين آثروا الدنيا على الآخرة «مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَيِّلٍ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِلَى الْأَرْضِ» [التوبه: ٣٨] الآية «إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [التوبه: ٣٩] الآية، ومن هنا وجدنا الشباب تطوع بالذهاب إلى داعش لمبايعة البغدادي وهم يجهلون حاله ولا يعرفون شيئاً عنه ولكن يكفي أنه يدعوه إلى الخلافة، فلم يبذل الدجال جهداً ولم يظهر كرامة ولا شيئاً مما يظهره مسيح الضلال الدجال في آخر الزمان، ولكن يكفيه فقط أن يروي عطش المتعطشين إلى الخلافة.

أعرفتم بعدها قدمناه لحضراتكم ما هو النبع الثر الذي يستمد منه أبو بكر البغدادي مدهه وما هو المصدر الذي لا ينفد – إلا أن يشاء الله – ويعزى ما يسمى الدولة الإسلامية (أعني داعش)؟!

إنهم هؤلاء القائلون «بشغل الرزمان عن الإمام».

ولذلك وجدنا من يتبع برهامي وحزبه من يتسمون بمدرسة الأسكندرية ومن على شاكلتهم يرتكبون في أحضان داعش ومستعدون لتلبية نداء البغدادي ومبaitه،

فهذا هو السبب الذي كان علماء أهل السنة الصادقون يحدرون منه قبل ظهور ما يسمى بداعش وكانوا يقولون:

إن حزب ياسر برهامي ومن على شاكلته من يقولون: «بشغور الزمان عن الإمام» هم العدو الذي يجب أن نحذر ونعمل على حماية الشباب من الوقوع في براثنه؛ لأن هذا الفكر هو الذي يقوم بإعداد الشباب لكي يكونوا وقوداً لهذه الفتنة حينما تطلب برأيها فهم رأس مال الفكر الخارجي الذي يعمل هؤلاء على إعداده ليكون تحت الطلب.

ذكرت هذا الكلام بين يدي كتاب «حقيقة تنظيم الدولة ... داعش» الذي دفعه إلى الأَخْوَان الفاضلان عمرو السادات ومحمد النبوي -وفقهما الله- لأَبْنَ النبع الذي منه يستمد البغدادي ومن على شاكلته لكي تتم مباحث الكتاب الذي قرأته فوجده وافيا بالغرض الذي صنف لأجله!.

والله أسأل أن يوفق كاتبه ويرزقهما الإخلاص والسداد في القول والعمل وأن يقي أمّة محمد ﷺ شر البدع وأهلها ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شيء قادر!.

كتبه: عادل السيد

ليلة الأحد ١٣ من صفر ١٤٣٨ هـ

الموافق ١٣ / ١١ / ٢٠١٦ م.

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ وَرَأْفَاتِهِ
أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا يُضْلَلُ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد:

فإن الحديث عن «داعش»^(١) هو حديث العالم، ولكنه ليس حديثاً واحداً، وإنما عدة أحاديث، بعدة لغات ولهجات، ليس ذلك فحسب بل عدة تصورات مبنية على عدة مناهج وأفكار، وكلّ يدعى أن حديثه هو الحديث الصحيح، مع أن أكثرهم - إن لم يكن كلّهم - مبنّى حديثه على الظن والتخرص، فمن قائل: إن «داعش» صناعة الاستخبارات الفلانية، تدعمها الدولة الفلانية لتحقيق المصالح الفلانية! ومن قائل: إنها الخلافة الراشدة على منهاج النبوة التي تجب لها البيعة وتلزم لها من المسلمين النصرة! وهناك من يقول: إن «داعش» قرن الخواج في هذا العصر الذين قال فيهم ﷺ: «كَلَابُ النَّارِ كُلُّمَا خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قَطَعَ حَتَّى يَخْرُجَ الدِّجَالُ فِي عِرَاضَتِ آخَرِهِمْ»^(٢).

(١) وهو اختصار إعلامي لتنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، وهذا الاختصار عبارة عن دمج أول حرف من كل كلمة في اسم هذا التنظيم؛ فـ«الدال» = الدولة، وـ«الألف» = الإسلامية، وـ«العين» = العراق، وـ«الشين» = الشام، وجمع كل هذه الحروف (د-أ-ع-ش) = «داعش»، ورغم أنهم تركوا العمل بهذا الاسم واقتصروا على «الدولة الإسلامية» غير أن الكثير لا يعرفهم إلا بهذا الاسم؛ ولذا سنتكلم عنهم باسم «داعش»، ولأسباب أخرى ستأتي معنا - إن شاء الله -. (٢) سبأني تخربيه - إن شاء الله -.

وفي الوقت نفسه حاول عدد من المعادين للإسلام وأهله الذين يحاربونه بكل طريق وبأي وسيلة، حاولوا أن يثبتوا أن «داعش» هي حقيقة الإسلام!^(١) مما جعل المسلمين المساكين من العوام في حيرة من أمرهم من يصدقون؟ وما هي حقيقة «داعش»؟! ومن وراءهم؟! وإلى ماذا يهدفون؟! وأي شيء يريدون؟!
والإجابات كثيرة وعديدة!

ولما كان حديث السياسة حديث كذب وغش وخداع، حديث لا كالحرباء يتلون بكل لون بل أشد، حديث لا يثبت على مقال ولا يستقر على حال؛ فما كان هو الحق أمس لا يليث أن يكون أبطل الباطل اليوم، نقول: لما كان هذا هو حال حديث السياسة؛ رفض كثير من الناس الكلام عن «داعش» ووضعوا أصحابهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وفروا من هذا الحديث فراراً، ولذلك فإننا سنطرح كل اتهام لـ«داعش» بأنها عميلة ونحوه من الاتهامات السياسية^(٢)، ولن نناقش إلا قولين فقط، هل «داعش» على منهاج النبوة؟! أم قرن الخوارج في هذا العصر؟!.

ولما كان حديث الناس عموماً يصيب ويخطئ، يقبل ويرد، يصدق ويكتذب، فنحن بحاجة إلى حديث صادق ﴿لَا يَأْنِيهُ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]!

حديث من لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّهُ مُوَلَّهٗ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]! نحن بحاجة إلى ما إن اعتصمنا به فلن نضل أبداً^(٣)!

(١) كهذا الكذاب المنسب إلى البحيرة بحيرة الشيطان! إسلام بحيري؛ وإنما على شبه اليقين أن «إسلام» ليس اسمه الذي سماه به أبوه، فلعله سمي بهذا الاسم ثم أرسل ليعبث في تراث الإسلام باسم الإسلام!!، والأيام حبل، وهو معلوم بعداوته للمسلمين وطعنه على هذا الدين عقائده، وثوابته!

(٢) وليس ذلك تبرأة لساحة «داعش» من هذه الاتهامات، وإنما لأن مبناتها على الظن لا اليقين، ولأننا لا نملك دليلاً واضحاً على صحة هذه الاتهامات - وقد يملك غيرنا -، ويكفيانا أن نعلم حقيقتها المنهجية والعقدية من خلال كلام قادتها وتظير اتهم.

(٣) كما قال صل الله عليه وسلم : «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضْلَلُوا أَبَدًا»، كتاب الله، وسنة

نحن بحاجة إلى قال الله قال رسوله قال الصحابة ومن تبعهم بإحسان^(١)، نعم
بهذا الحديث نصل إلى الحق من أيسر طريق وأسرعه!
وكانا نسمع متعجباً مستنكراً يقول: وهل تكلم الله ورسوله عن «داعش»؟!
فالجواب: نعم؛ فإننا إن أردنا أن نعرف حقيقة منهج «داعش» أسلفي^(٢) أم

نبيه^(٣) وانظر المشكاة ١٨٦، الصحيحة ١٧٦١.

(١) فلابد من هذه الضمية مع الكتاب والسنّة ولذلك لم يكتف النبي صل الله عليه وسلم في النجاة بما كان عليه فقط بل قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤)، ولذلك كان أئمة الإسلام حجازاً وعرقاً وشاماً وغير ذلك يلزمون بفهم السلف الصالح، فمن ذلك: قال إمام الحجاز مالك بن أنس رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولاً».

وقال إمام العراق سفيان الثوري رحمه الله: «ينبغى للرجل ألا يحيك رأسه إلا بأثر».

وقال إمام الشام الإمام الأوزاعي رحمه الله: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإيام وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول، فإن الأمر ينجلي حين ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم». فهذه آثار عن أئمة الأمصار، فليفهم أولو البصائر والأبرار.

(٢) إن مصطلح «السلفية» مصطلح مظلوم حيث يدعى به ومن ليس من أهله فأساء إليه مرتين، مرة بتركه، ومرة بتغير الناس منه، وإن الدعوة السلفية هي دعوة الحق (فهذا بعد الحق إلا الضلال)، هي الإسلام من غير شائبة تشويه، مبناه على كتاب الله وسنة رسول الله بفهم أصحاب رسول الله، فإن الله رب العالمين أنزل السنة لبيان القرآن ﴿وَأَنَّا إِلَيْكَ أَذْكَرْ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْ إِلَيْهِمْ﴾ فلا قرآن إلا سنة، ولا قرآن ولا سنة إلا بفهم سلف الأمة «فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» ولما سُئل عن الفرق الناجية قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» ففهم الصحابة ضابط؛ إذ عاينوا الواقع، وشاهدوا التنزيل، واختارهم الله لصحبة نبيه، وتبلّغ دينه ودعوته من بعده، وكل الفرق تدعي العمل بالكتاب والسنّة، وما من بدعة إلا وعليها دليل عام من كتاب الله أو سنة رسوله؛ لأن البدعة إجمال مكون من حق وباطل؛ ولذا فإن كل جزئية من النص الشرعي العام لم يجر عليها عمل السلف فالعمل بها بدعة؛ لأن السلف أحρص الناس على الخير؛ إذ هم خير الناس كما أخبر سيد الناس، فالانتساب إليهم شرف، وإن من حيل أهل الباطل لتمرير باطلهم اتحصال أسماء أهل الحق - كذباً وزوراً - ليغروا بالجهال والضعفاء من الرجال، فلم يتركوا اسمًا لأهل الحق إلا وادعوا لأنفسهم وأوهموا العوام أنهم الأجدar بهذا الاسم، مثل سلفية الأسكندرية! (حزب النور)، والسلفية الجهادية، وغير ذلك.

ونحن اليوم في زمان اشتبه فيه الغث بالسمين، واختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس فيه الباطل بالحق

خلفي، سني أم بدعوي؟ فإنه إن لم نجد بيانيه في كتاب الله وسنة رسول الله فلن نجد له بياناً! كيف والله رب العالمين يبيّن في كتابه وسنة رسوله ﷺ لل المسلمين أحكام الطهارة وآدابها وتفاصيل ذلك ودقائقه، فكيف بدماء المسلمين وأعراضهم؟!

كيف يهدى لهم وضلالهم؟!

ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْلِلَ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَنْقُوتُ﴾ [التوبه: ١١٥]

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىٰ وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٨٩] [النحل: ٩٤]

والحق بالباطل عند كل جاهل ليس بعاقل، واختلت فيه الموازين واشتبهت فيه ال دروب فترى الغطر قد اعنت، والعقل قد اختلت، فزعم أرباب التكفير -بغير حق- وأرباب الخروج على الحكام، الضاللون المارقون من الإسلام أنهم أهل الدعوة السلفية وافتوروه، ونشروا ذلك بين الناس وأذاعوه، فصدقهم الجاهل، وتبعهم من للبدع والأهواء مائل، فعلوا بالناس الأفاعيل، وحرقوا دعوة الحق كتحريف اليهود والنصارى التوراة والإنجيل، ولكن لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين، بنشر السنة قائمين، وللبدع والأهواء قامعين، لا يضرهم من خالفهم من عدوهم، ولا من خذلهم من أهلهم، يبيّنون للناس أن الدعوة السلفية لا تعرف تكفيراً بغير حق ولا بالتعيم، ولا خروجاً على الحكام المسلمين؛ لا بسيف وستان، ولا بكلمة ولسان، لا تسلك طريق أهل الأحزاب، كتجمع الماء الكدر في الميزاب، ولا تتبع أهواء الذين ضلوا من الكفار وأهل الكتاب، من أتباع الديمقراطية والوسائل الكفرية، يقولون صراحة:

إن المدعين اتباع السلفية من أهل الدعوة الخلفية والأحزاب البدعية (كحزب النور، وسائل الأحزاب السياسية المتسببين كذباً إلى السلفية) ليسوا من السلفية في شيء، والسلفية وأهلها منهم براء، وإنما هو منهم الادعاء والافتراء، والمشتكى لرب الأرض والسماء، فاحذر من كل دعوى حتى تتحقق من البينة فلا تنطوي عليك حيلهم فليست باليسيرة ولا الهينة، وإذا رأيت السلفية تقيد بقيد فقف عند هذا القيد تجد أهله مفارقين لأهل الدعوة السلفية، فمن قيدها بالجهادية أو العلمية أو الحاكمية!! فاعلم أنهم متحزبون على بعض الدين، قد جعلوا القرآن عضين = متفرقين يأخذون ما يهونون ويتركون خلاف ذلك، أما الدعوة السلفية فإنها الإسلام كله قال تعالى: «ادخلوا في السلم كافة» كما جاء به النبي ﷺ
– صلى الله عليه وسلم – فلا قيد يجزئها، ولا إضافة بعضها.

فكل ما يخص هذه الأمة إلى قيام الساعة بيّنه ربنا في كتابه وأنزل إلى رسوله السنة ليبين لنا ما في الكتاب! كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ولذلك أمر سبحانه أن نرد كل النزاعات إلى الله ورسوله فقال: ﴿يَعَلَّمُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ حَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قوله ﴿فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط فكان الحال أن أي خلاف يقع وأي نزاع يحصل لابد من رده إلى ما يرفع النزاع وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن تأمل في الآية وجد أنه عند الاجتماع أمر بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر = العلماء والأمراء^(١)، فلما وقع الخلاف لم يرد إلا للكتاب والسنة فقط، فلم يقل فردوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم، كما قال عند الأمر بالطاعة، وإنما حصر الأمر في الكتاب والسنة فبها يرفع الخلاف ويذوق النزاع.

ولكن هنا أمر ينبغي الانتباه إليه: وهو أن كل الفرق بل كل واحد من المسلمين -أعني المنتسبين إلى الدعوة- يزعم أنه لا يصدر إلا عن الكتاب والسنة، فبها ينطق وعلى أساسها يبني!

ولا تجد واحداً من رجال الجماعات أو الأحزاب أو الفرق المسلمة يقول: أنا أخالف الكتاب والسنة! ومع ذلك فإن هذه الفرق بينها من خلاف التضاد -لا التنوع- وهو خلاف حقيقي -لا لفظي-، ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد؛ ولذلك بيّن ﷺ أن كل هذه الفرق -التي تخوض عنها الخلاف بين المسلمين- في النار إلا فرقة واحدة وهي ما عليه النبي ﷺ وأصحابه^(٢)، فالحق واحد لا يتعدد، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا

(١) والخروج على النساء لا يكون إلا بالخروج على العلماء؛ يعني العلماء بحق لا من تشبه بهم وليس منهم.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود والترمذى والأجرى وغيرهم، أن النبي ﷺ قال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلات وسبعين، ثنان وسبعون في

بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّلَالُ ﴿يُونس: ٣٢﴾

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ حَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَطًا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ثُمَّ حَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَائِلِهِ وَقَالَ هَذِهِ سُبُّلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُّلَ فَنَفَرَّقَ إِبْكَمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فِيمَعَ مِنَ الْحَقِّ مِنْ هُؤُلَاءِ وَهُمْ جَمِيعًا يَرْعَمُونَ: «الْقَوْلُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ»؟

الجواب: إنه مع الذين أمرنا أن نؤمن بما آمنوا به في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ، فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تُؤْلَمُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وهو أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، فمن آمن بمثل ما آمنوا به فقد اهتدى، ومن تولى عن هذا المهدى فهو في ضلال وسبيل مختلفة مظلمة لا تصل به إلا إلى جهنم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُؤَلِّمَ مَا تَوَلَّ وَنُصْلِلُهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فمن يتبع غير سبيل الصحابة رضوان الله عليهم، فإن سبيله هذا لا يصل به إلا إلى جهنم -والعياذ بالله-. ولذلك فإن النجاة أن يكون المسلم مع الصحابة رضوان الله عليهم، الذين

اصطفاهم الله لصحبة نبيه ولتبليغ دينه من بعده^(١).

ولهذا بين ﷺ أن سبب النجاة من الاختلاف -الذي حثّها على سبق بين أبناء الأمة- أن يكون المرء على سنته ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده كما ذكر العرابي بن

النار وواحدة في الجنة».

(١) أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٩٧/٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من كان منكم متأسياً فليتأسس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علمًا وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامته دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على المهدى المستقيم».

سارية رَوْعَةَ فقال: صل بنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بلية ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عباداً حبشيّاً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستي وسنة الخلفاء المهدىين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله»^(١). ولذلك فإن من أخذ بالكتاب والسنّة بعيداً عن فهم سلف الأمة فقد ضل لا محالة!

ونحن إن أردنا أن نحاكم «داعش» إلى الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة، فليس لنا إلا أن نحاكمها من كلامها هي لا من كلام أعدائها من الإخباريين والساسة^(٢)! ولذلك فإننا سنأتي هنا بكلامهم هم، وكلام أنصارهم، ومن على منهجهم، لنبين للقارئ الليبي - الذي يريد الحق لا المتعصب للتبع لهواه - حقيقة «داعش»، ولنعلم جميعاً هل «داعش» هي الخلافة الراشدة على

منهاج النبوة كما يقال عنها؟ أم أنها قرن الخوارج في هذا العصر؟

ولا يتم ذلك إلا بعرض منهج وأفكار «داعش» على الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة، فإن تطابقاً وتوافقاً في كل الأصول، وإن مخالفه واحدة في هذه الأصول

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥).

(٢) قال متحديثهم الرسمي أبو محمد العدناني في كلمة بعنوان: «لك الله أيتها الدولة المظلومة»: «فمن أراد الإنصاف فليتّق الله فينا، وليحكم علينا من خلال بيانتنا وإصداراتنا وخطاباتنا، أو من خلال دليل شرعي يثبت فيه خلاف ما ندّعه، لا من خلال ما يصوّرنا به إعلام عدوّنا، أو ما يسمعه من أفواه أبوaque، ولا عبر شهادات خصم من خصومنا».

وقال في كلمة بعنوان: «إنها أعظمكم بواحدة»: «ومن أراد أن يعرف منهج الدولة وسياستها وفتاويها فليرجع إلى قادتها وبياناتها وخطاباتها ومصادرها، لا أن يأخذ ذلك من وسائل الإعلام المحاربة للدولة، أو أفواه أعدائها ومحاربيها ومخالفتها الذين لم يتركوا عاراً إلا لقصوه بها، ولا جرمًا إلا نسبوه لها، ولا نقية إلا وألحقوها بها، ثم يصدق ذلك ويعتقد به بل ويزيد من عنده ويلقي التّهم جزافاً».

تجعل «داعش» أو غيرها فرقة مخالفة لمنهج النبوة.

هل تقول إن مخالفة واحدة في الأصول تجعل صاحبها ضالاً مخالفًا لمنهج النبوة؟! أليس هذا ظلماً؟! كأننا نسمع هذا السؤال يتrepid!

والجواب لا ليس ظلماً، نعم إن مخالفة واحدة في الأصول تجعل صاحبها ضالاً مخالفًا لمنهج النبوة؛ فإن الأمور في ديننا لا توزن كما توزن عند التجار والباعة بالكيلو جرائم!

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ومن السنة اللازمـة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها»^(١).

قال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: «السنة عشرًا فمن كن فيه استكمـلـتـه، ومن ترك منها شيئاً فقد تركـتـه»^(٢).

قال الإمام علي بن المديني رحمه الله: «السنة اللازمـة التي من ترك منها خصلة لم يقلـها أو يؤمنـها...»^(٣). ثم ذكر جملة من أصول أهل السنة.

قال الإمام البربهاري رحمه الله: «ولا يحلـ لـ رـجـلـ مـسـلـمـ أـنـ يـقـولـ فـلـانـ صـاحـبـ سـنـةـ حـتـىـ يـعـلـمـ مـنـهـ أـنـ قـدـ اـجـتـمـعـتـ فـيـهـ خـصـالـ السـنـةـ، فـلـاـ يـقـالـ لـهـ صـاحـبـ سـنـةـ حـتـىـ تـجـتـمـعـ فـيـهـ السـنـةـ كـلـهـاـ»^(٤).

وبهذا يتبيـنـ لكـ أـنـهـ لـابـدـ مـنـ اـجـتـمـعـ خـصـالـ السـنـةـ وـأـصـوـلـهـاـ فـيـ الرـجـلـ حـتـىـ يـكـونـ مـهـدـيـاـ سـنـيـاـ، إـلـاـ كـانـ ضـالـاـ بـدـعـيـاـ وـالـعـيـادـ بـالـلـهـ.

فـإـذـاـ اـتـفـقـنـاـ عـلـىـ هـذـهـ أـصـوـلـ؛ فـهـذـاـ أـوـانـ الشـرـوعـ فـيـ الـمـقصـودـ، وـالـتـوـفـيقـ وـالـسـدـادـ منـ رـبـنـاـ الـوـدـودـ.

(١) «أصول السنة»، (ص ٤٢).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١٧٤ / ٢).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١٨٥ / ٢).

(٤) «شرح السنة»، (ص ٦٧).

نشأة «داعش» و«جبهة النصرة» وحقيقة الخلاف بينهما

إننا إن أردنا أن نتكلم عن «داعش» وعن منهجها وفكرها؛ فينبغي أن نتكلّم عن نشأتها، وما هي المكونات والأسباب التي أدت إلى ظهورها؟ ومن أي الأفكار السابقة نبت تلك النبتة؟ وذلك لنعلم هل هي نبتة طيبة؟ أم نبتة خبيثة؟ وإذا أردنا أن نتكلّم عن نشأة «داعش» فينبغي أن نذهب إلى عام (١٣٤٢ هـ) الموافق (١٩٢٤)، وهو العام الذي سقطت فيه الدولة العثمانية بعدها ومكر من «أتاتورك» الطاغية!

نعم لا تعجب؛ فهذا العام وهذا الحدث هو سر كثير من الأحداث التي تدور وتحدث في هذا الزمان، وسيظل هذا العام وهذا الحدث -أعني: سقوط الخلافة العثمانية- هو النواة الأساسية في تكوين نشأة الكثير من الحركات والتنظيمات التي تحمل وصف «إسلامية»، كيف كان ذلك؟

إنه منذ سقوط الخلافة العثمانية شعر كثير من المسلمين -لا سيما من الشباب المتحمسين- بانفراط عقد الأمة! وتفكك وحدتها، وأن الضياع يتهددها ويتوعدها! فعاشو على أمل عودة الخلافة^(١)، وسعى كثير منهم إلى تحقيق ذلك!

(١) والخلافة حتى استعود كما أخبر النبي ﷺ أنه في آخر الزمان: «تكون خلافة على منهج النبوة». انظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٥).

ولكن ينبغي العلم أن الخلافة وعد مشروط، لا يتحقق إلا بتحقق هذه الشروط، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ مَأْمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخِفَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَمْ يَمْكِنْنَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي أَرْتَقَنِي لَهُمْ وَلَسَيَدُّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونِي لَا يَتَّكَوَّنُونَ فِي شَيْئًا ﴾ [النور: ٥٥]

حتى نشا بعض الشباب المتحمس على هذا الحلم ومنهم «حسن البنا» الذي عاش على أمل أن يكون هو خليفة المسلمين، وظل يسعى إلى وضع حجر الأساس؛ حتى أنشأ جماعة الإخوان المسلمين عام (١٣٤٧هـ) الموافق (١٩٢٨م)^(١)، فوضع المنهج ورسم الخطة وثبت الأركان ووضع الأصول! والتي لا يمكن -في نظره ونظره أتباعه- أن يفهم الإسلام إلا من خلاها!
فإن من أركان بيعة الإخوان المسلمين ركن «الفهم»، والمقصود به كما قال حسن

فلن تعود الخلافة إلا بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح، لا بالعمل الطالع من مخالفته هدي النبي ﷺ، وسفك دماء الأبرياء ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماء؛ ولذلك فإن أهل السنة يعملون على بناء الدولة المسلمة من خلال الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أمر دينهم، وتعييدهم لربهم، كما فعل النبي ﷺ؛ لأنهم يعلمون ويوقنون أن بناء الأمة وصلاح حالتها من صلاح حال أبنائهما، فصلاح الفرد صلاح للأسرة، وصلاح الأسرة صلاح للمجتمع، وصلاح المجتمع صلاح للأمة، والله الموفق والمستعان.

(١) يقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٤٦٨): «وكان قد نشأت في مصر أواخر العشرينات حركة إسلامية كان لها بالغ الأثر على مسار الأحداث في مصر والعالم العربي عموماً، وهي حركة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا، الذي وضع أساس حركته التي كانت تهدف إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وتصحيح أوضاع المسلمين، والدعوة إلى العود إلى تحكيم الشريعة الإسلامية والدفاع عن قضايا المسلمين».

ويقول في (ص ٦٥٦): «وقد أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله عام (١٩٢٨). ووضعت إعادة الخلافة شعاراً وهدفاً لها، وقد جعل حسن البنا برنامجه حركته وأسلوبها مختصرًا فيها صاغه بقوله وشعاره: «الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا». اهـ. وكتاب أبي مصعب السوري هذا يعد مرجعاً تاريخياً لهذه الجماعات والتنظيمات وهو خلاصة فكره وتجربته في هذا الميدان.

يقول عن نفسه وعن كتابه (ص ٤٣): «ومن خلال كوني أحد العاملين في التيار الجهادي في مجال الفكر والكتابة والتاريخ والنشاط الإعلامي، بالإضافة للمباشرة الميدانية ولا أذكر هنا للفخر، وليس المقام مقامه -وأسأل الله الإخلاص- وإنما ليعرف القارئ أن ما يستقبله من صفحات الكتاب هو نتاج تجربة ميدانية طويلة ومتعددة، فيعطيه حقه من الاهتمام». اهـ، ولذلك فإن نقلنا عنه لا يهدُ أن يكون توثيقاً لما نقوله عن هذه التنظيمات والجماعات!

البنا في رسالة التعاليم: «أيها الأخ الصادق: إنما أريد بالفهم: أن توقن بأن فكرتنا (إسلامية صميمة)، وأن تفهم الإسلام كما نفهمه في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز». اهـ^(١).

وكان من دعائم هذه الجماعة ما يعرف بـ«التنظيم الخاص»^(٢)، وهو جيش خاص بالجماعة، مسئول عن إزاحة وتصفية أعداء الجماعة، والدفاع عن الجماعة إذا استدعي الأمر حمل السلاح^(٣).

(١) نقول: وهذا أصل الداء ومكمن العلة في هؤلاء، فهو يريد أن نفهم الإسلام من خلال الأصول العشرين التي هي من وضعه! وهذا كمن يوجب على الناس أن ينظروا إلى الدنيا من سوء الخياط، بل الواجب أن نفهم هذه الأصول وغيرها وكل ما هو متعلق بالدين من خلال ما جاء عن الله ورسوله وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، وأما ما يدعوه إليه حسن البنا فإنما هو قلب للموازين وانتكاسة في الفطرة والعقول، والله المستعان.

(٢) وانظر في ذلك: «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين» مذكرات علي عشاوي آخر قادة التنظيم الخاص، و«تبريري مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري» للسيد عبد الستار، و«حقيقة التنظيم الخاص» لمحمود الصباغ، و«النقط فوق الحروف الإخوان المسلمون والنظام الخاص» لأحمد عادل كمال، وغيرها، وجميعها سطرتها أيدي إخوانية! ومن جمع كلامهم في هذا الباب وناقشه مناقشة علمية سلفية فضيلة الشيخ أبو العباس الشحراني في كتابه «التنظيم السري السياسي العسكري عند الإخوان المسلمين بأقلامهم».

(٣) قال خالد محمد خالد—أحد رجال الإخوان المعروفين—وله كتابات كثيرة بها أباطيل وضلالات—في كتاب «قصتي مع الحياة» (ص ٢٨٠ وما بعدها): «كذلك عرفت أن الأستاذ المرشد لم يفاجأ بهذا التنظيم يقترب عرشه، بل هو الذي فكر فيه وأنشأه واختار له قائده الأول محمود عبد الحليم، ولما غادر القاهرة سعياً وراء عمله ورزقه اختار قائده الثاني عبد الرحمن السندي، الذي لم يتم تعليمه الجامعي ووقف عند الثانوية العامة؛ حيث التحق بإحدى وظائف وزارة الزراعة، وكانت حبيبات تشكيله كما أعلن الأستاذ البنا في حينه:

أولاً: شن الحرب على الاستعمار البريطاني مثلاً في نفوذه وجيشه.

ثانياً: قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون إعاقة سيرها.

ثالثاً: إحياء فريضة الجهاد.

والذي يعنينا ونحن نشجب هذا التنظيم السري هو البند الثاني: قتال الذين يخاصمون الدعوة ويحاولون

تعويق سيرها... فلقد أسرف التنظيم في هذا السبيل إسراًًاً كان السبب الأوحد في تدمير الإخوان من الداخل والخارج، وكان السبب الأوحد في فقد الإخوان أثمن ما يملكون؛ حياة الأستاذ المرشد الذي ذهب في معركة ثأر شرسة وضاربة...». اهـ. ثم ذكر جرائم هذا التنظيم الخاص.

ونلاحظ فيما مضى:

أولاً: أن حسناً البناء هو المنشئ الأول لهذه التنظيمات في هذا العصر التي تشبه تنظيمات الباطنية والحساشية **ثانياً:** أن السحر قد انقلب على الساحر؛ فهذا حسن البناء الذي نفذ التعاوين في عقد (البيعة) فارتدى عليه سهامها فراح ضحيتها

ثالثاً: هذا التنظيم لم ينفذ منه واقعياً إلا البند الثاني، فأما الأول والثالث فتأمل في قول علي عشاوي -آخر قادة التنظيم الخاص- في مذكراته (ص ٨ وما بعدها): «وكان يعلم -أي: سيد قطب- أن قيادة النظام الخاص كانت مختربة من الأجهزة الغربية الاستعمارية وتعلمت لحسابها، وأن جميع الأعمال الكبرى التي يتفاخر بها الإخوان في تاريخهم قد تم تغريغها من نتائجها؛ فمثلاً حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار فإنهم لم يدخلوا إلا معارك قليلة جداً فيها، ثم صدرت من الشيخ محمد فرغلي الأوامر بعدم الدخول في معارك بحجة أن هناك مؤامرة بتصفية المجاهدين، ولكن هذا كان مبرره في الأساس لحماية اليهود من إحدى القرى الخطيرة إذا استعملت، وتم تنفيذ الأوامر وظل الإخوان في معسكرهم لا يحاربون إلى أن عادوا من فلسطين، وكان شباب الإخوان في غاية التوتر والقلق لعدم اشتراكهم في المعارك لدرجة أنهم اجتمعوا وقرروا أن الشيخ فرغلي قد خان وينبغي تصفيته، وفعلاً قرروا ذلك لو لا أن الخبر قد وصل إلى الشيخ فرغلي قد خان وينبغي تصفيته، وفعلاً صدرت له من القاهرة وأسبابها.

ومثلاً: هناك واقعة حادث فندق الملك جورج بالإسماعيلية، وقد كان هذا الفندق يقع بالإنجليز وبالجوسسيين في جميع الأشكال، وقد أراد الإخوان ضرب هذا الفندق ولكن حين تم التنفيذ تم إفراغ العملية من أي تأثير ضار بالإنجليز...

ولقد أورد الحادث الأستاذ صلاح شادي في «مذكراته» فقال: «والتقى أمننا داخل قسم الوحدات على القيام بعملية إرهاب في داخل فندق الملك جورج بإشعال عبوة ناسفة لا تؤدي إلى قتل أو إصابة بجسامته، وإنما تعلم فقط عن ملاحقة للعملاء والمخابرات الإنجليزية، وكلفنا الأخ رفت النجار من سلاح الطيران للقيام بهذه العملية بأن يحمل دوسيها به مادة ناسفة ويشعلاها ثم يتركها في ردهة الفندق إلى جوار الحائط خلف ستارة مدللة على حاجط الردهة، ثم ينهض بعد ذلك ويمضي خارج الفندق وجرى التنفيذ على أحسن وجه، ولكن ظهر للأخ رفت عند مغادرته المكان أحد رجال المخابرات من الإنجليز الذي اقترب من المكان، ولكن الآخر ظل ممسكاً بالدوسيه حتى انفجر فيه! ومات متأثراً

ثم قُتل حسن البنا^(١)، وخلفه في التخطيط والتنظير للجماعة «سيد قطب»^(٢)،

بجرأه، فقد خشي أن يقتل رجل المخابرات الإنجليزي! اهـ.
وهكذا فقد حافظوا على حياة الإنجليزـ. اهـ، كما حافظوا على حياة اليهود أيضـاً كما مضـى، وهذا اعتراف صريح منهم بالمعاملة لـلإنجليز واليهود، والاعتراف سيد الأدلة!
ولعلك تذكر ما قاله الغزالـي الإـخـوانـي في كتابه «من معالم الحق في كفاحـنا الإسلاميـ الحديثـ»:
«استقدمـت الجـمـاعة رـجـلاً غـريـباً عنـها ليـتـولـي قـيـادـتها وأـكـاد أـوـقـنـ بـأنـ مـنـ وـرـاءـ هـذـاـ الـاسـتـقـدـامـ أـصـابـعـ هـيـئـاتـ سـرـيةـ عـالـيـةـ أـرـادـتـ تـدوـيـخـ النـشـاطـ الإـسـلـامـيـ الـوـلـيدـ؛ فـتـسـلـلتـ مـنـ خـلـالـ التـغـرـاتـ المـفـتوـحةـ فيـ كـيـانـ جـمـاعـةـ هـذـاـ حـالـهـ وـصـنـعـتـ مـاـ صـنـعـتـ، وـلـقـدـ سـمـعـنـاـ كـلـاـمـاـ كـثـيرـاـ عـنـ اـنـتـسـابـ عـدـدـ مـنـ الـمـاسـونـ بـيـنـهـمـ الأـسـتـاذـ حـسـنـ الـهـضـيـبيـ نـفـسـهـ لـجـمـاعـةـ الإـخـوانـ، وـلـكـنـيـ لـأـعـرـفـ بـالـضـبـطـ كـيـفـ اـسـطـاعـتـ هـذـهـ الـهـيـئـاتـ الـكـافـرـةـ بـالـإـسـلـامـ أـنـ تـخـنـقـ جـمـاعـةـ كـبـيرـةـ عـلـىـ النـحوـ الـتـيـ فـعـلـتـهـ، وـرـبـماـ كـشـفـ الـمـسـتـقـبـلـ أـسـرـارـ هـذـهـ الـمـأسـاةـ». وهذا مصدقـاـقـ ما قالـهـ عـنـهـ الشـيـخـ الـمـحـدـثـ الـقـاضـيـ الشـرـعـيـ فـيـ مـصـرـ الـعـلـامـ أـحـمـدـ شـاـكـرـ رـحـمـهـ اللـهـ: «حرـكةـ الشـيـخـ حـسـنـ الـبـنـاـ وـإـخـوانـهـ الـمـسـلـمـينـ الـذـيـنـ قـلـبـواـ الـدـعـوـةـ إـلـىـ دـعـوـةـ إـجـرـامـيـةـ هـدـاماـ يـنـفـقـ عـلـيـهـاـ الشـيـوـعـيـوـنـ وـالـيـهـودـ، كـمـ نـعـلـمـ ذـلـكـ عـلـمـ الـيـقـيـنـ» فـيـ تـعـلـيـقـ عـلـىـ «ـتـقـرـيرـ عـنـ شـؤـونـ الـتـعـلـيمـ وـالـقـضـاءـ» (صـ٤ـ٨ـ).

وقد تواتـرـ عنـ العـلـامـ مـحـمـدـ حـامـدـ الـفـقـيـ رـحـمـهـ اللـهـ قـولـهـ عـنـ الـإـخـوانـ: «خـوـانـ الـمـسـلـمـينـ»، وقد عـاـيـنـ الناسـ سـنـينـ عـدـداـ خـيـانتـهـمـ، وقد ذـكـرـنـاـ لـكـ طـرـفـاـ مـنـهـاـ، فـهـاـ أـعـظـمـ بـصـيرـةـ وـفـرـاسـةـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ.

(١) ولـلـقـارـئـ فـيـ تـارـيـخـ جـمـاعـةـ «ـإـخـوانـ الـمـسـلـمـونـ» وـمـاـ حدـثـ قـبـيلـ قـتـلـ حـسـنـ الـبـنـاـ، مـنـ تـفـجـيرـاتـ وـقـتـلـ وـاغـتـيـالـاتـ، وـمـنـ ثـمـ سـجـنـ وـاعـتـقـالـاتـ، حـتـىـ لـمـ يـقـبـلـ خـارـجـهـاــ أيـ الـمـعـتـقـلـاتــ إـلـاـ حـسـنـ الـبـنـاــ ثـمـ خـرـوجـ بـعـضـ الـمـقـالـاتـ كـمـقـالـةـ حـسـنـ الـبـنـاـ وـالـتـيـ عـنـوـانـهـاـ: «ـلـيـسـواـ بـإـخـوانـ وـلـيـسـواـ بـمـسـلـمـينـ» وـمـاـ يـعـلمـ مـنـ الطـبـيـعـةـ الـمـزـاجـيـةـ وـالـعـقـلـيـةـ لـ«ـعـبـدـ الرـحـمـنـ السـنـدـيـ» رـئـيـسـ التـنـظـيـمـ الـخـاصـ، وـمـاـ عـلـمـ مـنـ حـرـصـ الـجـمـاعـةـ عـلـىـ الثـأـرـ لـرـجـالـهـ وـجـنـوـدـهـ، وـتـرـكـهـمـ هـذـاـ الثـأـرـ لـكـبـيرـهـاـ وـمـرـشـدـهـاـ، أـقـولـ لـعـلـ المـطـالـعـ لـذـلـكـ كـلـهـ يـرـبـطـ بـيـهـ وـبـيـنـ مـقـتـلـ حـسـنـ الـبـنـاـ!

(٢) قالـ أـيـمـنـ الـظـواـهـرـيـ فـيـ صـحـيـفـةـ الشـرـقـ الـأـوـسـطـ، عـدـدـ ٨ـ٤ـ٠ـ٧ـ فـيـ ٩ـ/ـ١ـ٩ـ هــ: «ـإـنـ سـيدـ قـطـبـ هوـ الـذـيـ وـضـعـ دـسـتـورـ الـجـهـادـيـنـ فـيـ كـتـابـ الـدـيـنـاـمـيـتـ مـعـالـمـ فـيـ الـطـرـيـقـ».

ويـقـولـ أـبـوـ مـصـعـبـ السـوـرـيـ فـيـ «ـدـعـوـةـ الـمـقاـوـمـةـ» (صـ٦٩٣ـ): «ـفـجـسـدـ كـتـابـ (ـالـعـالـمـ) وـفـكـرـ سـيدـ عـمـومـاـ، فـكـرـ الـحـاكـمـيـةـ وـالـتـهـاـيـزـ وـالـمـفـاـصـلـةـ، وـبـالـتـالـيـ الـحـكـمـ بـالـكـفـرـ وـالـرـدـةـ عـلـىـ أـنـظـمـةـ الـحـكـمـ الـقـائـمـةـ وـالـدـعـوـةـ الـصـرـيـحـةـ بـجـهـادـهـاـ وـرـسـمـ مـعـالـمـ طـرـيـقـ هـذـاـ الـجـهـادـ...ـ».

ولـلـعـلـكـ تـلـحـظـ فـيـ إـصـدـارـاتـ دـاعـشـ الـتـيـ يـنـشـرـ وـهـنـاـ عـلـىـ الشـبـكـةـ وـفـيـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـامـ أـنـهـ لـاـ يـكـادـ يـخـلـوـ إـصـدارـ مـنـ نـقـلـ وـاسـتـدـلـالـ بـكـلـامـ سـيدـ قـطـبـ، فـضـلـاـ عـلـىـ أـنـهـ لـاـ يـكـادـ يـمـسـكـ بـأـحـدـهـمـ أـوـ يـقـتـلـ، إـلـاـ وـبـيـنـ يـدـيـهـ أـوـ

َفِيَّةُ نَظِيمِ الرَّأْلَهِ رَاعِشٌ

والذي بلور قضية التكفير، وأظهر ما كان مخفياً، وصرح بها لمح به من سبقه^(١)؛ فاعتبر المساجد معابد والديار ديار كفر^(٢)! وأن البشرية ارتدت عن لا إله إلا الله! التي لا تعني -في تصوره وتعريفه- إلا أن الحاكمية لله^(٣)؛ فأعظم الشرك عنده الحكم بغير ما أنزل الله؛ إذ الألوهية هي مرادف «الحاكمية»^(٤)!

على صدره كتب سيد لا سبيا (الظلال) و(معالم في الطريق).

(١) وأما ما يزعمه التيار البَنَائِي من الإخوان -أتباع البنا- من أمثال مختار نوح وكمال الهمباوي وغيرهما من أن فكر التكفير دخل على الجماعة مع دخول قطب والقطبيين فهو زعم باطل ودعوى تردها الحقيقة؛ حيث استحلت الجماعة دماء مخالفيها في الدعوة والحكومات والقضاء(وكان هذا قبل انتساب سيد قطب للجماعة فهم على التكفير قبله ومعه وبعده)؛ ولذلك حذر العلماء صريحاً من جماعة الإخوان واتهموها بالخارجية قبل موت البنا وقبل دخول سيد قطب في الجماعة بستين، وأظهر دليل على ذلك مقالة «إليان قيد الفتى» للعلامة أحمد شاكر؛ حيث قال عن الإخوان: «إنهم خوارج العصر». انظر المقالة في جهرة: «المقالات للشيخ أحمد شاكر رحمه الله».

(٢) قال سيد قطب في «ظلال القرآن» (١٨١٦/٣): «اعتزَّ الْمَعَابِدُ الْجَاهِلِيَّةُ وَاتَّخَذَ بَيْوَتُ الْعَصَبَةِ الْمُسْلِمَةِ مَسَاجِدَ، تَحْسُّ فِيهَا بِالانْزِعَالِ عَنِ الْمَجَامِعِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَزَوَّلُ فِيهَا عَبَادَتُهَا لِرَبِّهَا عَلَى نَبْعَجَ صَحِيحَ وَتَزَوَّلُ بِالْعِبَادَةِ ذَاتَهَا نَوْعًا مِّنَ التَّنْظِيمِ فِي جَوِّ الْعِبَادَةِ الطَّهُورِ».

(٣) بينما المعنى الصحيح لكلمة التوحيد: أنه لا معبد حق إلا الله، فلا يستحق العبادة أحد غير الله، والعبادة هي: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وانظر كتاب «التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وشروهاته.

(٤) قال سيد قطب في «ظلال القرآن» (٩/١٥٧): «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله، فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددتها، ودون أن يرفض شرعية «الحاكمية» التي يدعى بها العباد لأنفسهم - وهي مرادف الألوهية - سواء أدعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب؛ فالأفراد كتشكيلات كالشعوب ليست آلة؛ فليس لها إذن حق الحاكمية.. إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدىت عن لا إله إلا الله؛ فأعطيت هؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء..

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض وغاربها كلمات: «لا إله إلا الله» بلا مدلول ولا واقع.. وهؤلاء أنقل إثنا وأشد عذابا يوم القيمة، لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم المدى - ومن بعد أن كانوا في دين الله! فما أحوج العصبة المسلمة اليوم أن تقف

وباتت فكرة التكفير والدعوة إلى الثورة والانقلاب^(١) على سائر أنظمة الحكم تسيطر على كتاباته ومقالاته^(٢)، وتابعه على ذلك أخوه محمد قطب^(٣)، فصارا من كبار

طويلاً أمام هذه الآيات البينات!».

وفي «ظلال القرآن» (٣/١٣٤٦): «إن ربوبية الله للعالمين تعني أول ما تعني إبطال شرعية كل حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة الله وأمره، وتنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس له من دون الله بإخضاعهم لشرعه هو وأمره... واجهه بهذه الحقيقة المائلة بوصفه رسولًا من رب العالمين.. ملزماً وأخوذاً بقول الحق على رب الذي أرسله».

(١) يقول سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/١٤٥١): «لعلك تبيّنت مما أسلفنا آنفًا أن غاية الجهاد في الإسلام هي هدم بنية النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة... مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصرة في قطر دون قطر، بل مما يريدونه الإسلام ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء العمومرة.. هذه غاية العلية، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين، أو أعضاء «الحزب الإسلامي» عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعى وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها، أما غايتها العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض، وذلك أن فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تدعو الناس جميعاً إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلاً أن تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمّة أو قطر، بل الحق أنها مضطّرة بسجيتها وجلتها أن تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها، ولا تغفل عنها طرفة عين؛ فإن الحق يأبى الحدود الجغرافية، ولا يرضي أن ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها؛ فالحق يتحدى العقول البشرية التزّيجية».

(٢) يقول سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/١٥٠٨) أيضًا: «إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمة البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور.. أو بتعبير آخر مرادف: الألوهية فيه للبشر في صورة من الصور...».

(٣) يقول محمد قطب في كتابه «واقتنا المعاصر» (ص٢٩): «إن الأمر يحتاج إلى دعوة الناس من جديد إلى الإسلام، لا لأنهم -في هذه المرة- يرفضون أن ينطقوا بأفواههم لا إله إلا الله محمد رسول الله كما كان الناس يرفضون نطقها في الغربية الأولى، ولكن لأنهم في هذه المرة يرفضون المقتضي الرئيسي لـ «لا إله إلا الله»، وهو تحريم شريعة الله والامتثال لنهاج الله، وإن كان ألف مليون من البشر من المحيط إلى المحيط ينطّقون بأفواههم كل يوم: لا إله إلا الله محمد رسول الله! وهذه هي حقيقة «الغربية»

المنظرين لل الفكر التكفيري إضافة إلى «أبي الأعلى المودودي»^(١) فتولد من زواج التكفير

التي يعانيها الإسلام اليوم في الأرض، رغم ملايين المصاحف التي تطبع، ومئات المحطات الإذاعية والتلفزيونية التي ترتل القرآن وتذيعه علي الناس، وترسمه -في الأحاديث والدروس الدينية- لمن شاء من الناس الاستماع!».اهـ

وقال أيضًا: «وفرغت لا إله إلا الله من محتواها كله تحت ضغط الأمر الواقع وبتأثير الغزو الفكري المسموم، وأصبحت مجرد كلمة تنطق باللسان، ويحسب قائلها أنه قد حاز الإسلام كله بمجرد نطقها بلسانه، وأنه قد قام «بشهادته» المطلوبة منه، وأن الجنة تنتظره في نهاية المطاف مهما يكن قلبه غافلاً عن حقيقتها ومهما يكن سلوكه متناقضًا مقتضاها..».

وجاءت حركة الإمام الشهيد [يريد سيد قطب ولا يخفى عليك أنه لا يجوز الحكم على أحد بالشهادة إلا بمحض ثقليته!] والأمة على هذا النحو.. إلا من رحم ربك من فتح الله عليه بمعرفة حقيقة الشهادة وحقيقة الدين..

وقام الإمام الشهيد -كما بینا- بتصحيح جانب من العطب الذي أصاب «لا إله إلا الله» في قلوب المسلمين ذلك الجانب الذي كانت قد أفسدته الصوفية والفكر الإرجائى ثم دعا إلى تحكيم شريعة الله وإلى وجوب إقامة الدولة المسلمة التي تحكم بشرعية الله ووجد استجابة الجماهير من حوله فاطمأن إلى هذا الظاهر».

تحكيم شريعة الله -وحدها دون سواها- والتحاكم إلى شريعة الله -وحدها دون سواها- هو أول مقتضيات لا إله إلا الله التي لا تكون بدونها قائمة ولو نطقها الإنسان بلسانه ألف مرة كل نهار!».اهـ

أرأيت أيها القارئ الكريم؟ إنه تكثير المجتمعات المسلمة جملة؛ والاتكاء على أصل الأصول عندهم «الحاكمية» فهي عندهم المقتضي الرئيسي لـ«لا إله إلا الله»! وأول مقتضياتها لا توحيد العبادة! تنبئ بهم: أن هؤلاء الذين يرمون أهل السنة بالإرجاء هم مرحلة يشهدون لأنفسهم بالجنحة، وهل الحكم بالشهادة إلا قطع بالجنحة، والخوارج هم المرجئة كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله.

(١) يقول أبو مصعب السوري مؤرخهم في كتابه «دعوة المقاومة» ص ٦٩٥: «ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي ومحضنه الفكرى الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربى والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي؛ وكان هذا الفكر الحركي الذى تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر (القطبي) -نسبة إلى سيد رحمه الله-، وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمد قطب من بعده، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المسلمين في السبعينات من مختلف البلاد... أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية، من بلاد نجد والحجاز».

وحمل السلاح مولود مشوه! إذ خلفهم على ذلك عدة تلاميذ تلمندوها على كتبهم ومقالاتهم ونشئوا على أفكارهم^(١)، من أشهرهم «شكري مصطفى» مؤسس التكفير والهجرة، والتي من آثارها التوقف والتبيّن.

ومن أشهرهم أيضًا سيد إمام الشريف، المعروف بينهم باسم «الدكتور فضل» وكان يخرج كتبه قديمًا باسم «عبد القادر عبد العزيز»! وكتبه في هذا الباب تعد من أكبر المراجع عند هؤلاء القوم، وهو يعد شيخًا لأيمن الظواهري قبل وبعد سفره إلى باكستان في عام (١٤٠٣ هـ) الموافق (١٩٨٣)^(٢).

ويقول في (ص ٦٦٣): «فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهادي؛ حيث طرح فكر الحاكمة والولاء والبراء والتمييز والمفاصلة... وكان رائد هذه الصحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطب رحمه الله، وكان للأستاذ أبي الأعلى المودودي رحمه الله في باكستان مساهمة فذة كذلك، وتالت المساهمات. وتكونت القاعدة الأولى للفكر الجهادي الحركي الذي مالبث أن انتشر وبدأت تتكون نوياته في مصر ثم الشام ثم شمال إفريقيا وغيرها...».

(١) يقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٧٣٧): «وقد سمعت من الدكتور (أيمان الظواهري) في بعض تسجيلاته -ولعلني سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضًا- أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكرة قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره... لتحول تلك النشاطات فيها بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري الذي اعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عملية اغتيال أنور السادات (١٩٨١)، وما زالت قيد السجن إلى يومنا هذا».

(٢) كما ذكر ذلك في حواره مع مجلة الحياة (ص ٦): وقال أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٧٤٠): «ولكن من الأهمية بمكان، أن نذكر أن المدرسة الفكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرز والأهم والأراسخ في هذا القرن الأخير... فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله، والتي تضم أساسيات الفكر الجهادي المعاصر... ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثرٍ وهم، كان من أهمه... كتاب «العملة في إعداد العدة» للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، وكتابه القيم الآخر «الجامع في طلب العلم الشريف»، والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه باسم «المادي إلى سبيل الرشاد»، وكذلك سلسلة من النشرات الهمامة التي أصدرها تباعًا في بيشاور خلال الفترة ١٩٨٨-١٩٩٢». اهـ.

وأما قول السوري: «والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه»، فإنه من تصرف الظواهري ومن غير إذن سيد إمام المعروف باسم «عبد القادر عبد العزيز»، ولذلك نال الظواهري ما ناله من سيد إمام جراء

ومن كبار تلاميذهم أيضاً «عبد الله عزام» وهو المنظر للجهاد منذ أن سافر إلى باكستان مدرساً، فاقترب من الأفغان الذين كانوا لثلاث سنوات خلت يحاربون الاتحاد السوفياتي، ثم أسس مكتب خدمات للمجاهدين عام (١٤٠٤ هـ) الموافق (١٩٨٤)، وأسس مجلة «الجهاد» والتي نشر من خلالها أفكاره وتنظيراته، وكان من ضمن نظرياته أن الجهاد وتحرير أفغانستان يبدأ بالخلص من حكام المسلمين الكفار! فالعدو القريب قبل العدو البعيد !

وقد كان عبد الله عزام هو الأب الروحي لـ«أسامي بن لادن» الذي كان يُغدق

تعديه على حقوق الآخرين وتصرفه في مؤلفات غيره لتنصر هواه، وهذا شأن أهل الأهواء، وسيأتيك شيء من بيان ذلك إن شاء الله.

(١) وهذه الأسماء التي ذكرتها هي أسماء المنظرين لهؤلاء الخارجين
وتأكيده ما ذكره أبو مصعب السوري في مرجعهم «دعوة المقاومة» (ص ١٥٣): «ومن علماء ودعاة التيار
الجهادي الشهيد سيد قطب. والشهيد عبد الله عزام، وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإسلامية في مصر -
قبل نقض الغزل أنكاثاً - وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن والشيخ رفاعي طه، وكذلك جماعة
الجهاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز - الذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته
إلى مصر في مارس (٢٠٠٤) -. والدكتور الشيخ المجاهد أيمن الظواهري، ومن سوريا الشهيد مروان
حديد وتلاميذه وغيرهم من العلماء والدعاة. ومن الأردن الشيخ أبو محمد المقدسي».

وفي «دعوة المقاومة» أيضاً (ص ١١٣) يقول: «وأنا صاحب عموماً لترسيخ العقيدة الجهادية بمؤلفات الشهيد
سيد قطب رحمه الله، ومؤلفات الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، كما أنا صاحب جدًا بمؤلفات الشيخ عبد
الله عزام وهو مدرسة كاملة في الفكر والتربية، كما أنا صاحب بمكتبة الجماعات والتنظيمات الجهادية، ومن
ذلك مؤلفات الشيخ عمر عبد الرحمن، والشيخ أيمن الظواهري، ومؤلفات الشيخ أبو المنذر الساعدي
الليبي، وإنما أنا صاحب جماعاتهم الجهادية في مصر ولبيا، ومن المكتبات الفكرية الجهادية النافعة مؤلفات
الشيخ أبو محمد المقدسي، والشيخ محمد الفرازي المغربي، ومكتبة الأستاذ محمد قطب حفظه الله،
ومؤلفات الأستاذ أبو الأعلى المودودي رحمه الله. أهـ. ونحن لا ننصح بأي من هذه المؤلفات بل نحذر
منها أشد التحذير لما سيأتيك من خلال هذا الكتاب من بيان ضلال هؤلاء جميعاً، وإنما ذكرنا هذا النقل
عن مؤرخهم توثيقاً لما ذكرنا، ولنعلم الأصول الفكرية لهؤلاء الدواعش، والمتبوع الكذر الذين استقوا
منه فكر الخارجين، فانتبه بارك الله فيك !

على المكتب والمجلة بأمواله الطائلة^(١)، وقد قام بعدً بالاستقلال عن مكتب الخدمات وقام بإنشاء تنظيم «قاعدة الجهاد» عام (١٤٠٨هـ) الموافق (١٩٨٨) - وكان ساعده الأيمن بعدُ فيه هو «أيمن الظواهري» وتم إنشاء هذا التنظيم ليكون خاصًا بالوافدين العرب^(٢)!

وظل هذا التنظيم -أعني: القاعدة- يستمر في الانتشار في الدول العربية مستعيناً ومعتمداً على الحالة النفسية التي يعانيها كثير من الشباب المتحمس الذي تغلبه غيرته على دينه، لاسيما مع ما يرى من محرماتٍ وانتهاكاتٍ للشريعة! كما اعتمدوا على شعار «إعادة الفريضة الغائية فريضة الجهاد»^(٣) وكذلك ما قام عليه منهجمهم من تكفير جميع الحكام، والترويج لفكرة «شغور الزمان من حاكم شرعي»^(٤)، يقولون: لاسيما وقد

(١) انظر ما جاء في وصية عبد الله عزام بشأن أسامة بن لادن.

(٢) «دعوة المقاومة» لأبي مصعب السوري (ص ٧١٠)، وكتاب «الشهيد عبد الله عزام رجل دعوة ومدرسة جهاد» لحسني أدهم جرار، هكذا سباه صاحبه، واعلم أن الحكم بالشهادة لمعن لم يشهد له الوحي مخالف لمنهج النبي ﷺ؛ لأن هذا الأمر غريب والغريب لا يعلم إلا بالوحي!

(٣) وفي ذلك وضع محمد عبد السلام فرج كتابه «الفريضة الغائية» والذي جمع أشتات فكر خوارج العصر ونسقه وطبع في (١٩٨٠) قبيل مقتل السادات حاكم مصر آنذاك، وهذا الكتاب من الكتب التي يبنون عليها دعائم فكرهم.

(٤) ومن يقول بفكرة «شغور الزمان...» ما يسمى بالدعوة السلفية بالأسكندرية -وليسوا بسلفيين في الحقيقة- وهذه الفكرة هي بعينها فكرة «ولاية الفقيه» التي اخترعها المايك الخميني والتي تحالف معتقد الشيعة أنفسهم!

والحقيقة أن الخميني تأثر به كثير من الشباب المتحمس في هذا الوقت لاسيما الذين يتسبّبون إلى ما يسمى بالجماعات الإسلامية!

وبسبب ذلك: هو القاسم المشترك بين الجميع؛ فكرة الثورة والانقلاب التي مرت معنا منذ قليل!
يقول المؤودودي: «إن ثورة الخميني ثورة إسلامية والقائمون عليها هم جماعة إسلامية، وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة، أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتعاون معها في جميع المجالات» مجلة الدعوة عدد (٣٩) سنة (١٩٧٩).

عقد هؤلاء الحكام المدنسات والمعاهدات مع الكفار الذين يحاربون المسلمين في بلاد أخرى! ولذا فإن الشباب يعيشون في ديار كفرية يجب عليهم إما تغييرها أو الهجرة منها!

ومن هنا انتشر فكر «القاعدة» بل انتشرت هي بذاتها وصار لها في كل دولة إمارة، ومن تلك الدول، دولة العراق والتي صارت مناخاً مناسباً! لظهور فكر القاعدة لاسيما بعد دخول الأميركيان في (١٤٢٣هـ) الموافق (٢٠٠٣م).

لقد كان أمير القاعدة في العراق هو «أبو مصعب الزرقاوي» والذي كان قبل ذلك أميراً لجماعة «التوحيد والجهاد»، ثم بايع أسامة بن لادن، وصار أميراً للقاعدة في بلاد الرافدين، ثم جمع الكتائب والفصائل المقاتلة في العراق تحت «مجلس شورى المجاهدين» حتى مات أبو مصعب في (١٤٢٦هـ) الموافق (٢٠٠٦)، فخلفه على إمارة القاعدة في العراق «أبو حمزة المهاجر» وهو الذي أعلن عن انخراط تنظيم القاعدة واندماجه مع تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق» في هذا العام.

وهنا ولد تنظيم الدولة الإسلامية، وانتسب لأب ظنه شرعياً! هو «تنظيم القاعدة»، فبايع أبو حمزة المهاجر «أبا عمر البغدادي» أميراً للدولة الإسلامية في العراق! فصارت القاعدة وهذا التنظيم شيئاً واحداً^(١)، وقد أرسل أبو حمزة المهاجر رسالة إلى أميرهم أسامة بن لادن يبيّن فيها أن مجلس شورى المجاهدين قد أخذ العهد على أبي عمر البغدادي أن ولاءه لأمير القاعدة أسامة بن لادن، وأن الدولة تابعة لجماعة «قاعدة الجهاد»^(٢).

وهذا ما كان وكان الإخوان من أوائل المسارعين إلى طهران = إيران فعجبوا لقوم يكفرون المسلمين بغير حق ويترضون على من أجبع المسلمين على كفرهم.

(١) مرجع: كلمة صوتية لأبي بكر البغدادي بعنوان «وبشر المؤمنين إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام».

(٢) كما يبيّن ذلك أمير تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، في كلمة بعنوان: «شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام».

وأبو عمر البغدادي هو المؤسس لهذا التنظيم -أعني: تنظيم الدولة الإسلامية في العراق- وظل أميره إلى أن قتل في (١٤٣١ هـ) الموافق (٢٠١٠)، ثم تم عقد البيعة بالإمارة لـ«أبي بكر البغدادي» وهو أميرهم الحالي، والذي أظهر وأبان عن ولاء «الدولة» لتنظيم قاعدة الجihad، وأن مشايخ تنظيم القاعدة هم ولاء أمره^(١).

وأكده أبو محمد العدناني -المتحدث الرسمي باسم الدولة الإسلامية في العراق والشام-، في كلمته «عذراً أمير القاعدة» كما سيأتي -إن شاء الله-.

(١) كما بينه الظواهري في كلمته «شهادة لحقن دماء المسلمين بالشام».

وهذا ما حاول أبو محمد العدناني -المتحدث باسم «داعش»- ردّ وتكذيبه في كلمة صوتية بعنوان: «عذراً أمير القاعدة».

ولكنه بدلاً من تكذيبه قام بتأكيده! وكذب هو وتناقض! فقال في بداية كلمته: «أيها المجاهدون أيها الناس أغيروا سمعكم فإن حديثي له ما بعده، أغيروا سمعكم أغلب لكم بعضاً من كلام مشائخنا وقادتنا وأمرائنا قادة القاعدة قاعدة الجihad...» ثم ذكر كلاماً لأسامه بن لادن وغيره في تكفير الحكام ومن تحاكم إليهم ثم قال: «هذه هي قاعدة الجihad التي عرفناها وهذا هو منهاجها، ومن بدلها استبدلناه، هذه هي القاعدة التي أححبناها، هذه هي القاعدة التي واليناها، هذه هي القاعدة التي ناصرناها... وباتت نفوتنا لا تطاعون غير قيادتها... ولأجل هذا أرسلت الدولة عبر أبي حمزة المهاجر رسالة إلى قيادة القاعدة تؤكد فيها ولاء الدولة لرمز الأمة المتمثلين بالقاعدة وتخبرهم أن الكلمة لقيادة الجihad في العالم لكم برغم حل تنظيمكم على أرض الدولة... ولأجل ما ذكرناه كله ظل أمراء الدولة الإسلامية يخاطبون قاعدة الجihad خطاب الجنود للأمراء».

ثم أكد أن الرسائل التي أخرجها أيمان الظواهري رسائل صحيحة ولكن ما كان ينبغي أن يخرجها لأنها رسائل سرية فقال: «...إذ تعسفت في إخراج مقاطع من رسائل سرية على الإعلام...».

فأكيد أن أسامه والقاعدة هم قادته وقادة دولته وولاة أمورهم، وأكد صحة هذه الرسائل التي أخرجها الظواهري، فانتبه لهذا جيداً أيها القارئ الليب؛ فإن سبب هذه الكلمة هو قول أيمان الظواهري أن تنظيم الدولة تابع لتنظيم القاعدة وأن قادته هم أمراؤهم وقادتهم، فرد عليه أبو محمد العدناني في هذه الكلمة يريد أن ينفي تبعية «الدولة» لـ«تنظيم»، فإذا كان؟! لقد أثبت ما أراد نفيه ونفى ما أراد إثباته! ومن العجيب مع ما تعلمه من شدة الخلاف الواقع حالياً بين القاعدة والدولة! أن تسمع هذه الكلمة من أبي محمد العدناني عقب قتل أسامه بن لادن في كلمة صوتية بعنوان: «إن دولة الإسلام باقية» حيث قال: «كما أخص الشيخ الجليل، والمعلم الموقر، والقائد المحنك، حكيم الأمة الدكتور أيمان الظواهري أبو محمد، ونبارك له موقعه الجديد، ونسأل الله أن يعينه على أداء هذه الأمانة، ويوفقه إلى خير ما يحبه

ولقد أتني على أسامة بن لادن ووصفه بأنه شهيد الإسلام -كما يحسبه هو!- إمام زمانه وسيد عصره فخر الأمة وتابع عزها الجديـد!^(١) ظل الأمر في تنظيم الدولة على هذه الحال، حتى قام ما يسمى بـ«الربيع العربي»^(٢) واندلعت الثورات في البلاد العربية وكان من بينها «سوريا» فخرجت كلمة من أيمن الظواهريـ بعنوان «عز الشرق أوله دمشق» يدعو فيها للجهاد في سوريا.

وقد كان «أبو محمد الجولاني»^(٣) في ذلك الوقت في العراق، واقتصر على أبي بكر البغداديـ مشرـعاً للجهاد في سوريا، فخوله أبو بكر ذلك، ووضع ثقته فيه ليكون قائداً لـ«جبهة النصرة»، وأخذـت الجبهة توسعـ في الشـام، ومن ثمـ أعلن أبو بكر البغداديـ في (٢٨) جـمادـى الأولى (١٤٣٤ هـ) الموافق (٩/٤/٢٠١٣) عبرـ كلمة بـعنـوان: «وبـشـرـ المؤـمنـينـ» أنـ جـبـهـةـ النـصـرـةـ هيـ فـرعـ لـتـنظـيمـ الدـوـلـةـ فيـ الشـامـ، وأنـ أـبـاـ مـحـمـدـ الجـولـانـيـ هوـ أـحـدـ جـنـودـ دـوـلـةـ العـرـاقـ إـلـاسـلامـيـةـ، وـأـنـ يـنـاصـفـ معـهـ شـهـرـيـاـ ماـ

وـبـرـضـاهـ. اـهـ.

ولـعـلـكـ بـهـذـاـ تـذـكـرـ حـدـيـثـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـلـامـ فـيـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ رقمـ (٣٣٢٩): «... قـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللهـ، إـنـ يـهـوـدـ قـوـمـ بـهـتـ، إـنـ عـلـمـوـاـ إـيـسـلـامـ قـبـلـ أـنـ تـسـأـلـمـ بـهـتـونـيـ عـنـدـكـ، فـجـاءـتـ الـيـهـوـدـ وـدـخـلـ عـبـدـ اللهـ، الـبـيـتـ،

فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ: «أـيـ رـجـلـ فـيـكـمـ عـبـدـ اللهـ بـنـ سـلـامـ؟» قـالـواـ: أـعـلـمـنـاـ، وـابـنـ أـعـلـمـنـاـ، وـآخـيرـنـاـ، وـابـنـ آخـيرـنـاـ، فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ: «أـفـرـأـيـتـ إـنـ أـسـلـمـ عـبـدـ اللهـ؟» قـالـواـ: أـعـاذـهـ اللهـ مـنـ ذـلـكـ، فـخـرـجـ عـبـدـ اللهـ إـلـيـهـمـ فـقـالـ: أـشـهـدـ أـنـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـأـشـهـدـ أـنـ مـحـمـدـ رـسـوـلـ اللهـ، فـقـالـواـ: شـرـنـاـ، وـابـنـ شـرـنـاـ، وـوـقـعـوـاـ فـيـهـ. (١) فـيـ أـوـلـ كـلـمـةـ صـوـتـيـةـ لـهـ بـعـنـوانـ: «وـيـأـبـيـ اللهـ إـلـاـ أـنـ يـتـمـ نـورـهـ».

(٢) وـهـوـ خـرـيفـ جـدـبـ، أـوـ هـوـ رـبـيعـ الغـرـبـ! لـمـ يـعـدـ عـلـىـ الـبـلـادـ الـمـسـلـمـةـ إـلـاـ بـالـخـرـابـ وـالـدـمـارـ كـمـ هـوـ مـشـاهـدـ، وـجـاءـتـ بـبـيـانـ فـسـادـهـ الـأـحـادـيـثـ كـمـ سـيـأـتـيـ إنـ شـاءـ اللهـ- وـهـذـاـ مـنـ أـعـلـامـ نـبـوـتـهـ.

(٣) وـهـوـ أـمـيـرـ جـبـهـةـ النـصـرـةـ الـحـالـيـ.

(٤) ذـكـرـ ذـلـكـ الجـولـانـيـ نـفـسـهـ، فـيـ مـقـطـعـ صـوـتـيـ بـعـنـوانـ: «بـيـانـ مـنـ أـبـيـ مـحـمـدـ الجـولـانـيـ تـعـقـيـباـ عـلـىـ إـعـلـانـ دـوـلـةـ الـعـرـاقـ وـالـشـامـ»، وـذـكـرـهـ أـبـوـ بـكـرـ الـبـغـدادـيـ أـيـضاـ فـيـ كـلـمـةـ «وـبـشـرـ المـؤـمـنـينـ إـعـلـانـ دـوـلـةـ إـلـاسـلامـيـةـ فـيـ الـعـرـاقـ وـالـشـامـ».

يأتيهم في «بيت مال المسلمين»!

وأعلن عن انضمام جبهة النصرة للدولة الإسلامية في العراق، واتحادهما ليكونا شيئاً واحداً تحت مسمى «الدولة الإسلامية في العراق والشام» والمحتصر إعلامياً في «داعش» ودعا الجولاني وغيره من جنود الشام إلى «الارتقاء من الأدنى إلى الأعلى»^(١)!

فكان هذا البيان صدمة لكل من الطواهري^(٢) والجولاني^(٣) وأتباعهما في كل مكان^(٤)، وهو الشيء الذي عبر عنه كل من الطواهري والجولاني بقولهما: لم يستأمر ولم يستشر فيه، وأنه مخالفة للتوجه العام للقاعدة ومخالفة لرعاة المصالح والسياسة الشرعية.

واعتبروا ذلك فرضاً من الدولة لنفسها على الفصائل والجماعات الجهادية، وأنها انشقت وخرجت عن طاعة قادتها في تنظيم «قاعدة الجihad»، ومن ثم قام أبو محمد الجولاني بإصدار بيان حول بيان أبي بكر البغدادي، وكان مما جاء فيه: أن الدولة تبني بسواعد الجميع من شاركوا في الجهاد، لا بفصيل واحد! وأنه قد استجاب لطلب أبي بكر البغدادي «بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى» ولذلك قام بتجديده بيعته لأميره «أيمن الظواهري»! أمير قاعدة الجihad.

ومن هنا قام الخلاف بين جبهة النصرة وبين «داعش» التي تعتبر أن جبهة النصرة فرع لها في الشام، وأن خطاب الجولاني الأخير يعد انشقاقاً وخروجاً عن

(١) وقد وضح أبو محمد العدناني: أن الدولة سارعت بإعلان انضمام الشام خوفاً من انشقاقات حدثت من جبهة النصرة فسارعت الدولة بالإعلان لردع حركة الانشقاقات! في كلمة بعنوان: «فذرهم وما يفترون».

(٢) مقطع صوتي «شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام».

(٣) مقطع صوتي «بيان من أبي محمد الجولاني تعقيباً على إعلان دولة العراق والشام».

(٤) وهذا ظاهر جداً في ردة الفعل من منظريهم كالمسعرى والمقدسى والعلوان وأبى قتادة الفلسطينى وغيرهم.

طاعة أميره أبي بكر البغدادي! وخيانة منه لأميره! والخيانة ثمنها معلوم^(١) حتى جاء بعد ذلك أمر أيمن الظواهري باعتباره أمير تنظيم قاعدة الجهاد وهو التنظيم الأم، وكان ملخصه: فصل تنظيم الدولة عن الشام، وأن تبقى ولايتها على أهل العراق، ووكل «أبا خالد السوري» للإصلاح وفصل النزاع بينهم. الأمر الذي أغضب أتباع تنظيم الدولة! واعتبروا ما فعله الجولاني خيانة لهم، وامتد الخلاف وتجاوز جبهة النصرة إلى أن وصل إلى تنظيم القاعدة فقد اعتبروه هو وأميره الظواهري قد خالف منهج الأوائل كعبد الله عزام وأسامة بن لادن وغيرهم لما قبل بيعة الجولاني له!

واشتد النزاع وكان بينهم صولات وجولات، ومن ثم لم يعتبر تنظيم الدولة بما قاله الظواهري بدعوى أنه حكم من قاضٍ لا أمر من أمير! وأنكروا أنهم أتباع القاعدة!^(٢)، وامتنعوا عن طاعة أمره، أو بتعبيرهم: تنفيذ حكمه؛ لأن به مخالفات شرعية ومنهجية، كما قال ذلك أبو بكر البغدادي^(٣)، وفصّله أبو محمد العدناني^(٤). ومبني ما ذكره في بيان هذه المخالفات على أن ما صدر من الظواهري حكم من قاض لا أمر من أمير؛ ولذلك خرج أيمن الظواهري يبيّن أنهم –أي: تنظيم الدولة–

(١) ومع هذا الواقع المشاهد؛ فإن أبو محمد العدناني لم يستح و قال في كلمته «لن يضروكم إلا أذى»: «ومن أعظم وأقبح ما يُفترى علينا و تُتَهَّمُ به: أن الدولة تجبر الناس على بيعتها، وتزعم أنها حسراً الطائفة المنصورة، والأقبح من ذلك: أنها تعتبر من مخالفها الرأي من الجماعات والفصائل أو من يأبى مباعتها أو لا يرى المصلحة في وجودها: أنه أصبح مِنَ الأعداء ومن الصحوات ... حلال الدم، ولا بد من التعامل معه بطريقة التعامل مع الصحوات، نعوذ بالله من هذه الافتراضات! أو أن نعادي أية جماعة أو فتنة أو كتيبة: لمجرد أنها تختلفنا الرأي، أو لمجرد أنها تأبى مباعية الدولة ... بل إن سياسة الدولة الإسلامية في العراق والشام في هذه المرحلة: هي نصرة المظلومين، ودفع العدو الصائل، والكف عن كف عنها».

(٢) في كلمة للمتحدث الرسمي أبي محمد العدناني بعنوان: «عذرًا أمير القاعدة».

(٣) في كلمة بعنوان: «باقيَةُ فيِ العِرَاقِ وَالشَّامِ».

(٤) في كلمة بعنوان: «فذرهم وما يفترون».

أتباع لتنظيم القاعدة، وأن قادة تنظيم القاعدة أمراء لهم، من كلامهم وخطاباتهم ورسائلهم إلى القاعدة، فعندئذ يجب عليهم السمع والطاعة^(١).

ثم تم قتل «أبي خالد السوري» وأتهم أتباع تنظيم الدولة بقتله، فخرج بيان نصي من «داعش» أنها لم تأمر ولم تستأمر في قتل أبي خالد السوري، وأن القرارات لا تؤخذ من الجنود وأحاديث الرجال، وإنما من القادة وللجنة الشرعية بالدولة! وأخرج أبو محمد الجولاني رثاء لأبي خالد السوري وحذّر أتباع تنظيم الدولة إن لم تكف عما تفعل أن يقتلها من جذورها من العراق!

وتفاكمت الخلافات بينهم جميعاً، ثم قام «تنظيم الدولة» -على عادته من العجلة في مواجهة مخالفيه- بإعلان «الخلافة الإسلامية»^(٢) ! على العالم كله! وإلغاء اسم (دولة العراق والشام)، وأن أبو بكر البغدادي هو خليفة المسلمين! الذي يجب

(١) في الكلمة بعنوان: «شهادة لحقن دماء المسلمين في الشام».

(٢) وكان هذا الإعلان ينحرفهم من التبعية لتنظيم قاعدة الجهاد، ولذلك أخذوا يرددون بعد أنه لا يمكن أن تخضع دولة وخلافة لحكم تنظيم بل الواجب العكس! وحسبوا أن هذا الإعلان كافٍ في تحقيق الدعوى! لأن الخلافة لم يمنع من إقامتها من قبل إلا عدم وجود رجل من قريش من آل البيت -هذا إن كان من قريش فضلاً عن آل البيت- واجتماع عدد من الناس حوله وبيعته بالخلافة! وهذا ينبي عن حقيقة مدارك العقول عند القوم!

ومن باب شهد شاهد من أهلها يقول أبو قتادة الفلسطيني: «إن ما أراده البغدادي إن كان هو صاحب الأمر حقاً في هذا التنظيم -مع أنني في ذلك- فإن الكثير من الإشارات تدل أن الرجل حاله مع غيره كحال محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) مع جهينان، حيث الضعف النفسي الذي يحقق سلامة القيادة لمثل العدناني وغيره من وصلني عنهم هذه الأخبار ومعانها.

أقول: إن ما أراده البغدادي بإعلان الخلافة قطع الطريق على الخلاف الشديد على إمرة الجهاد في بلاد الشام الواقع بينهم وبين جماعة النصرة، وخاصة بعد أن تبين كذب دعواهم أن لا بيعة في أعقابهم للدكتور أيمن، والبغدادي في حالة سبات شتوي لا يقدّر على الإجابة والرد، إذ يقوم بدلاً عنه من يتقن الشتم والرجم، بل خلت الجماعة من طالب علم شرعي له ملكة الحديث بالشرع في هذا الباب، فإن خرج بعضهم فتحدث أنت بالصائب والفواجر، فلم يبق إلا علو الصوت والندارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء» «ثياب الخليفة» (ص ٨).

بيعه في رقاب جميع المسلمين، ونصرته من جميع طوائف المجاهدين وكان إعلان الخلافة في (١٤٣٥ هـ) رمضان الموافق (٢٠١٤ / ٠٦ / ٢٩).

وكان ما قاله أبو محمد العدناني المتحدث الرسمي باسم الدولة، في إعلانه الخلافة بعد أن ذكر أموراً فارقة بين الخلافة والملك والسلطان:

«تلك حقيقة الاستخلاف، الذي من أجله خلقنا الله، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم... وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسلاً، وأنزل كتبه، وسلّلت سيف الجهاد»^(١).

(١) كلمة صوتية بعنوان: «هذا وعد الله»، وسيأتي بيان ذلك والرد عليه! في الوقفة الرابعة من وقفات الخلافة- إن شاء الله.

وهاننا لابد من نقل مهم جدًا عن خارجيٍّ كبيرٍ لا وهو أبو قتادة الفلسطيني وهو من باب وشهد شاهد من أهلها يقول: «إن تنظيم الدولة قد دخل فيه الانحرافٌ من جهتين: أولاهما: من أفرادٍ جماعة الخلافة، وهي جماعة قدمت في الجهل، إن من الشر من حيث زعموا أن الخلافة (الإمامية العظمى) حقيقتها تكون بأن يباع واحده من المسلمين واحدًا من آل البيت لتكون الحقيقة الشرعية لهذا المسمى العظيم، وقد كان لي معهم كلامٌ طويلاً حيث بان لكل مبتدئ من العلم جهلهِم، وأما طالبُ العلم الممكّن فهو بصيرٌ بجهل هذه الدعوى.

وقد كان آخر كلامٍ لي مع الخليفة المزعم أن قلت له إن طريقةكم يجمعُ بين ضلالِ الروافضِ والخوارجِ وأما أخذكم عن الروافض فهو من جهة تسمية المدعوم وهو إمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري إماماً، ... وحيث سميت الوهم (صيغة الخلافة عندهم) اسماً شرعاً مباركاً (أي الخلافة) فأنتم في هذا الباب على نهج الروافض، وهم أكثر الناس وهما في هذا الباب حيث يسمون الغائب «المدعوم» إماماً ويعلّقون عليه أحكام الإمامية، بل وأكثر من ذلك.

وأما أنتم تشابهون الخوارج، فإنكم أتيتم بالشر الأكبر فيهم حيث كفرتم بالخالف لكم في هذا المعنى. وقد صرّح لي «خليفتهم» وفقيههم المقدم فيهم أنهم كانوا على هذا الاعتقاد وهو تكفيرٌ من لم يبايع خليفتهم، ولكنهم قالوا: إن اعتقادنا هذا قد تغير - أي الخليفة! والفقيه! - وإن كان بعضنا على هذا الاعتقاد، وهي مسألة لا نولي عليها، فهي عندهم مسألة خلافية يحوز فيها الاقتراف دون الفراق. وحيث كان هذا معتقدهم في الابتداء فقد وقع منهم جهالاتٌ كثيرةٌ من إباحة الدماء والأموال... هذا هو مصدر الانحراف الأول في جماعة الدولة الإسلامية في العراق والشام. وقد كان بعض الناس من خارج جماعة «الدولة» تنظيماً ومكاناً يدعو إلى بيعة البغدادي بيعة الخلافة،

واستمر القتال بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة إثباتاً للذات وفرضًا للقوة وحرصاً على الأرض كي تكون الشام تابعة لهم^(١) ولم يتوقف هذا القتال رعاية للأشهر الحرم!^(٢).

وكان هذا يُحمل عند الناظرين على الجهل والتهور وسعار المخالفة، ولم يكن يُرى هذا المعنى جلياً في جماعة «الدولة» إلا عند من يدقق في كلامهم في رفضهم للتحاكم بينهم وبين مخالفتهم... مع أن بعض مسئوليهم الشرعيين فاحت منه هذه الحالات وهو قوله: إن الإمامة من أصول الدين، وهي مناط للتكفير والإيمان.

أما مصدر الانحراف الثاني في جماعة الدولة فهي بقايا جماعات التوقف والتدين، وبقايا جماعات الغلو من يطلق عليهم جماعات التكفير، وقد نفر بعض هؤلاء إلى الجهاد في بداية أمره، وأعمل بعض أسمائهم، وقد أحدث هؤلاء من الشر في رؤوس البعض، كما أنه صار لكلامهم أثر كبير في رؤوس الشباب الجدد الذين نفروا من مناطق صحت فجأةً من هوة الجهل العميق إلى حالة التدين، ومثل هؤلاء كالعمجي إن أسلم؛ فإن وفق لصاحب سنة اهتدى، وإن لا كان فساده عظيماً كما قال الأئمة من قبل؛ ولذلك تجد عامة أتباع هؤلاء من الجهلة المبتدئين في التدين؛ حيث يعجز جهلهم عن فهم مضائق مسائل العلم، ومعلوم لأهل العلم أن تنزيل الأحكام الشرعية من مضائق الفقه، بل هو أعنوس ما يلاقيه الفقيه نفسه، فكيف يجعل حكم الكفر والإيمان على الأشخاص والجماعات في يد جاهل لا يعرف أحكام المياه والوضوء والصلوة...». اهـ. من «ثواب الخليفة له» (ص ٣-١).

(١) مما قاله أبو محمد العدناني رداً على الطواهري في كلمة «فذروهم وما يفترون» قال: «في أي ميزان ينزل الحكم بأمر المجاهدين بالانسحاب من الشام، وقادة المجاهدين في كل مكان يتمنون اللحاق بالشام». اهـ.

فهذا يبين لك سبب حرصهم على الشام ظناً منهم أنهم بمجرد دخولهم الشام يكون قد صدق عليهم الوصف الوارد بأحاديث النبي ﷺ جنود الشام! ولو كان الأمر كذلك ثبت لبشر وأبيه من قبل! فتأمل.

(٢) والأشهر الحرم هي: «رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، والحرم» والقتال فيها من أكبر الذنوب عند الله، فلماذا لم يتوقف قتالهم بعضهم البعض فيها؟! والله تعالى يقول: ﴿يَتَآتِهَا الْأَذْيَانُ إِمَّا مَأْمُوا لَا يُحِلُّوا شَعْرَرَ اللَّهِ وَلَا أَشْهَرَ الْحَرَامَ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيدُ الْعَقَابِ﴾.

قال الطبرى رحمه الله: «ولا تستحلوا الشهر الحرام بقتالكم فيه أعداءكم من المشركين، وهو كقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالٍ فِيهِ قُلْ قَتَالٌ فِيهِ كَيْرٌ﴾...، ثم نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: يعني:

ثم قاموا بعد ذلك بعقد هدنة وتركوا القتال - لا للأشهر الحرام! -، وإنما لما اجتمعت عليهم الجيوش، وبقي الخلاف بينهم وبراءة كل واحد من الآخر، والعجيب أنهم جمِيعاً يتسبون إلى أسامة بن لادن ويتبنون فكره، فتولوا جمِيعاً أسامة بن لادن وبرئ بعضهم من بعض! وهذا له مثيل سيأتي إن شاء الله ذكره عند الكلام عن الخوارج الأول، فكن منه على ذكر.

هذا ما يدور في الساحة إلى كتابة تلك الكلمات! ولعله ما يدور أيضاً وأنت تقرأ هذه السطور!

وبعد هذه البذلة المختصرة الموثقة^(١) عن نشأة «داعش» وعن حقيقة الخلاف بينها وبين جبهة النصرة، وبعد ما تبين أن الخلاف ليس منهجياً، وأنهما على منهج واحد، وعن الأفكار والمناهج التي نبت منها، لعلك أيها القارئ الليب قد استطعت أن تكون فكرة عن عقيدة وفكر «داعش».

ولكن حتى يزداد الأمروضوحاً؛ فإننا سنتعرف على عقيدة «داعش» وبنودها، وذلك من خلال عقيدتهم التي بثها وبينها المؤسس «أبو عمر البغدادي». ولنعرض هذه العقيدة على منهج الخوارج الأوائل مروراً بالتأخرین منهم، ثم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ لنعلم جمِيعاً هل «داعش» هي خلافة على منهج النبوة؟ أم فرقـة ضالة على منهج الخوارج؟!



لا تستحلوا قتالاً فيه؛ فإذا حرم قتال المشركين فيه؛ فكيف بقتال المسلمين؟! بل كيف بقتل أبناء المعتقد الواحد؟! فما الظن بغيرهم من يخالفهم في المعتقد أو المنهج أو المسلك من المسلمين؟! كيف بهذه الدماء التي تراق بغير حق؟! تراق ظليماً وعدواناً وافتراء وطغياناً، وما أعظم حرمة دم المسلم!

(١) فكلها بمقاطع صوتية يقرؤنها وينشرونها عن أمرائهم وقادتهم كما رأيت.

عقيدة «داعش»، وجبهة النصرة»

ونحن الآن سنعرض عقيدة «داعش» كما قرروها ثم سنعرض نشأة ومقالات الخوارج ونناقشها جيئاً على عقيدة ومنهج السلف الصالح من الصحابة رض ومن تبعهم بإحسان؛ ليتبين من خلال هذا العرض وتلك المقارنة والمناقشة: هل «داعش» خلافة على منهاج النبوة؟ أم أنها قرن الخوارج في هذا العصر؟

وهذه العقيدة هي التي قررها أبو عمر البغدادي -الأمير الأول لدولة الإسلام في العراق كما يسمون أنفسهم- ردًا منه على ما اتهمت به الدولة من أنها تکفر عوام المسلمين وتستحل دماءهم وتجبرهم على الدخول فيها بالسيف، وسنزى هل هذه العقيدة تنجيه مما رمي به هو ودولته، أم تؤكده ما رمي به؟!

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن أبا بكر البغدادي -الأمير الثاني والحاالي لهم- قال في أول كلمة له بعنوان «ويأبى الله إلا أن يتم نوره» قال: «إن دولة الإسلام باقية على عقيدتها ومنهجها لم ولن تبدل أو تخيد». اهـ.

إذن فيما زالوا على ما ذكره أبو عمر من عقيدة ومنهج لم يغيروها أو يبدلواها.

كذلك قلنا أنها عقيدة جبهة النصرة أيضاً؛ لأن أبا محمد الجولي حينما قرر أبو عمر البغدادي هذا الاعتقاد كان أحد أفراد تنظيم الدولة، ولم ينكر عليهم حينها هذا الاعتقاد، بل وحتى بعد أن اختلف معهم لم يكن خلافهم من أجل أصول عقيدتهم وإنما لأجل بعض القرارات التي سبق معنا بيانها في النشأة، وعليه فهي عقيدة واحدة وحكمنا على عقيدة داعش يعني حكمنا على جبهة النصرة، فانتبه لذلك والله الموفق.

قال أبو عمر البغدادي في كلمة له بعنوان «قل إني على بيته من ربِّي»:

«وقد رمانا الناس بأكاذيب كثيرة^(١) لا أصل لها في عقيدتنا، فادعوا أننا نكفر عوام المسلمين^(٢)، ونستحل دماءهم وأموالهم، ونجبر الناس على الدخول في دولتنا بالسيف، وعليه فهذه بعض ثوابتنا ترد على تلك الأكاذيب، وحتى لا يبقى لکذاب عذر أو لمحب شبهة.

أولاً: نرى وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله؛ لما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأصي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه? «ألا تدع تمثلاً إلا طمسه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

تعليق:

نقول: هذا الكلام في ظاهره حق، ولكن! ما هي مظاهر الشرك وما هي وسائله؟!

الجواب: هي القوانين الوضعية والحكم بغير ما أنزل الله، كما قرره سيدهم وقطبهم - وقد مرّ -، وصرّح به متحدثهم العدناني حيث قال: «فلتعلموا يا أهل السنة الشائرين في كل مكان أن داءنا ليس هو الأنظمة الحاكمة وإنما القوانين الشركية التي بها يحكمون؛ فلا فرق بين حاكم وحاكم ما لم نغير الحكم، لا فرق بين مبارك ومummer وابن علي، وبين مرسي وعبد الجليل والغنوشي، فكلهم طواغيت يحكمون بنفس القوانين غير أن الأخيرين أشد فتنة على المسلمين، وهذا هو داءنا وإن علة ذلنا هي: الركون إلى الدنيا وترك الجهاد، فإذا أردنا رفع الظلم ونيل الكرامة فعلينا نبذ القوانين الوضعية الشركية، وتحكيم شرع الله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالجهاد في سبيل الله ...

(١) من المقرر شرعاً أنه لا يجوز الكذب على أحد كائناً من كان ولو كان من أصل الناس -؛ ولذلك نحن سنحاكمهم إلى كلامهم هم، لا كلام غيرهم عنهم؛ ليتبين ساعتنا من الكاذب ومن الصادق؟ ومن الدعي ومن الحق؟ وبإله التوفيق.

(٢) ماذا يقصد بالعوام؟ ونحن سترى في كلامه ومن معه تكفير الجيوش والشرط، ولا شك أنها بحويان في طياتها العوام، بل غالباً جنودهما من العوام كما هو معلوم عند الكافة!

وهذا النسيء الإخواني هو زيادة في الكفر، وليس هو أصل الكفر؛ إذ إن أصل الكفر كما أوضحنا هو: نسبتهم الحكم والتشريع لغير رب العالمين». اهـ. من كلمته «السلمية دين من؟!».

ولا تعجب من إجمال أبي عمر البغدادي؛ فهذه هي طريقة القطبيين في تقرير ما يريدون أن يتكلموا عنه بثوب محمل، وهي طريقة أهل البدع قدّيماً وحديثاً كما سيأتي إن شاء الله۔

قال أبو عمر البغدادي:

«ثانياً: الرافضة طائفة شرك وردة وهم مع ذلك ممتنعون عن تطبيق كثير من شعائر الإسلام الظاهرة.

تعليق:

إذا كانت الرافضة طائفة شرك وردة، فما حكم مواليهم ومودتهم والترضي عنهم وعن عقيلتهم ومحاولة التقريب بينهم وبين السنة، وقد علم القاصي والداني أن حسن البناء هو من أوائل الداعين إلى التقريب بين السنة والشيعة في هذا العصر بعد الأفغاني ومحمد عبده، ولا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة علاقة الإخوان منذ كانوا إلى الآن بالرافض، ولقد اتصفت جماعة الإخوان -مع خارجيتها- بالتمييع العقدي لا سيما في أصل الولاء والبراء، حيث قام منهاجها التكتيلي متمثلاً في شعاراتهم «نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضاً فيما اختلفنا فيه»^(١) فقام هذا الشعار بهدم عقيدة الولاء والبراء، فكل خلاف هو داخل تحت العذر؛ ولو كان خلافاً في أصل الاعتقاد ولذلك كان سيد القمي وهو من كبار جهلاء الشيعة ينزل ضيفاً في المركز العام للجماعة!^(٢)

(١) انظر كتاب «زجر المتهاون بضرر قاعدة المعاذرة و التعاون» كتبه حمد بن إبراهيم العثمان حفظه الله. راجعه العلامة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله ونفع به-، وقرظه العلامة الشيخ عبد المحسن العباد البدر -حفظه الله ونفع به-.

(٢) «اللهم الم الوهوب - حسن البناء» لعمرو التلمساني، ص: ٧٨، بواسطة «كشف العلاقة المريبة بين الشيعة

وقد يقول داعشي!: إننا نبدأ من الإخوان بل ربما غالباً بعضهم وقال نكفرهم، كما صرّح به متحدثهم الرسمي أبو محمد العدناني!.
 نقول: أنسىتم أنكم - شتم أم أبيتم - أصولكم إخوانية فما خرجتم إلا من رحم الإخوان، وأن قاداتكم كعبد الله عزام وابن لادن والظواهري - كما صرّحوا بذلك - كلهم نشأوا في حجر الإخوان ورضعوا من لبن أفكارهم.
 ثم نقول: وما قولكم في عمود فسطاطكم وإمام منهاجكم سيد قطب!
 وعلاقاته بهم، وترضيهم عنه واحتفائهم به حتى طبعوا الطوابع بصورته واسميه، ووسموا الشوارع برسمه ورسمه؟!!، وقد سار على درب البناء في علاقته بالروافض؛ وما علاقته بنواب صفوي الإيراني الرافضي عنا ببعد!!.
 - وإليك أيها القارئ الليبي هذا المقال الطيب للشيخ علي بن يحيى الحدادي - حفظه الله -، بعنوان "لماذا تتحفي الشيعة الرافضة بسيد قطب؟" يقول - حفظه الله -:
 الخلاف العقدي بين السنة والرافضة خلاف جذري، والمسافة بينهما مسافة بعيدة كل البعد.

وعلى سبيل المثال؛ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها عند أهل السنة هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم -، ومع ذلك؛ فإن هؤلاء الخلفاء الراشدين ما عدا علياً - رضي الله عنه - هم شر الخلق لدى الرافضة . [انظر على سبيل المثال "رسالة تخريب لا تقريب"].

فمن البديهي: أن تكون العداوة الدينية حاجزاً يحول بين الثناء على المخالف وتزكيته، والإعجاب به وبتراثه وفكره ؛ فإذا وجد ما يخالف هذه القاعدة كان لابد من البحث عن التفسير الصحيح لهذا الأمر المريب !!.
 ومن هنا؛ فقد استوقفني احتفاء رافضة العصر بسيد قطب عبر مظاهر متعددة،

الرافضة وحزب الإخوان المسلمين» للشيخ أبي عبد الأعلى خالد عثمان المصري - وفقه الله - ومن أراد التوسع في هذا الباب فليرجع إلى هذا الكتاب.

ومنها: العناية ببعض كتبه، ولعل من الأمثلة المناسبة لهذا الاحتفاء قيام علي خامنئي بترجمة كتاب: "المستقبل لهذا الدين" لسيد قطب مثنياً على المؤلف والمولف بقوله: (هذا الكتاب -رغم صغر حجمه- خطوة رحبة فاعلة على هذا الطريق الرسالي. مؤلفه الكبير سعى بهذا الكتاب في فصوله المبوبة تبوياً ابتكارياً: أن يعطي -أولاً- صورة حقيقة للدين، وبعد أن بيّن أن الدين منهج حياة، وأن طقوسه لا تكون مجده إلا إذا كانت معبرة عن حقائقه، أثبت بأسلوب رائع ونظرة موضوعية: أن العالم سيتجه نحو رسالتنا، وأن المستقبل لهذا الدين).

ثم أشنى على كتابه الآخر "خصائص التصور الإسلامي" واعداً بترجمته -أيضاً، فيقول: (أحد مؤلفاته القيمة والمبتكرة تحت عنوان: "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" ، ومترجم هذا الكتاب يعكف على ترجمته، وسيقدم قريباً إلى قراء الدراسات الإسلامية التحليلية).

إن من الأسباب الوجيهة لهذا الاحتفاء القرب العقدي والتشابه الفكري الذي يظهر جلياً في بعض مؤلفات سيد قطب مع طرح الرافضة في جملة من عقائدها وأفكارها ، ومنها على سبيل الإيجاز:

- أولاً: مشابهته للرافضة في الطعن في خلافة عثمان ، والطعن في معاوية ، وفي عمرو بن العاص -رضي الله عنهم-، وشنن الحرب الشعواء على دولة بنى أمية التي حكمت العالم الإسلامي في المائة الأولى وبعض الثانية؛ كما في قوله: (وأخيراً: ثارت الثائرة على عثمان واختلط فيها الحق بالباطل، والخير بالشر، ولكن لا بد من ينظر إلى الأمور بعين الإسلام ، ويستشعر الأمور بروح الإسلام: أن يقرر: أن تلك الثورة في عمومها كانت أقرب إلى روح الإسلام واتجاهه من موقف عثمان أو بالأدق من موقف مروان). "العدالة": (ص ١٨٩ / ط ٥).

وقوله: (وحين يركن معاوية وزميله -يعني عمرو بن العاص- إلى الكذب، والغش، والخداعة، والنفاق، والرشوة، وشراء الذمم لا يملك على أن يتدلّى إلى هذا

الدرك الأسفل). "كتب وشخصيات": (ص ٢٠٦).

- ثانياً: ثناؤه وتزكيته للفئة الفاجرة السبائية التي خرجت على عثمان رضي الله عنه فقتلته، وحكمه لها بأنها أقرب إلى روح الإسلام؛ كما قرر في كلامه المتقدم آنفاً، وانظر -أيضاً- الفقرة التالية.

- ثالثاً: تزكيته للقراطمة الباطنية التي هي إحدى إفرازات المدرسة الشيعية؛ كما في قوله: (والواقع: أن اتهام النظام الإسلامي بأنه لا يحمل ضماناته، إغفال للممكنتات الواقعة في كل نظام؛ كما أن فيه إغفالاً لحقائق التاريخ الإسلامي الذي شهد الثورة الكبرى على عثمان، وشهد ثورة الحجاز على يزيد؛ كما شهد ثورة القراطمة وسوهاها ضد الاستغلال، والسلطة الجائرة، وفوارق الطبقات، وما يزال الروح الإسلامي يصارع ضد هذه الاعتبارات جميعاً على الرغم من الضربات القاصمة التي وجهت إليه في ثلاثة وألف عام). "العدالة الاجتماعية": (ص ٢٢٣).

- رابعاً: أنه يتبنى الثورة وإشعال الفتنة في داخل المجتمعات الإسلامية للوصول إلى الحكم؛ كما في قوله: (وهذه المهمة مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام غير منحصر في قطر دون قطر. بل مما يريد الإسلام ويضعه نصب عينيه: أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة، هذه غايته العليا ومقصده الأسمى، الذي يطمح إليه ببصره، إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعى وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها). "الظلال": (١٤٥ / ٣).

إذن؛ فليحتفوا بسيد قطب وبفكره المنسجم مع كثير من أبرز أفكارهم ليكون سنارة يصطادون بها الشباب السنوي إلى دائرة الرفض باسم هذه الشخصية التي أبرزها الإعلام الإخواني القطبي على أنها من أئمة السنة وأعلامها.

وليكون حجة لهم يواجهون بها من يتقدّمُون في ضلالاتهم الكبرى بأننا لم ننفرد بهذه الآراء؛ فهذا أحد مجدهи الإسلام في القرن الهجري المنصرم -حسب شهادتكم-

يقرر ما قررناه، ويقول بما قلناه.

وإلا فلو كان الاحتفاء لمجرد كونه عالماً سنياً داعياً إلى الله؛ فلم لا يحتفون بمن هو أعلم وأعظم جهاداً؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن الوهاب، أو من جاء بعدهم من أئمة الدعوة السلفية حقاً وصدقأً، ولم لم ينشروا كتبهم أو يترجموها؟! هيئات، ما أبعد ذلك، لأن ميراث هؤلاء الأئمة يمثل السنة الخالصة الندية المحضة التي لم تشبعها شوائب الرفض ولا التجهم ولا الاعتزال.

وأخيراً: فإن من الغش للأمة عامة ولشبابها خاصة: أن ينصحوا ويوجهوا لقراءة كتب هذا الرجل التي حازت على إعجاب أهل الضلال من رفض، وخروج، وتصوف، واعتزال، وفي الوقت نفسه وجهت لها أقلام النقد من قبل ثلاثة من أئمة السنة وعلمائهم تحذيراً مما فيها من الباطل والضلال»**اهـ**.

وقد يقول قائل: لعل هذه مواقف فردية! فما علاقة الخوارج بالروافض؟!

نقول: إنها علاقة وطيدة!، أنسيتم أن جميع الفتن التي حلت بالأمة إنما كانت من جراء فتنة الخروج على عثمان رضي الله عنه، وقد كان سبب تأليب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له: عبد الله بن سباء، كان يهودياً فأظهر الإسلام خديعة ومكرًا وكان يحرض الناس على عثمان رضي الله عنه، فكلما دخل مدينة طرد منها حتى صار إلى مصر، وأمر أتباعه بإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال لهم ابدؤوا بالطعن على الولاة حتى يجتمع لكم الناس، وقال بأن لكلنبي وصي ومحمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتدى في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة؛ فتمؤلوا على ذلك، وتكلبوا فيه، وتوعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان رضي الله عنه، فدخل هذا في قلوب كثير من الناس، ودعا الناس إلى التشيع لآل البيت حتى غلى أتباعه في علي رضي الله عنه، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه مضمونه أنه

يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى ابن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بل! فيقول له: فرسول الله، صلى الله عليه وسلم، أفضل منه فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب؛ فمحمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال برجعة محمد وأنه لم يمت وأن الذي مات شيطان صور لهم. ثم خرج أهل مصر على إثر ذلك في أربع رفاق على أربعة أمراء؛ المقلل لهم يقول: ستمائة. والمكثر يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكتانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شيم الليثي، وسودان بن حران السكوني، وقترة السكوني، وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجاً، ومعهم ابن سبا اليهودي ابن السوداء- قبحه الله -، وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق، وأمراؤهم زيد ابن صوحان، والأستر التخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وعلى الجميع عمرو بن الأصم، وخرج أهل البصرة أيضاً في أربع رאיات مع حكيم بن جبلة العبدية، وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسى، وذريح بن عباد العبدية، وابن محرش الحنفي، وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي^(١)!!.

فسار كل طائفة من بلدتهم حتى توافروا حول المدينة - كما تواحدوا في كتبهم - وهم على وجل من أهل المدينة، فبعثوا قصاداً وعيوناً بين أيديهم؛ ليختبروا الناس وينجروهم أنهم إنما جاءوا للحج لا لغيره، وليسعوا هذا الوالي من بعض عماله، واستأذنوا في الدخول، فكل الناس أبى دخولهم، ونفى عنهم، فتجاسروا واقتربوا من المدينة. فردهم على وطحة والزبير فرجع كل فريق منهم إلى قومهم وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم، وساروا أياماً راجعين، ثم كروا عائدين إلى المدينة، فما كان غير قليل حتى

(١) هل تعرف من هو حرقوص هذا؟!، إنه «ذو الخويصرة التميي» رأس الخوارج الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «يخرج من ضئضئه أناس يقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم ...» الحديث وسيأتي الكلام - بإذن الله - عن قصة الخوارج وعن حرقوص بالتفصيل.
والجدير بالذكر هنا، أن الإباضية في عصرنا هذا يدافعون عنه ويررون أنه صحابي مظلوم مفترى عليه!! فالله المستعان.

سمع أهل المدينة التكبير، وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها، وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقالوا للناس: من كف يده فهو آمن!! . فكف الناس ولزموا بيوتهم، وأقام الناس على ذلك أيامًا. واستمر عثمان يصلى بالناس في تلك الأيام كلها، وهم أحقر في عينه من التراب، فلما كان في بعض الجماعات وقام على المنبر، فقام إليه رجل من أولئك فسبه ونال منه، وأنزله عن المنبر، فطمع الناس فيه من يومئذ، ولما وقع ما وقع يوم الجمعة، وشج أمير المؤمنين عثمان وهو في رأس المنبر، وسقط مغشيا عليه، واحتمل إلى داره، تفاقم الأمر وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس وأجتمعوا إلى داره وضيقوا عليه، وأحاطوا بها محاصرين له، ولم يقع في خلد أحد أنه يقتل، إلا ما كان في نفس أولئك الخارجين عليه. وقد استمر الحصار أكثر من شهر. وقيل: أربعين يوماً. حتى كان آخر ذلك أن قتل شهيداً، رضي الله عنه، ثم كان ما سيأتي ذكره — إن شاء الله — من خروجهم على عليٍّ رضي الله عنه وكفروه ومن معه من الصحابة والتابعين واستحلوا دماءهم وأموالهم وكانت رؤوس الخوارج الذي خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه — من رؤوس أتباع ابن سبأ قبحه الله تعالى الذين خرجوا على عثمان وتشيعوا آل البيت!!! .

والمراد بيانه أن أمر الخوارج والرافض قريب من قريب وأن أصل منشئهم واحد، وقد رأيت القرب الشديد بينهم وبين المُنْظَر العام! لما يسمى بالتيار الجهادي في هذا العصر، بما يسقط شبهة أن تنظيم الدولة داعش ما نشأ إلا لمحاربة النصيرية والعلوية والرافضة الإثنى عشرية^(١)! والله المستعان.

ثالثاً: نرى كفر وردة الساحر ووجوب قتله، وعدم قبول توبته في أحكام الدنيا

(١) وقد يقول قائل: إن كثيراً من الشباب الذين تستهويهم أفكار الدواعش لا يدركون حقيقة خطورة المخطط الذي رسم لهم من العدو الكافر. نقول: نعم وهذا لا يعفيهم من وصمة ومرة الخارجية، كما أن أجدادهم من الخوارج الأول كانوا كثير منهم مغروا به ولا يدرك خطورة المخطط السياسي (الكافر) الذي لعب بعواطفهم على وتر الإنكار على ولاة الأمور الذي يؤدي إلى فكر الحكمية والخروج، وكذلك اليوم اتفق خوارج العصر مع رافضي الزمان على فكرة فاسدة وهي شعور الزمان = ولادة الفقيه، والحكمية = الإمامة.

بعد القدرة عليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حد الساحر ضربة بالسيف». تعليق:

نقول: وهذا ليس من كلام عمر رضي الله عنه، إنما هو من كلام جندب رضي الله عنه، وال الصحيح أنه موقوف على جندب، وأما رفعه إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فضعيف، كما في سنن الترمذى (١٤٦٠)، قال أبو عيسى: «هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدى البصري قال وكيع: هو ثقة. ويروى عن الحسن أيضاً، وال الصحيح عن جندب موقوفاً، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعى: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم نر عليه قتلاً». اهـ.

وقال العلامة العشيمين رحمه الله عن السحر: «في الشرع ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثانى: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف؛ فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله؛ فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

فالسحر قسمان:

- شرك وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ يعبدونه ويقترب إليهم لسلطهم على المسحور.

- عدوان وفسق، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها. وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل به إلى مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟ اختلف في هذا أهل العلم: فمنهم من قال: إنه يكفر. ومنهم من قال: إنه لا يكفر.

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبيّن به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر لأنّه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالباً؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهُوا أَسْيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَلَذِكْرُ أَسْيَاطِينِ كَفَرُوا بِعِلْمِهِنَّ النَّاسُ أَسْحَارٌ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ إِبَابَلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، إلى قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشْرَبَهُ مَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَلَقِي﴾ [البقرة: ١٠٢] ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها؛ فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصيًّا معتديًّا.

وأما قتل الساحر: فإن كان سحره كفراً؛ قُتِلَ قُتْلَ ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته، وهو الصحيح.

وإن كان سحره دون الكفر؛ قُتِلَ قُتْلَ الصائل؛ أي: قتل لدفع أذاء وفساده في الأرض، وعلى هذا يرجع في قتلها إلى اجتهاد الإمام». «القول المفيد» (٤٨٩ / ١).

قال أبو عمر البغدادي:

«رابعاً: ولا نكفر أحداً من المسلمين صلوا إلى قبلتنا بالذنب كالزنا وشرب الخمر والسرقة ما لم يستحلها، وقولنا في الإيمان وسط بين الخوارج الغالين وبين أهل الإرجاء المفترطين، ومن نطق بالشهادتين وأظهر لنا الإسلام ولم يتلبس بنقض من نواقض الإسلام عاملناه معاملة المسلمين، ونكل سريرته إلى الله تعالى، وأن الكفر كفران: أكبر وأصغر، وأن حكمه يقع على مقتوفه اعتقاداً أو قوله أو فعلًا، لكن تكفيرو الواحد المعين منهم والحكم بتخليله في النار موقوف على ثبوت شرط

التكفير وانتفاء موانعه».

تعليق:

نقول: وبهذا حاول أبو عمر البغدادي النجاة والعصمة من أن يرمى بالخارجية، يحسب أن هذا هو الفاصل والفارق بينه وبين منهج الخوارج، والحق أنه ليس بهذا منج ولا عاصم من مذهبهم، فقد قال به طوائف من الخوارج، ولم يعصمهم أو ينجيهم من الوصم بالخارجية، كما سيأتي -إن شاء الله- من قول النجدات والحمزية والإباضية، وكلهم خوارج، فانتبه لهذا الأمر جيداً فإنهم يدندنون دائماً على أنهم لا يكفرون الزاني والسارق فكيف يكونون خوارج؟ وسيأتي بيان ذلك بإذن الله في فصل «مقالات الخوارج وأصلهم الذي اجتمعوا عليه».

قال أبو عمر البغدادي:

«خامسًا: نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله من خلال الترافع إلى المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلى الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشارية ونحوها من نواقص الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ﴾ [المائدة: ٤٤]».

تعليق:

نقول:

أولاً: قوله: «نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله» نقول: والتحاكم إلى شرع الله واجب على كل المسلمين؛ فإذا تم كل من لم يتحاكم إلى شرع الله في كل كبيرة وصغيرة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِتَوَوَّرِ يُوقَنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ولكن أحوال الحاكمين والمحاكمين إلى غير شرع الله -عني: إيماناً وكفراً- فيها تفصيل عند أهل السنة والجماعة سيأتي معنا -إن شاء الله تعالى-.

ثانياً: وهو لاء يزعمون أنهم الطائفة المنصورة على منهاج النبوة، وأن مشربهم سلفي نقى، وإذا كان ذلك كذلك؛ فلا بد ألا يخالفوا فهم السلف لنصوص الكتاب

والسنة، لاسيما في مسائل الأصول، وهذا أصل عظيم انبني على مخالفته ضلال فرقة هي أول فرقة فرقت جماعة المسلمين، وقد ثبت هنا مخالفتهم للسلف في هذا الأصل العظيم.

فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، ولا تنس أنه من أرسله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الخوارج فناظرهم وأقام الحجة عليهم؛ فتاب من تاب منهم؛ ولذلك يقول هنا: «يذهبون إليه» أي الخوارج.

قال تعالى: «إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة» **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** كفر دون كفر». أخرجهما الحاكم وغيره، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وعلق الألباني -رحمهما الله جميعاً- قائلاً: «وحقهما أن يقولا: على شرط الشيفيين؛ فإن إسناده كذلك. ثم رأيت الحافظ ابن كثير نقل في «تفسيره» (١٦٣/٦) عن الحاكم أنه قال: صحيح على شرط الشيفيين، فالظاهر أن في نسخة «المستدرك» المطبوعة سقطاً. «السلسلة الصحيحة» (٦/١١٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣١٩/٧): «وإذا كان من قول السلف: إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قوله: إنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** قالوا: كفروا كفرًا لا ينقل عن الملة، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة». اهـ.

نقول: ويظهر بهذا كذبهم في دعواهم عدم التكفير بالذنوب لاسيما والتکفير بهذه الآية على عمومها وإطلاقها تکفير بأحاد ذنوب كثيرة ربما تأبى على الحصر في كل من حكم أو تحاكم لغير شرع الله؛ مستحلاً أو غير مستحلاً؛ في مسألة واحدة أو أكثر؛ سواء في نفسه أو غيره؛ بين أبنائه أو زوجاته أو غير ذلك، وهكذا فتنبه.

ولذلك استمع إلى قول هذا الحبر من السلف -رحمه الله تعالى- يقول سعيد بن جبير: «أما المشابهات: فهن آئي في القرآن يتشارهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل من ادعى هذه الكلمة، كل فرقه يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها المدى، وما تبع الحرورية^(١) من المشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقرؤون معها: ﴿شَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهو لاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتاؤلون هذه الآية». أخرجه الأجري في «الشريعة» (٤٤)، وسيأتي معنا شيء من التفصيل في هذه المسألة -إن شاء الله-.
قال أبو عمر البغدادي:

«سادساً: نرى وجوب توقير النبي ﷺ، وتحريم التقدم بين يديه، وكفر وردة من نال من مقامه وجنابه الشريف، أو مقام آل بيته الأطهار، وأصحابه الأبرار من الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة والآل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّزُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسْبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ - ٩]، وقال في وصف أصحابه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّ أَهْلَكَ الْكُفَّارِ رُحْمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُونَا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثُلُّهُمْ فِي الْتَّورَةِ وَمَثُلُّهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَعَ أَخْرَجَ سَطْعَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْنَى فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ، يُعْجِبُ الرِّزَاعَ لِيغْنِيَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ إِمَّا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَعَفَرَةً وَأَجَرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

(١) يعني الخارج الأول نسبة إلى حروباء (مكان نزلوا به)، كما لو قيل اليوم (الرباعية) نسبة إلى مكان بالقاهرة نزلوا به!!.

تعليق:

نقول:

أولاً: قوله: «نرى وجوب توقير النبي ﷺ، وتحريم التقدم بين يديه»، هذا الكلام حق لا يدفع، ولكن يكذبه واقعهم ومواقعهم^(١) وما يصدر منهم من التقدم بين يدي الله تعالى ورسوله ﷺ؛ لاسيما في التكفير الذي هو حق الله تعالى؛ فلا ينبغي أن يُكفر إلا من كفره الله تعالى ورسوله ﷺ؛ وإلا كان التقدم بين يديه ﷺ، وهو من أعظم المحرمات كما في صدر سورة الحجرات!، وصور هذا التقدم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا، ومن أبرزها تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ومعلوم أن الدين دائرة على الضروريات الخمس التي هي: «الدين والنفس والعرض والعقل والمال»، وهذه الضروريات الخمس استبيحت في التكفير وحده، فتأمل!

وهل من توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتوقير شرعه الاعتداء بالطعن في إخوانه من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم، والإشادة بقدر! وجهد! من سب وطعن في أنبياء الله ورسله؟! ومعلوم أن الطعن في واحد منهم طعن فيهم جميعا! فهذا سيدكم وقطبكم يقول:

«فلنستعرض بعض القصص على وجه الإجمال، ولنعرض بعضها على وجه التفصيل.

١ - لنأخذ موسى؛ إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج.

(١) ولقد رأينا جميعاً وسمينا كمال الخطيب الداعشي الذي قال بملء فيه: «لو كان رسول الله حي [كذا] لانضم إلى دولة الإسلام»!!، وقبل أن يلفظ بهذه الكلمة أكد أنه لا يداري وأنه يدرك ما يقول!، فتقول: كيف ينضم إليكم؟ أينضم إليكم رسول الله وبيأيع على ما تباعون؟ ويتبع ما تبعون؟!! لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً ما وسع أحداً إلا أن يكون تابعاً له صلى الله عليه وسلم منضماً إليه، لو كان كل الأنبياء أحياء في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ما وسعهم إلا اتباعه، فأين توقير النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا كان ذلك من «الشرعين» الذين يصدعون المنابر فيما بالكم بغيرهم!!!.

هَقِيمَةُ نَظِيمِ الدَّرَلَهِ رَاعِشَ

فها هوذا قد رُبِي في قصر فرعون، وتحت سمعه وبصره، وأصبح فتىً قوياً.
 ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلًا يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَأَسْتَعْثِهُ أَلَّا يَرَهُ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى أَلَّا يَرَهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [القصص: ١٥].

وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي.

وسرعان ما تذهب هذه الدفعـة العصبية، فيثوب إلى نفسه؛ شأن العصبيـن:

قال تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [١٥] ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [١٦] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص: ١٥ - ١٧].
 ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَلِيفًا يَرْتَقِبُ ﴾ [القصص: ١٨].

وهو تعبير مصور لهـيـة معروفة: هيـة المـتفـزـغـ المـتـلـفـتـ المـتـوـعـ للـشـرـ فيـ كلـ حـرـكـةـ،ـ وتـلـكـ سـمـةـ العـصـبـيـنـ أـيـضاـ.

ومـعـ هـذـاـ،ـ وـمـعـ أـنـهـ قـدـ وـعـ بـأـنـهـ لـنـ يـكـوـنـ ظـاهـيرـاـ لـلـمـجـرـمـيـنـ؛ـ فـلـنـنـظـرـ ماـ يـصـنـعـ...

إـنـهـ يـنـظـرـ:

﴿ فَإِذَا الَّذِي أَسْتَصْرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ [القصص: ١٨] مرـةـ آخـرـ علىـ رـجـلـ آخرـ!
 ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص: ١٨].

ولـكـنـهـ يـهـمـ بـالـرـجـلـ الآـخـرـ كـمـ هـمـ بـالـأـمـسـ،ـ وـيـنـسـيـهـ التـعـصـبـ وـالـانـدـفـاعـ اـسـتـغـفارـهـ

ونـدـمـهـ وـخـوـفـهـ وـتـرـقـبـهـ،ـ لـوـلـاـ أـنـ يـذـكـرـهـ مـنـ يـهـمـ بـهـ بـفـعـلـتـهـ،ـ فـيـذـكـرـ وـيـخـشـيـ:

قال سـبـحانـهـ: ﴿ فَلَمَّا آتَى أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوُّ لَهُمَا قَالَ يَمْوِسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩].

وـحـيـئـذـ يـنـصـحـ لـهـ بـالـرـحـيلـ رـجـلـ جاءـ مـنـ أـقـصـىـ الـمـدـيـنـةـ يـسـعـيـ،ـ فـيـرـحلـ عـنـهـ كـمـ عـلـمـنـاـ.

فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات؛ فلعله قد هدا وصار رجلاً هادئ الطبع حليم النفس.

كلا! فها هو ذا ينادي من جانب الطور الأيمن: أن ألق عصاك. فألقهاه؛ فإذا هي حيةٌ تسعى، وما يكاد يراها حتى يشب جريأً لا يعقب ولا يلوى... إنه الفتى العصبي نفسه، ولو أنه قد صار رجلاً؛ فغيره كان يخاف نعم، ولكن لعله كان يتبع منها، ويقف ليتأمل هذه العجيبة الكبرى.

ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا يصنع الزمن في أعصابه.

لقد انتصر على السحرة، وقد استخلص بنى إسرائيل، وعبرَ بهم البحر، ثم ذهب إلى ميعاد ربه على الطور، وإنه النبي، ولكنها هوذا يسأل ربه سؤالاً عجيباً قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّيْ أَرِنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِيْ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقِرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

ثم حدث مالا تختمله أية أعصاب إنسانية، بله أعصاب موسى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ
لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاً وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا
أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

عودة العصبي في سرعة واندفاع!

ثم ها هو ذا يعود، فيجد قومه قد اتخذوا لهم عجلةً لهاً، وفي يديه الألواح التي أوحها الله إليه، فما يرتئي، ﴿وَالْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ بِحَرْهَ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وإن لم يمضى منغلاً يشدُّ رأس أخيه ولحيته ولا يسمع له قوله: ﴿قَالَ يَسْتَوْمَ لَا تَأْخُذْ
بِلِحَيَقِ وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].

وحين يعلم أن السامري هو الذي فعل الفعلة؛ يلتفت إليه مغضباً، ويسأله مستنكراً، حتى إذا علم سر العجل:

﴿قَالَ فَأَذَهَبْ فَإِنَّكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلِفَهُ﴾

وَانْظُرْ إِنَّ إِنْهَكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَارِفًا لَنَحْرِيقَةَ شَدَّدَنَسْفَتَهُ فِي أَيْمَنِ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ [طه: ٩٧].
هكذا في حنق ظاهر وحركة متواترة.
فلندعه سنوات أخرى.

لقد ذهب قومه في التيه، ونحسبه قد صار كهلاً حينما افترق عنهم، ولقي الرجل الذي طلب إليه أن يصبحه ليعلمه مما آتاه الله علماً، ونحن نعلم أنه لم يستطع أن يصبر حتى يبنئه بسرّ ما يصنع مرة ومرة، فافترقا...
تلك شخصية موحدة بارزة، ونموذج إنساني واضح في كل مرحلة من مراحل القصة جيغاً.

٢ - تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم.. إنه نموذج المدوء والتسامح والحلم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].
«والظاهر أن سيداً ساق قصة إبراهيم عليه السلام في مقابل ما صور فيه موسى من باب: (وبضدها تبين الأشياء)!﴾^(١).

إن العجب كل العجب أن ترى من يغضب للطعن في سيده وقطبه، ما لا يغضب للطعن في أنبياء الله ورسله، وصحاب النبي وصهره.
ونسأل هل يرضى أنصار سيد ومحبيه أن يوصف سيد بهذه الأوصاف؟ .
هل يقبل أنصار سيد ومحبيه أن يوصفوه بذلك؟ فكيف بنبي الله وكليمه؟ أسيد وأنفسكم أعز عندكم من الله ورسوله؟ !.
إن نبي الله موسى هو مثل للصبر والحلم الذي كان يتأسى به نبينا –صلى الله

(١) التصوير الفني في القرآن ص (٢٠٤ - ٢٠٣)

(٢) من تعليق الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه أصوات إسلامية.

ونقول: ولقد كفى الشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله- أهل العلم وطلابه في بيان أخطاء وضلالات سيد قطب وانحرافاته العقدية في أربعة كتب له ، هي : «أصوات إسلامية على عقيدة سيد قطب»، و«مطاعن سيد قطب في الصحابة»، و«العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم»، و«الحد الفاصل بين الحق والباطل».

عليه وسلم - ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قسم النبي - صلى الله عليه وسلم - قسمًا، فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه، فأتيت النبي فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: «يرحم الله موسى، قد أؤذى بأكثر من هذا فصبر»^(١).

ومازال عليه السلام يؤذى من جهلة المسلمين، وبدلًا من أن يغضب له ويذب عنه يتصر للسابطاعن وإنما الله وإنما إليه راجعون.

وقال مجده القرن -نعم قرن الخوارج- ! عن نبينا كريمين من أنبياء الله جل وعلا وهم: داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ما نسرده لك بطوله على سخافته وسباجته فضلاً عما فيه من مرroc من الدين !!

يقول سيد قطب: «إن سليمان النبي ملك، وإنه كذلك لرجل ... وهنا يستيقظ «الرجل» الذي يريد أن يبهر «المرأة» بقوته وبسلطانه «وسليمان هو ابن داود صاحب التسع والتسعين نعجة الذي فتن في نعجة واحدة»^(٢). فها هو ذا يريد أن يأتي بعرش الملكة قبل أن تجيء. وأن يمهد لها الصرح من قوارير ... ثم ها هو ذا «الرجل» يستيقظ في سليمان مرة أخرى:

﴿فَالَّذِي نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهُمْ حَانَتْرُ أَئْمَانِهِمْ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

و هنا يتهيأ المسرح لاستقبال الملكة؛ و نمسك نحن أنفاسنا في ارتقاب مقدمها:

(١) آخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٠٥).

(٢) وهنا علق سيدكم تعليقا يدل على جهله وعدم تصونه لجناب الأنبياء، فقال: «في قصة داود في القرآن إشارة إلى فتنته بامرأة - مع كثرة نسائه - فأرسل الله إليه ملكين يتخاصمان عنده ﴿إِذْ دَحَلُوا عَلَى دَوْدَ فَفَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْفَ حَسَمَانٍ بَعْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخْمَرَ يَنْتَنَا إِلَى الْعَجَّ وَلَا شَطَطَ وَاهِدَنَا إِلَى سَوَاءِ الْصَّرَاطِ﴾ **٢٢** إِنَّ هَذَا أَخْيَ لَهُ تِسْعٌ وَسَعْونَ نَعْجَةً وَلِنَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنَاهَا وَعَزَّزْنَاهَا فِي الْخَطَابِ **٢٣** قَالَ لَقَدْ ظَلَمْكَ إِسْمَاعِيلْ نَعْبَنَ إِلَى يَعَلِيهِ ... وَعْرَفَ داود أَنَّهَا الْفَتَنَةُ **﴿فَاسْتَغْرِرْنَاهُ وَحَرَرَكَمَا وَأَنَابَ﴾** اهـ

نقول: وكلامه هذا كذب على الله وعلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم، وقد برأهم من ذلك وهم معصومون عما هو أدنى من ذلك فكيف بالتدني إلى مستنقع الرذائل التي يتصورها ويصورها سينثكم، وحقا كل إباء بما فيه ينضح !، وإنما هذه من الإسرائيليات المكتوبة على الأنبياء.

حقيقة نظم الدولة راعش

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْكَدَ أَعْرَشِكَ قَالَتْ كَانَهُ هُوَ ...﴾ [النمل: ٤٢].

ثم ماذا؟ إن الملكة لم تسلم بعد من هذه المفاجأة -فيها يبدو:

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كُفَّارِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

وهنا تتم المفاجأة الثانية للملكة ولنا معها:

﴿قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾

﴿مَنْ قَوَّارِيرٌ قَالَتْ رَبِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[النمل: ٤٤].

وهكذا كانت بليقيس «امرأة» كاملة: تتقى الحرب والتدمر؛ وتستخدم الحيلة والملاطفة، بدل المجاهرة والمخاشرة؛ ثم لا تسلم لأول وهلة. فالمفاجأة الأولى تمر فلا تسلم؛ فإذا بهرتها المفاجأة الثانية، وأحسست بغريزتها أن إعداد المفاجأة لها دليل على عنایة «الرجل» بها، ألقت السلاح، وألقت نفسها إلى الرجل الذي بهرها، وأبدى اهتمامه بها، بعد الخدر الأصيل في طبيعة المرأة، والتردد الخالد في نفس حواء! وهذا يسدل الستار^(١).

فأين توقيركم للنبي صلى الله عليه وسلم؟ وأنتم تعظمون رجالاً يطعن في إخوانه من أنبياء الله ويصفهم بأقبح الأوصاف!

ونحن نعلم أن كلامنا هذا سيثير الغيرة الكامنة في النفوس؛ ولكن على من؟!

على الأنبياء والرسول، أم على ساهم ومنتقصهم؟!!!

ثانياً: وأما قوله: «وَكَفَرَ وَرَدَةً مِنْ نَالَ مِنْ مَقَامِهِ وَجَنَابِهِ الشَّرِيفِ، أَوْ مَقَامَ آلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ، وَأَصْحَابِهِ الْأَبْرَارِ مِنْ الْخَلْفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَسَائِرِ الصَّحْبِ وَالْآلِ». نقول:

وكل هذا قد فعله سيد قطب! فقد طعن في الأنبياء كما مر، وطعن في أصحاب

(١) التصور الفني في القرآن لسيد قطب (ص: ٢١٣).

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، بل طعن في الخليفة الراشد المشهود له بلجنة ضمن العشرة المبشرین بها! وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته، الذي تستحب منه الملائكة، ولم يستح سيد أن يقول فيه العظام والقبائح^(١)!!.

لقد طعن سيد قطب في الخليفة الراشد الشهيد المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأقذع في طعنه في أكثر من عشرين موضعًا، وما ترضى عنه في موضع واحد ومعلوم أن الترضي عن الصحابة عامة وعن العشرة المبشرين بلجنة خاصة فضلاً عن الخلفاء الأربعه وهم خاصة الخاصة شعار أهل السنة والجماعة، وتركه شعار أهل البدعة والفرقة، لا سيما الروافض، ومن هذه المواقع:

١ - أسقط خلافته فقال: «ونحن نميل إلى اعتبار خلافة عليٍ امتداداً طبيعياً لخلافة الشيفيين قبله، وأن عهد عثمان كان فجوة بينهما»^(٢).

٢ - زعم أن التصور لحقيقة الحكم قد تغير شيئاً ما بدون شك على عهد عثمان رضي الله عنه، ثم قال: «ولقد كان من سوء الطالع^(٣) أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ

(١) ولا بد من بيان أمر مهم وهو أن الفكر قرين العمل؛ فلو كان صاحب هذا الكلام موجوداً إبان الفتنة الكبرى -فتنة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه- فأين يكون موقعه؟!، وندع الإجابة للقاريء اللبيب.

(٢) «العدالة الاجتماعية» ص (٢٠٦) / الطبعة الخامسة).

(٣) وهذا من نتاج جهله بحقيقة توحيد الألوهية التي حصرها في الحاكمة، فخالفها في الحاكمة الكونية!! أي أن الحكم الكوني لله جل وعلا وحده لا شريك له فلا يتصرف في الكون أحد سواه؛ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «هذه الكلمة يقولها من لا يعرف الشريعة، يقول للشخص إذا نجح: هذا من حسن الطالع، وإذا رسب: هذا من سوء الطالع، وهذا من التنجيم الذي هو نوع من الشرك؛ وذلك لأن الطالع والغارب ليس له تأثير في الحوادث الأرضية، بل الأمر بيده، سواء ولد الإنسان في هذا الطالع أو في هذا الغارب أو في أي وقت.

وهذا الذي يدعى أن فوز الرجل أو فشله لحسن الطالع أو سوء الطالع من هذا النوع الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم إنه كافر بالله.

كبير، ضعفت عزيمته عن عزائم الإسلام، وضعفـت إرادته عن الصمود لـكيد مروان وـكـيد أمـية من وراءـه^(١).

٣ – وقال في سياق نقهـد لـعثمان رضـي الله عنهـ: «فـهم عـثمان – يـرحمـه الله – أـن كـونـه إـمامـاً يـمنـحـه حرـية التـصرـفـ في مـالـ الـمـسـلـمـينـ باـلـهـبـةـ وـالـعـطـيـةـ، فـكانـ رـدـهـ فيـ كـثـيرـ منـ الأـحـيـانـ عـلـىـ مـنـقـديـهـ فيـ هـذـهـ السـيـاسـةـ: «وـإـلـاـ؛ فـقـيمـ كـنـتـ إـمامـاً؟»، كـمـاـ يـمـنـحـهـ حرـيةـ أـنـ يـحـمـلـ بـنـيـ مـعـيـطـ وـبـنـيـ أـمـيةـ مـنـ قـرـابـةـ النـاسـ وـفـيـهـمـ الـحـكـمـ طـرـيـدـ رـسـوـلـ اللهـ، لـجـرـدـ أـنـ مـنـ حـقـهـ أـنـ يـكـرمـ أـهـلـهـ وـيـبـرـهـ وـيـرـعـاهـ^(٢).

إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ ماـ اـفـتـرـاهـ عـلـىـ الـخـلـيـفـةـ الرـاشـدـ الـذـيـ بـلـغـ مـنـ الـنـاقـبـ أـنـ تـسـتـحـيـ مـنـهـ الـمـلـائـكـةـ فـعـنـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ عـائـشـةـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ، قـالـتـ: كـانـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ

فالواجب على من قاله أن يتوب إلى الله من ذلك، وعلى من سمعه أن ينكر عليه وأن يبين ذلك في المجالس العامة والمجالس الخاصة بالشباب؛ لأن بعض الناس لا يعرف معنى هذه الكلمة ولا يعرف على أي شيء بنـيـتـ اـنـتـهـيـ منـ لـقـاءـ الـبـابـ المـفـتوـحـ^(٣).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦/٣٦٨): «يجـرمـ استـعمالـ عـبارـتـيـ (منـ حـسـنـ الطـالـعـ) ، وـ (منـ سـوءـ الطـالـعـ) ؛ لأنـ فـيهـماـ نـسـبةـ التـأـثـيرـ فيـ الـحـوـادـثـ الـكـوـنـيـةـ حـسـنـاـ أوـ سـوءـاـ إـلـىـ الـطـالـعـ، وـهـيـ لـاـ تـمـلـكـ مـنـ ذـلـكـ شـيـئـاـ، وـلـيـسـتـ سـبـباـ فيـ سـعـودـ أوـ نـحـوسـ، قـالـ اللهـ تـعـالـىـ: (أـلـاـ لـهـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ) الأـعـرـافـ / ٥٤ـ ، فـإـنـ كـانـ الـقـائـلـ يـعـتـقـدـ أـنـ هـذـهـ الـطـالـعـ فـاعـلـةـ بـنـفـسـهـاـ مـنـ دـوـنـ اللهـ تـعـالـىـ فـهـوـ شـرـكـ أـكـبـرـ، وـإـنـ كـانـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـأـمـورـ كـلـهاـ بـيـدـ اللهـ وـحـدهـ وـلـكـنـ تـلـفـظـ بـذـلـكـ فـقـطـ فـهـوـ شـرـكـ الـأـلـفـاظـ الـذـيـ يـنـافـيـ كـمـالـ التـوـحـيدـ الـواـجـبـ، وـالـأـصـلـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ خـرـجـهـ مـسـلـمـ فـيـ (صـحـيـحـهـ) أـنـ النـبـيـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ: (لـاـ عـدـوـيـ وـلـاـ هـامـةـ وـلـاـ نـوـءـ وـلـاـ صـفـرـ)، وـمـاـ ثـبـتـ فـيـ (الـصـحـيـحـيـنـ) عـنـ زـيـدـ بـنـ خـالـدـ الـجـهـنـيـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ قـالـ: صـلـيـ بـنـاـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ صـلـاـةـ الصـبـحـ بـالـحـدـيـثـ عـلـىـ إـثـرـ سـمـاءـ كـانـتـ مـنـ الـلـيـلـ، فـلـمـاـ انـصـرـفـ النـبـيـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـقـبـلـ عـلـىـ النـاسـ فـقـالـ: هـلـ تـدـرـوـنـ مـاـذـاـ قـالـ رـبـكـ؟ قـالـوـاـ: اللهـ وـرـسـوـلـهـ أـعـلـمـ، قـالـ: (أـصـبـحـ مـنـ عـبـادـيـ مـؤـمـنـ بـيـ وـكـافـرـ، فـأـمـاـ مـنـ قـالـ: مـطـرـنـاـ بـفـضـلـ اللهـ وـرـحـمـتـهـ فـذـلـكـ مـؤـمـنـ بـيـ كـافـرـ بـالـكـوـاـكـبـ، وـأـمـاـ مـنـ قـالـ: مـطـرـنـاـ بـنـوـهـ كـذـاـ وـكـذـاـ فـذـلـكـ كـافـرـ بـيـ مـؤـمـنـ بـالـكـوـاـكـبـ) اـنـتـهـيـ.

وانظر تفسير أهل العلم لآية سورة الواقعة: ﴿ وَتَعْمَلُونَ رِزْقًا كُمْ أَنْتُمْ تُكَبِّرُونَ ﴾.

(١) «الـعـدـالـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ» صـ (١٨٦ـ) الـطـبـعـةـ الـخـامـسـةـ.

(٢) «الـعـدـالـةـ الـاجـتـمـاعـيـةـ» صـ (١٨٦ـ) الـطـبـعـةـ الـخـامـسـةـ.

وسلم مضطجعا في بيتي ، كاشفا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوى ثيابه فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تبالغ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تبالغ، ثم دخل عثمان فجلست وسوت ثيابك فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»^(١)، ألا يستحي سيد من رجال تستحي منه الملائكة، ألا يستحي هؤلاء الذين يدافعون عنه؟.

ونحن نعلم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عثمان رضي الله عنه: «ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم»^(٢) فجاء سيد ليقول بل ضر وأضر !!.

ولاتحسب أن طعن سيد توقف عند هذا الحد؟! أو أنه لم يطعن إلا في عثمان؟!
لقد واصل سيد الطعن في أصحاب رسول الله؛ فتناول عمرًا ومعاوية رضي الله عنهم!
قال سيد قطب: «إن معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا عليًّا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصريف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع.

وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخداعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك على أن يتسلى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.

على أن غلبة معاوية على عليّ، كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مد الروح الإسلامي العالى قد أخذ ينحسر. وارتدى الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي عليّ في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يحرفه التيار. من هنا كانت هزيمته،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٥١٩).

(٢) أخرجه الترمذى غي سننه برقم (٣٧٠١) وحسن الألبانى رحمها الله.

وهي هزيمة أشرف من كل انتصار».

ثم يقول: «لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت روح الإسلام التي لم تتمكن بعد من النفوس. ولو قد قدر لعلي أن ينتصر لكان انتصاره فوزاً الروح الإسلام الحقيقة: الروح الخلوقية العادلة المترفة التي لا تستخدم الأسلحة القدرة في النضال. ولكن انهزام هذه الروح ولما يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضى عليها فلم تقم لها قائمة بعد—إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز—ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقة.

لقد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدي معاوية ومن جاء بعده. ولكن روح الإسلام قد تقلصت، وهزمت، بل انطفأت.

فإن يهش إنسان هزيمة الروح الإسلامية الحقيقة في مهدها، وانطفاء شعلتها بقيام ذلك الملك العضوض... فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها. على أننا لسنا في حاجة يوماً من الأيام أن ندعو الناس إلى خطة معاوية. فهي جزء من طبائع الناس عامة. إنما نحن في حاجة لأن ندعوهم إلى خطة علي، فهي التي تحتاج إلى ارتفاع نفسي يجهد الكثرين أن ينالوه.

وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية، فلن يكون هذا الجيل الحاضر على وجه العموم. فروح «مكيافيلي» التي سيطرت على معاوية قبل مكيافيلي بقرون، هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل، وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها! لأنها روح «النفعية» التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات!.

وبعد فلست شيعياً لأقرر هذا الذي أقول. إنما أنا أنظر إلى المسألة من جانبها الروحي والخلقي، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعياً ليتتصر للخلق الفاضل المترفع عن «الوصولية» الهاابطة المتدنية، وليتتصر لعلي على معاوية وعمرو. إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة»^(١).

(١) كتب وشخصيات ص : ٢٤٢ .

وبعد هذا السب والطعن في أصحاب رسول الله يريد أن يبرئ نفسه من التشيع الذي يستحبه كثير من أهله أن يقع في مثل هذا المستنقع العفن بالطعن في أصحاب رسول الله!؛ أو هي التقية الرافضية في ثوب قطبي؟ ولكنه ثوب «سابري» = رقيق غير ساتر؛ بل هو فاضح كاشف للعورة!!

ولكن من يحترم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يحكم بالرفض الخبيث على من انتقص واحداً من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فكيف وهو يحكم على الكثير من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين بأنهم قد ارتدوا إلى المنحدر الذي انتسلهم منه الإسلام قبل!.

وإليك حكم السلف على من ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم:

قال أبوذرعة الرazi -رحمه الله-: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يحرروا شهودنا؛ ليبطلو الكتاب والسنّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»^(١).

وقال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء؛ فاتهمه على الإسلام».

وقال أبوالحسن الأشعري -رحمه الله-: «وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أئمن الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من ينتقص أحداً منهم، رضي الله عن جميعهم»^(٢).

وقال الإمام يحيى بن معين رحمه الله تعالى: «تليد كذاب، كان يشتم عثمان، وكل

(١) «الكتفافية» للخطيب (ص ٩٧).

(٢) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص ٦٨ / طبعة الجامعة الإسلامية ١٩٧٥م).

من يشتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دجال، لا يكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(١).

وقال الإمام أحمد: «من قال: أبو بكر وعمر وعثمان؛ فهو صاحب سنة، ومن قال: أبو بكر وعمر وعلي وعثمان؛ فهو رافضي (أو قال: مبتدع)»^(٢).

فكيف بمن يسقط خلافة عثمان ويقول: إن خلافته كانت فجوة بين الشيوخين وعلى؟!.

وقال الإمام أحمد بعد أن ذكر الخلفاء الأربع، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة: «ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، الذين بعث فيهم، كل من صحبة سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رأه؛ فهو من أصحابه، له من الصحابة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظرة؛ فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال؛ كان هؤلاء الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحابتهم من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير، ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أغضبه لحدث كان منه، أو ذكر مساويه؛ كان مبتدعًا، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه لهم سليماً»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى»^(٤): «لكن المنصوص عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي، وقال: هو أفضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه، ونهى عن مناكحته، ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه، ولا شكوا في ذلك؛ فتصويب أحد لا يعنيه تحويز لأن يكون

(١) «التاريخ» لبيهقي بن معين (ص ٦٦ / ترجمة رقم ٢٦٧٠).

(٢) «السنة» للخلال (٢ / ٣٨١ / أثر رقم ٥٣٢).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص ١٦١).

(٤) (٤٣٨ / ٤).

غير علي أولى منه بالحق، وهذا لا ي قوله إلا مبتدع ضال فيه نوع من النصب، وإن كان متاؤلاً».

ففي هذا تبديع من الإمام أحمد لمن يتوقف في خلافة علي دون أن يطعن فيه؛ فكيف بمن يسقط خلافة عثمان رضي الله عنه، ويطعن فيه أشد أنواع الطعن، ويتناقصه في عدد من المرات.

وعند ابن تيمية أن الذي لا يقطع بأن علياً أولى بالحق من معاوية وسائر من خالقه علياً مبتدع ضال فيه نصب، وإن كان متاؤلاً؛ فكيف بمن يسقط خلافة عثمان، ويرى أن الثوار من الرعاع ومن تلاميذ ابن سباء أقرب إلى روح الإسلام من عثمان؟!^(١).

وإليك تفصيل القول في سب الصحابة رضي الله عنهم:

قال شيخ الإسلام رحمه الله في سب أصحاب رسول الله: «فصل: في تفصيل القول فيهم.

- أما من اقترن بسبه دعوى أن علياً إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لاشك في كفره، بل لاشك في كفر من توقف في تكفيه.

- وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية و منهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

- وأما من سبهم سبًا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك؛ فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

- وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

(١) أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب للشيخ ربيع بن هادي - حفظه الله -.

- وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أياً في كفره؛ فإنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضا عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متين فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الأمة التي هي: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وخيرها هو القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عنه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبيّن أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت الله فيهم مثلات، وتواتر النقل بأن وجوههم تنسخ خنازير في المحيَا والممات وجمع العلماء ما بلغتهم في ذلك، ومن من صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب.

وبالجملة: فمن أصناف السابعة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بکفره، ومنهم من تردد فيه، وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك، وإنما ذكرنا هذه المسائل لأنها في تمام الكلام في المسألة التي قصدنا لها». «الصارم المسلول» (ص: ٥٨٦).

قال أبو عمر البغدادي:

«سابعاً: ونؤمن أن العلمانية على اختلاف راياتها وتنوع مذاهبها؛ كالقومية والوطنية والشيوعية والبعثية هي كفر بواح منافق للإسلام مخرج من الملة، وعليه نرى كفر وردة كل من اشتراك في العملية السياسية كحزب المطلق والدليمي والهاشمي وغيرهم، لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله تعالى وتسلیط لأعداء الله من الصليبيين والروافض وسائر المرتدين على عباد الله المؤمنين، قال تعالى في شأن من وافق في تبديل شيء من شرع الله: ﴿وَإِنَّ السَّيَّطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْأُولَئِكَمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، كما نرى أن منهج الحزب

الإسلامي منهج كفر وردة لا يختلف في منهجه وسلوكيه عن سائر المناهج الكافرة والمرتبة كحزب العجيري وعلاوي، وعليه فقيادتهم مرتدون لا فرق عندنا بين مسئول في الحكومة أو مدير فرع، ولا نرى كفر عموم الداخلين فيه ما لم تقم عليهم الحجة الشرعية.

تعليق:

نقول:

أولاً: قوله: «ونؤمن أن العلمانية ... [إلى] كفر وردة كل من اشتراك في العملية السياسية».

نقول: لا شك أن هذه المذاهب كفرية، وكلام أهل العلم فيها مبسط في غير هذا الموضوع؛ ولكن لابد من بيان الفرق بين كفر النوع والتعيين؛ ولا يخفى عليك أن السلف حكموا على مذهب الجهمية وغيرهم بالكفر، وأما تكفير الواحد المعين منهم فلا، إلا بتوفير الشروط وانتفاء الموانع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ط / مجمع الملك فهد (١٠/١)»: «ولهذا كنت أقول لأكابرهم: لو وافقتم على ما تقولونه لكنت كافراً مرتدًا - لعلمي بأن هذا كفر مبين - وأنتم لا تكفرون لأنكم من أهل الجهل بحقائق الدين؛ ولهذا كان السلف والأئمة يكفرون الجهمية في الإطلاق والتعيم، وأما المعين منهم فقد يدعون له ويستغفرون له لكونه غير عالم بالصراط المستقيم، وقد يكون العلم والإيمان ظاهراً لقوم دون آخرين، وفي بعض الأمكنة والأزمنة دون بعض بحسب ظهور دين المرسلين».

وقال رحمه الله في «بغية المرتاد في الرد على المتكلفة والقرامطة والباطنية» (ص ٣٥٣): «فهذه المقالات هي كفر لكن ثبوت التكفير في حق الشخص المعين موقوف على قيام الحجة التي يكفر تاركها، وإن أطلق القول بتكفير من يقول ذلك فهو مثل إطلاق القول بنصوص الوعيد، مع أن ثبوت حكم الوعيد في حق الشخص المعين

موقوف على ثبوت شروطه وانففاء موانعه؛ ولهذا أطلق الأئمة القول بالتكفير مع أنهم لم يحكموا في عين كل قائل بحکم الكفار، بل الذين امتحنوه وأمروه بالقول بخلق القرآن وعاقبوا من لم يقل بذلك إما بالحبس والضرب والإخافة وقطع الرزق، بل بالتكفير أيضاً لم يكفروا كل واحد منهم، وأشهر الأئمة بذلك الإمام أحمد وكلامه في تكفير الجهمية مع معاملته للذين امتحنوه وحبسوه وضربوه مشهور معروف».

ثانياً: قوله: «لما في هذه العملية من تبديل لشرع الله تعالى».

نقول: إن تبديل شرع الله هو أن ينسب للشريعة ما ليس منها ويدعي أنه حكم الله، وليس هو مجرد الحكم بغير ما أنزل الله، كما «قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾»، قال: من حكم بكتابه الذي كتب بيده، وترك كتاب الله، وزعم أن كتابه هذا من عند الله، فقد كفر». رواه الطبراني بسنده في تفسيره «جامع البيان» ت شاكر (١٠/٣٥٢) رقم (١٢٠٣٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١١٤٢) رقم (٦٤٢٨).

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو مقدم على كل تفسير قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشَرُّوْبِهِ، ثُمَّنَا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَنَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَأْتُونَ أَسْنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبَرُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، فنص على أن تبديلهم كان بنسبة ما أتوا به إلى الله جلا جلا، ومن هنا نعلم أن تفسير ابن زيد إنما هو مأخوذ من نص كلام الله تعالى.

وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٣/٤٦٧): «والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه - أو حرم الحلال - المجمع عليه - أو بدّل الشرع - المجمع عليه - كان كافراً مرتدًا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [٤٤] أي: هو المستحل للحكم بغير ما

أنزل الله ولفظ الشرع يقال في عرف الناس على ثلاثة معان: «الشرع المنزلي» وهو ما جاء به الرسول، وهذا يجب اتباعه ومن خالفه وجبت عقوبته.

والثاني «الشرع المؤول» وهو آراء العلماء المجتهدين فيها كمذهب مالك ونحوه؛ فهذا يسوغ اتباعه ولا يجب ولا يحرم، وليس لأحد أن يلزم عموم الناس به ولا يمنع عموم الناس منه.

والثالث «الشرع المبدل» وهو الكذب على الله ورسوله ﷺ أو على الناس بشهادات الزور ونحوها والظلم بين فمن قال إن هذا من شرع الله فقد كفر بلا نزاع. كمن قال: إن الدم والميّة حلال - ولو قال هذا مذهبي - ونحو ذلك». اهـ.

ثالثاً: وأما استدلاله بالأيات فنقول: نعم الآية على ظاهرها فيمن بدل أو استحل على المعنى الذي مضى بيانه.

وزيادة في البيان إليك كلام شيخ المفسرين الإمام الطبرى في «جامع البيان» ت: شاكر (١٢/٨٧): «وأما قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾، يعني: إنكم إذن مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميّة استحللاً. فإذا أكلتموها كذلك، فقد صرتم مثلهم مشركين». اهـ.

وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١٣٨٠) عن سعيد بن جبير: قوله: ﴿وَإِنْ أَطْعَمُوهُمْ﴾ يعني: استحللاً في أكل الميّة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ مثلهم. وبسنده عن عيسى بن عبد الرحمن، قال: سألت الشعبي عن هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ قال: قلت: تزعم الخوارج أنها في الأمراء، قال: كذبوا إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: أما ما قتل الله فلا تأكلون منه يعني: الميّة، وأما ما قتلتكم فتأكلون منه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] قال: لئن أكلتم الميّة وأطعمتموهם إنكم مشركون». اهـ، ومدار كلام

المفسرين على ذلك.

رابعاً: قوله: «وعليه فقيادتهم مرتدون ...» إلخ.

نقول: لقد فرقتم بين قيادتهم وبين عموم الداخلين؛ فما الدليل على هذا التفريق في اشتراط قيام الحجة؟! ومن سلفكم في ذلك؟ فإننا لا نعلم لكم أصلاً في ذلك إلا الخوارج وأهل الزيف والبدع، أما أهل السنة والجماعة فها هو سبيلهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره من ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع».

وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوماً معينين، فأما أن يذكر عنه في المسألة روایتان ففيه نظر، أو يحمل الأمر على التفصيل فيقال: من كفر بعينه فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه فلانتفاء ذلك في حقه، هذا مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم» «مجموع الفتاوى» (٤٨٩ / ١٢).

ويقول أيضاً: «ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك ويدعون الناس إلى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يحببهم، ويکفرون من لم يحببهم، حتى أنهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتى يقر بقول الجهمية أن القرآن مخلوق وغير ذلك ولا يولون متولياً، ولا يعطون رزقاً، من بيت المال إلا من يقول ذلك، ومع هذا فالإمام أحمد رحمة الله تعالى ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بأنهم لم يُبَيِّن لهم أنهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به ولكن تأولوا فأخذتُمُوا وقلدوا من قال

لهم ذلك» «مجموع الفتاوى» (٢٣/٣٤٨-٣٤٩).

وقال أيضاً: «والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة إنما هو تكfir الجهمية المشبهة وأمثال هؤلاء، ولم يكفر أحد الخوارج ولا القدرية إذا أقروا بالعلم وأنكروا خلق الأفعال وعموم المشيئة لكن حكى عنه في تكfirهم روایتان.

وأما المرجئة فلا يختلف قوله في عدم تكفيرهم مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية، ولا كل من قال إنه جهمي كفره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلح خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج والفزو معهم، والمنع من الخروج عليهم ما يراه لأمثالهم من الأئمة، وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره ويواجههم على رده بحسب الإمكان؛ فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة وإن كانوا جهالاً مبتدعين وظلمة فاسقين». «مجموع الفتاوى» (٧/٥٠٧-٥٠٨).

يقول أبو عمر البغدادي:

«ثامنًا: نرى كفر وردة من أمد المحتل وأعوانه^(١) بأي نوع من أنواع المعونة من لباس أو طعام أو علاج أو نحوه مما يعينه ويقويه، وأنه بهذا الفعل صار هدفًا لنا مستباح الدم».

(١) قال أبو بكر البغدادي في كلمة بعنوان: « ولو كره الكافرون » عن حكام المسلمين: « إنهم أذناب أمريكا وحلفاؤها وأنهم « عبيد مرتدون »، و« عملاء خونة »، وأنهم « عبيد وكلاب »، وأنهم « طواحيت »، وأن آل سعود هم « آل سلول »، وأن ملك السعودية هو « رأس الأفعى ومعقل الداء »، وأن جيوشهم « جيوش المرتد ».

تعليق:

نقول: إن الأمر في إعانة الكافرين وموالاتهم ليس على هذا الإطلاق المشين، كما هي عادة القوم! ولكن المسألة فيها تفصيل عند أهل السنة والإيمان، فالمواولة تنقسم إلى قسمين:

أولاً: موالاة مطلقة عامة، وهذه كفر صريح، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكفار، وأن من والاهم فقد كفر.

ثانياً: موالاة خاصة، وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد، وعدم إضمار نية الكفر والردة كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سر رسول الله ﷺ في غزو مكة كما هو مذكور في سبب نزول سورة المتحنة.

ومن كلام العلامة القصيميّ محمد بن عبد الله بن سليم في هذا المعنى قال رحمه الله: «النوع الأول: أن يودهم ويود ما هم عليه من الكفر، ويطمئن إلى ذلك ويرضى به، فهذا كفر بلا ريب.

النوع الثاني: أن يودهم لغرض دنيوي، مع كراحته لما هم عليه، وتضليلهم، فهذا قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، متعرض للوعيد». (الدرر السننية) (٤٧٩ / ١٥).

وقد يقول قائل: إن الموقف عصيب والأمر أمر حرب؛ فيقال له: وكذلك كان الموقف في حديث حاطب؛ كما هو ظاهر؛ فتأمل!

وفي كتاب «الأم» للشافعي رحمه الله (٤ / ٢٦٣) ط/ دار المعرفة - بيروت: «قيل للشافعي: أرأيت المسلم يكتب إلى المشركين من أهل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم أو بالعورة من عوراتهم هل يحل ذلك دمه ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين؟

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام إلا أن يقتل، أو يزني بعد إحسان، أو يكفر كفراً بيناً بعد إيمان ثم يثبت على الكفر، وليس

الدلالة على عورة مسلم ولا تأييد كافر بأن يحذر أن المسلمين يريدون منه غرة ليحذرها أو يتقدم في نكبة المسلمين بغير بين.

فقلت -أي: الريبع- للشافعي: أقلت هذا خبراً أم قياساً؟ قال: قلته بما لا يسع مسلماً علِمه عندي أن يخالفه بالسنة المنصوصة بعد الاستدلال بالكتاب.

فقيل للشافعي: فَذِكْرُ السَّنَةِ فِيهِ. قال: أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والمقداد والزبير فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب»، فخرجنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالظعينة فقلنا لها: أخرجني الكتاب. فقالت: ما معك كتاب، فقلنا: لترجع الكتاب أو لتلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتيانا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلترة إلى ناس من المشركين من بمكة يخبر ببعض أمر النبي ﷺ قال: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لي بمكة قرابة؛ فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً، والله ما فعلته شاكاً في ديني، ولا رضاً ولا كفراً بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدق» فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «إنه قد شهد بدراما وما يدريك لعل الله ﷺ قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، قال: فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْهَاوُا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أَوْلَيَاءٌ﴾ [المتحنة: ١].

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: في هذا الحديث مع ما وصفنا لك طرح الحكم باستعمال الظنون؛ لأنه لما كان الكتاب يحتمل أن يكون ما قال حاطب كما قال من أنه لم يفعله شاكاً في الإسلام وأنه فعله ليمنع أهله. ويحتمل أن يكون زلة لا رغبة عن الإسلام.

واحتمل المعنى الأقبح كان القول قوله فيها احتمل فعله وحكم رسول الله ﷺ

فيه بأن لم يقتله ولم يستعمل عليه الأغلب، ولا أحد أتى في مثل هذا أعظم في الظاهر من هذه؛ لأن أمر رسول الله ﷺ مباين في عظمته لجميع الآدميين بعده.

إذا كان من خابر المشركين بأمر رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يريد غرتهم.

صدقه ما عاب عليه الأغلب مما يقع في النفوس؛ فيكون لذلك مقبولاً كان من بعده في أقل من حاله وأولى أن يقبل منه مثل ما قبل منه.

قيل للشافعي: أفرأيت إن قال قائل: إن رسول الله ﷺ قال: «قد صدق» إنما تركه لمعرفته بصدقه لا بأن فعله كان يحتمل الصدق وغيره.

فيقال له: قد علم رسول الله ﷺ أن المنافقين كاذبون وحقن دماءهم بالظاهر، فلو كان حكم النبي ﷺ في حاطب بالعلم بصدقه كان حكمه على المنافقين القتل بالعلم بكذبهم، ولكنه إنما حكم في كل بالظاهر وتولى الله تعالى منهم السرائر، ولئلا يكون لحاكم بعده أن يدع حكماً له مثل ما وصفت من علل أهل الجahليّة، وكل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو عام حتى يأتي عنه دلالة على أنه أراد به خاصّاً، أو عن جماعة المسلمين الذين لا يمكن فيهم أن يجعلوا له سنة، أو يكون ذلك موجوداً في كتاب الله تعالى. اهـ.

قال الإمام ابن بطال -رحمه الله تعالى- في «شرحه على صحيح البخاري» (١٦٢/٥) ط/ مكتبة الرشد: «قال الطبرى... وقد روی مثل ذلك عن الأئمة [أى: فعل النبي ﷺ مع حاطب [فوجئ] ، روی الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب أن عامله على البحرين أتى برجل قامت عليه بينة أنه كاتب عدوًّا للمسلمين بعورتهم، وكان اسمه: أضرباس، فضرب عنقه وهو يقول: يا عمر، يا عمراه، فكتب عمر إلى عامله فقدم عليه فجلس له عمر وبيده حربة، فلما دخل عليه علا جبينه بالحربة وجعل يقول: أضرباس ليك، أضرباس ليك. فقال له عامله: يا أمير المؤمنين، إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهم أن يلحق بهم. فقال له عمر: قتلتة على هذه، وأيّنا لم يهُم، لو لا أن تكون سيئة لقتلتك به» اهـ.

وقال الإمام القرطبي في «تفسيره» ط / دار الكتب المصرية (١٨/٥٦): «من كثر تطلعه على عورات المسلمين وينبه عليهم ويعرف عدوهم بأخبارهم لم يكن بذلك كافراً إذا كان فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم، كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينحو الردة عن الدين». اهـ.

وقال شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٧/٥٢٢): «إن شعب الإيمان قد تتلازم عند القوة ولا تتلازم عند الضعف؛ فإذا قوي ما في القلب من التصديق والمعروفة والمحبة لله ورسوله أوجب بغض أعداء الله.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا أَنْخَذُوهُمْ أَوْلَاهُمْ﴾ [المائدة: ٨١].

وقال: ﴿لَا تَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَذَّوْنَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَيْكُنَّ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد تحصل للرجل موادتهم لرحم أو حاجة فتكون ذنبًا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافراً، كما حصل من حاطب بن أبي بلترة لما كاتب المشركين بعض أخبار النبي ﷺ وأنزل الله فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْهَا عَدُوِّي وَعَدُوكُمْ أَوْلَاهُمْ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١].

وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أبي في قصة الإفك. فقال لسعد بن معاذ: كذبت والله؛ لا تقتلها ولا تقدر على قتلها؛ قالت عائشة: وكان قبل ذلك رجلاً صالحًا ولكن احتملته الحمية.

ولهذه الشبهة سمي عمر حاطباً منافقاً فقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال: «إنه شهد بدرًا» فكان عمر متأنلاً في تسميته منافقاً للشبهة التي فعلها.

وكذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة: «كذبت لعمر الله لنقتلنه؛ إنما

أنت منافق تجادل عن المنافقين»؛ هو من هذا الباب.

وكذلك قول من قال من الصحابة عن مالك بن الدخشم: منافق وإن كان قال

ذلك لما رأى فيه من نوع معاشرة ومودة للمنافقين.

ولهذا لم يكن المتهمن بالنفاق نوعاً واحداً بل فيهم المنافق المحضر؛ وفيهم من فيه إيمان ونفاق؛ وفيهم من إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق، وكان كثير ذنوبهم بحسب ظهور الإيمان؛ ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك؛ صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكونوا يعاتبون عليه قبل ذلك.

ومن هذا الباب: ما يروى عن الحسن البصريّ ونحوه من السلف؛ أنهم سموا
الفساق منافقين؛ فجعل أهل المقالات هذا قولًا مخالفًا للجمهور؛ إذا حكوا تنازع
الناس في الفاسق الملي هل هو كافر؟ أو فاسق ليس معه إيمان؟ أو مؤمن كامل الإيمان؟
أو مؤمن بما معه من الإيمان فاسق بما معه من الفسق أو منافق؟

والحسن - رحمة الله تعالى - لم يقل ما خرج به عن الجماعة، لكن سماه منافقاً على الوجه الذي ذكرناه.

والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق؛ ولهذا كثيراً ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر كما يقال: الشرك شركان أصغر وأكبر...». ا.هـ.
ويقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله في «مصابح الظلام» (١٣٣/١):
«إن جنس الموادة للمشركيين قد تقع من مسلم قد برع من النفاق الأكبر، وأية سورة المتتحنة نزلت في حاطب بن أبي بلتقة وهو بريء من النفاق بشهادة رسول الله عليه السلام؛ فإيانه لما اعتذر إليه، وقال: «إني لم أفعل هذا رغبةً عن الإسلام ولا شَكًا فيه، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يد تحمي أقاربي ومن لي بمكة» أو نحو هذا الكلام، فقال النبي عليه السلام: «صدق» فكيف يجعله هذا المعرض منافقاً وقد شهد بدرأً، وقال النبي عليه السلام: «ما يدركك أن الله أطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم...» أول السورة يدل على إيمانه، وأن المشركيين من أعدائه، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَنْخُذُوا عَذْوَى وَعَدْوَكُمْ أُولَئِكَ لَنُقُولُ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴿١﴾ [المتحنة: ١]. اهـ.

قال أبو عمر البغدادي:

«تاسعاً: نرى أنَّ الجهاد في سبيل الله فرض على التعيين منذ سقوط الأندلس لتحرير بلاد المسلمين، وهو مع كل بر وفاجر، وأعظم الآثام بعد الكفر بالله النهي عن الجهاد في سبيل الله في زمان تعينه، قال ابن حزم: «ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم، من أجل فسقِ رجل مسلم لا يحاسب غيره بفسقه»^(١).

تعليق:

(١) وكما برئت الأزارقة من القعدة (الذين لم يحملوا السيف!) - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - وامتحنوا الناس بذلك وكفروا من لم يبرأ منهم؛ فعلت كذلك داعش حيث برئت من القاعدين عن الجهاد - بزعمهم - (الذين لم يحملوا السيف) من هم خوارج مثلهم كالإخوان وحزب النور وغيرهم؛ كما في «السلبية دين من؟!» لأبي محمد العدناني.

بل قال في «عذرًا أمير القاعدة» ردًا على أيمن الظواهري رئيس خوارج «القاعدة»: «كفال حتى لا تؤدي إلى ضلالٍ كبيرٍ وفسادٍ عريضٍ، كما أوصانا وحدّرنا الزرقاوي والليبيي أمراء القاعدة، وأن تدعوا المسلمين لجهاد وقتل أولئك كلّهم دعوةٌ صريحةٌ بنبذ الألفاظ والمصطلحات الدخيلة على المجاهدين كالمقاومة الشعبية والانتفاضة الجماهيرية والحركة الدعوية والشعب والجماهير والكفاح والضال وغيرها... بألفاظِ الجهاد الشرعية الواضحة، والدعوةُ الصريحةُ لحمل السلاح ونبذِ السلمية وخصوصاً في مصر لقتال جيش الردة، جيش السيسي فرعون مصر العجيد، وإلى التبرؤ من مرسي وحزبه والصدع برأته وكفال تلبيساً على المسلمين.

نعم... مرسي المرتد الطاغوت الذي خرج بنفسه على رأس جيشه إلى سيناء، لا لحرب اليهود، بل لحرب المجاهدين الموحدين هناك، فدك بطائراته ودباباته بيوتهم وبيوت المسلمين، نعم.. ذلك الطاغوت الذي من شدة حقده على المجاهدين الموحدين عين قاضياً نصرانياً صليبياً ليحكم على من أسرّ منهم، وطبعاً جاء الحكم بالإعدام، فوقع عليه ذلك المرتد الطاغوت ليشفى غليله منهم.

فعلام لم تُنكِر عليه، ولم تدع للقصاص منه؟! بل صورته مظلوماً وترفقت به، ودعوت له! أم أنك راضٍ عن فعله ودستوره الذي حكم به؟ وما سفكه من دماء المجاهدين المرابطين الموحدين في سيناء، ولا تحسبك كذلك». اهـ.

نقول:

أولاً: قوله: «نرى أنَّ الجهاد في سبيل الله فرض على التعين»، قد تابعه على ذلك أبو محمد العدناني - المتحدث الرسمي باسم الخوارج - في كلمة له بعنوان «الآن الآن جاء القتال» بل زاد فقال: «إنَّ كُلَّ جنديٍّ في دولة العراق الإسلامية وكل مجاهد يعتقد أنَّ المجاهد في زماننا من أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله تعالى، ويعتقد أنَّ عليه أنَّ يقاتل في سبيل الله حتى ولو لم يبق مجاهدٌ غيره في هذا الزمان؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى أمره قائلاً: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، وإنَّ كُلَّ مجاهدٍ على يقينه أنَّ الله تبارك وتعالى سينصره ويكتُفُ عن المسلمين بأس الدين كفروا حتى لو لم يُقِّ على وجه الأرض مقاتلاً سواه». ا.هـ.

نقول: انظر -رحمك الله- إلى هذا الاعتقاد الذي لم يقل به أحد قبل هؤلاء الأحداث السفهاء، فلم يسبقهم إلى هذا القول والاعتقاد أحد من أهل العلم قط، وإنما هي الجرأة والتقوُّل في دين الله، والتقدم بين يدي رسول الله -ولا تنس ما ذكره قبل هذا من حرمة التقدم بين يدي رسول الله-.
وأما هذه الآية التي استدل بها فانظر إلى تفسير العلماء والأئمة سلفاً وخلفاً لهذه الآية.

قال شيخ المفسرين الطبراني رحمه الله في «تفسيره» (٥٧٩/٨): «لَا يَكُلُّفُكُ اللَّهُ فِيمَا فَرَضَ عَلَيْكَ مِنْ جَهَادِ عَدُوِّكَ، إِلَّا مَا حَمَلَكَ مِنْ ذَلِكَ دُونَ مَا حَمَلَ غَيْرُكَ مِنْهُ، أَيْ: أَنْكَ إِنَّمَا تُتَّبِعُ بِمَا اكتسبته دون ما اكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كُلُّفتَه دون ما كُلُّفَه غيرك». .

وقال ابن القيم رحمه الله في «مختصر الصواعق المرسلة» (ص ٦٥): «فَلِمَا أَمْرَه بالقتال وأخبره أنه لا يكلف بغيره، بل وإنما يكلف بنفسه أتبعه بقوله: ﴿وَحَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ٨٤]، لئلا يتوهם سامع أنه وإن لم يكلف بهم فإنه يهملهم ويتركهم». وقال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «لِيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ عَلَى غَيْرِ نَفْسِكَ، فَلَنْ

تُكَلِّفُ بِفَعْلِ غَيْرِكَ». اهـ.

فتتأمل الفرق بين كلام العلماء وبين كلام هؤلاء! فإن أهل العلم لم يفهموا من هذه الآية أن المسلم مأمور بالجهاد ولو لم يكن هناك غيره، بل فهموها على نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وأن الإنسان لا يكلف في الجهاد ولا في غيره إلا ما يطيق ويستطيع، فإذا أمر الإنسان أن يجاهد ولو كان وحده فهذا مما لا يطاق أصلًا؛ فإن الجهاد ليس عبادة فردية، وإنما عبادة جماعية مناطة بجماعة المسلمين وإمامهم.

ولذا تأمل كلام شيخ الإسلام رحمه الله وفي أي سياق ذكر هذه الآية واستدل بها! حيث يقول كما في «مجموع الفتاوى» (٢٦/١): «ولهذا لم يجيء في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح: أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة، وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي، كقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، أي: وإن وقع في الأمر تكليف، فلا يكلف إلا قدر الوعظ».

وقال رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣١٤/١٠): «إن الله لا يجعل الذنب ذنبًا لمن لم يفعله فإنه هو القائل: ﴿وَلَا تُرُرُّ وَارِدَةً وَرَرُّ أُخْرَى﴾. فمن الممتنع أن يضاف إلى محمد صلوات الله عليه وآله وسلام ذنب آدم صلوات الله عليه وآله وسلام أو أمته أو غيرهما.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حِلَّ وَعَلَيْكُمْ مَا حِمَلْتُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ ولو جاز هذا لجاز أن يضاف إلى محمد ذنب الأنبياء كلهم». اهـ.

كذلك يتبين بطلان هذا الاستدلال بما ورد من الأدلة الكثيرة الصرحة على اشتراط القدرة والاستطاعة على الجهاد ومنها: قوله تعالى: ﴿أَلَفَنَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيهِمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةً صَابِرَةً يَغْلِبُوْ مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ

يَعْلَمُوْا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَلْهَمَ مَعَ الْصَّابِرِينَ ﴿١٦﴾ [الأنفال: ٦٦].

ففي «تفسير الطبرى» (٥٩/١٤) عن عبد الله بن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية، نقلت على المسلمين، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين، ومائة ألفاً، فخفف الله عنهم؛ فنسخها بالأية الأخرى فقال: ﴿أَكُنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَمَ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَعْلَمُوْا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلَمُوْا أَلْفَيْنِ﴾، قال: وكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبع لهم أن يفروا منهم، وإن كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوه، وجاز لهم أن يتحوزوا بهم». وانظر: تفسير ابن كثير لآلية.

وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (١٧٢٨/٥) عن ابن عباس قال: «لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلَمُوْا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] فكتب عليهم ألا يفر عشرون من المائتين ولا يفر واحد من عشرة ثم قال: ﴿أَكُنْ خَفَّ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلَمَ أَنْ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَعْلَمُوْا مِائَتَيْنِ﴾ فكتب عليهم ألا يفر واحد من اثنين ومائة من المائتين، فإن فر من ثلاثة فلم يفر».

وقال الشافعى: «وهذا كما قال ابن عباس إن شاء الله تعالى مستغنٍّ فيه بالتنزيل عن التأويل وقال الله تعالى: ﴿إِذَا لَتَسْتَمِعُ إِلَيْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُؤْلُمُهُمُ الْأَدْبَارُ﴾ الآية، فإذا غزا المسلمون أو غزوا فتهيئوا للقتال فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا بهم إلا متحرفين إلى فتنة فإن كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحاب لهم أن يولوا بهم، ولا يستوجب السخط عندي من الله عز وعلا لو ولوا بهم إلى غير التحرف للقتال والتحيز إلى فتنة؛ لأننا بينما أن الله تعالى إنما يوجب سخطه على من ترك فرضه، وأن فرض الله تعالى في الجهاد إنما هو على أن يجاهد المسلمين ضعفهم من العدو، ويأثم المسلمون لو أطل عدو على أحد المسلمين وهو يقدرون على الخروج إليه بلا تضييع لما خلفهم إذا كان العدو ضعفهم وأقل». اهـ. من «الأم» للشافعى - رحمه الله تعالى - (١٧٨/٤).

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الصُّعْكَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ مَا

يُفْقِدُونَ حَرَجَ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ أَعْفُوْ رَحِيمٌ
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوكُمْ لِتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَجِدُ لَكُمْ عَلَيْهِ تَوْلَأْ
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَا يَحْدُوْ مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ [التوبه: ٩٢، ٩١].

أخرج البخاري رحمه الله في «صحيحه» برقم (٤٤٢٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة، فقال: «إن بالمدينة أقواماً، ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، جسدهم العذر».

قال الحافظ رحمه الله: «ومراد بالعذر ما هو أعم من المرض وعدم القدرة على السفر، وقد رواه مسلم من حديث جابر بلفظ: «جسدهم المرض» وكأنه محمول على الأغلب». «فتح الباري» (٤٧/٦).

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضْلَ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَعِدِينَ درجةٌ وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ
وَفَضْلَ اللَّهِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ [النساء: ٩٥].

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (١/٢٤٨): «يؤخذ من قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾، أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين؛ لأن القاعددين لو كانوا تاركين فرضاً لما ناسب ذلك وعده لهم الصادق بالحسنى؛ وهي الجنة والثواب الجزييل». اهـ.

وهذا هو الأصل في الجهاد أنه فرض على الكفاية، وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنّة، ولا يمكن بحال أن يكون فرض عين على كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَتَفَقَّهُوْ فِي
الَّدِيْنِ وَلَيُنَذِّرُوْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَ ﴿١٢٢﴾ [التوبه: ١٢٢].

ولكنه يتبع على بعضهم في أربع حالات بينها العلامة العثيمين رحمه الله كما في مجموع «فتاويه ورسائله» (٣٦٥/٣٦): «سئل فضيلة الشيخ رحمه الله: ما حكم الجهاد في

زماننا هذا؟ وهل هو فرض كفاية أم فرض عين؟ وإذا كان الجهاد فرض كفاية فمتى يكون فرض عين على هذه الأمة؟.

فأجاب بقوله:

أولاً: يجب أن تعلم أن الجهاد لا يكون فرض عين على جميع المسلمين، هذا شيء مستحيل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَالِبِيَّةً﴾ [التوبه: ١٢٢]، وبيان ذلك، فقال: ﴿لِسَنَفَّهُوا﴾ أي: القاعدون في المدينة [ويقنهوا] ﴿قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ لأنهم لو انصرفوا كلهم إلى الجهاد لتعطلت بقية الشرائع والشعائر.

لكن يكون فرض عين في مواضع:

الموضع الأول: إذا حضر الإنسان صفت القتال فإنه يجب عليه أن يواصل الجهاد، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا رَحْقًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَذْبَارَ ١٥﴾ وَمَنْ يُولِّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ، إِلَّا مُتَحَرِّكًا لِقَاتَلٍ أَوْ مُتَحَرِّكًا إِلَى فَتَهٌ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

الموضع الثاني: إذا حاصر العدو بلده، فهنا يجب عليه أن يقاتل دفاعاً عن نفسه، وببلده الإسلامي.

الموضع الثالث: إذا استنفره الإمام؛ يجب عليه أن يخرج. فمثلاً: يقول الإمام لأهل البلد: هيا اخرجوا للجهاد، فيجب أن يخرجوا؛ لأن معصية ولادة الأمور محظوظة، ولما وجه الخطاب لهؤلاء وجب عليهم أن يقوموا بذلك.

الموضع الرابع: إذا احتاج إليه بأن يكون هذا الرجل يعلم من استعمال هذا النوع من السلاح وغيره ما لا يعلمه غيره، فهنا يتبع عليه أن يباشر.

وفي غير هذه الموضع الأربع لا يكون الجهاد فرض عين، ثم إن الجهاد لا بد له من راية إمام، وإلا كانت عصابات^(١)؛ فلا بد من إمام يقود الأمة الإسلامية، ولذلك

(١) وهذا عين الواقع لا سيما في الشام والعراق من هذه العصابات التي أذيقها الأمة الويالات، وهذا

تجد الذين قاموا بالجهاد من غير رأية إمام لا يستقيم لهم حاًل، بل ربما يُبادُون عن آخرهم، وإذا قُدِّر لهم انتصار صار النزاع بينهم.

فعلى كل حال نسأل الله أن يعيننا على جهاد أنفسنا، فنحن الآن في حاجة إلى جهاد النفس، فالقلوب مريضة، والجوارح مقصّرة، والقلوب متنافرة، وهذا يحتاج إلى جهاد قبل كل شيء». أهـ.

ثانياً: قوله: «منذ سقوط الأندلس لتحرير بلاد المسلمين».

نقول: لقد سقطت الأندلس من عدة قرون، وكان العلماء آنذاك متواوفرين، ولا نعلم قوله إلا لعالم يعتبر من أهل الاجتهاد أو جب على جميع المسلمين وجواباً عينياً أن ينفروا إلى الأندلس ليحرروها!

وهنا لابد من بيان أمر مهم متعلق بالجهاد به تزول كثير من الإشكالات وهو مراحل تشريع الجهاد و Heidi مع الكافرين والمنافقين.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٤٣/٣): «أول ما أوحى إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبلیغ، ثم أنزل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّبِّرُ﴾ ١ ﴿قُرْفَانِر﴾ [المذر: ١، ٢]، فنبأ بقوله: ﴿أَقْرَأ﴾ وأرسله بـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّبِّرُ﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربيين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حولهم من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح. ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكتفى عمن اعتزله ولم يقاتلها، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله.

ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفي لهم به ما

يبين لنا أن أهل السنة لا يتكلمون بأهوائهم وإنما بالسنة التي أشربتها قلوبهم فلا تقاد خطئ فراستهم الله درهم.

استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأمر أن يقاتل من نقض عهده.

ولما نزلت سورة (براءة) نزلت بيان حكم هذه الأقسام كلها، فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلوطة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحججة واللسان.

وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار، ونبذ عهودهم إليهم، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام:

قسمًا أمره بقتالهم، وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم.

وسمى لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه، فأمره أن يتم لهم عهدهم إلى مدتتهم.

وسمى لهم عهد ولم يحاربوه، أو كان لهم عهد مطلق، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر، فإذا انسلاخت قاتلهم... فقتل الناقض لعهده، وأجل من لا عهد له، أو له عهد مطلق أربعة أشهر، وأمره أن يتم للمؤمن بعهده عهده إلى منته، فأسلم هؤلاء كلهم، ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتتهم، وضرب على أهل الذمة الجزية.

فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول (براءة) على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسالم له آمن، وخائف محارب». اهـ.

فهذه مراحل الجهاد، ولكل مرحلة حالتها الذي مرت به.

وهذه المراحل المتعلقة بهذه الأحوال كلها وجد حال وجدت المرحلة، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في الصارم المسلول (ص ٢٢١): «فمن كان من المؤمنين بأرض

هو فيها مستضعف؛ أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح عنمن يؤذى الله ورسوله من الذين أتوا الكتاب والمرسكون، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون». اهـ.

فإن قال قائل: إن هذه الأحوال منسوخة بآية السيف!

نقول: إن من شرط النسخ تحقق التعارض بين الناسخ والمنسوخ، ولا يكون النسخ إلا إذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للمنسوخ، والأمر بالقتال في حال القوة لا ينافي أمر بالكف في حال الضعف.

ولذلك قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ هُمْ وَأَتُوكُلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

ردًا على من زعم أن الآية منسوخة بآية السيف ط/ الكتب العلمية (٤/٧٤): «وهذا فيه نظر؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهاجمتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم». اهـ.

قال الزركشي رحمه الله في «البرهان في علوم القرآن» (٢/٤٩) مبيناً أقسام النسخ: «ما أمر به لسبب ثم يزول السبب؛ كالامر حين الضعف والقلة بالصبر والمغفرة للذين يرجون لقاء الله، ونحوه من عدم إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ونحوها، ثم نسخه بإيجاب لذلك، وهذا ليس بنسخ في الحقيقة وإنما هو نسخ كما قال تعالى: ﴿أَوْ تُنسِهَا﴾ فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمين، وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

وبهذا التحقيق تبين ضعف ما هج به كثير من المفسرين في الآيات الآمرة بالتخفيض أنها منسوخة بآية السيف، وليس كذلك، بل هي من المنسأ بمعنى: أن كل أمر ورد يجب امثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل بانتقال تلك العلة

إلى حكم آخر، وليس بنسخ إنما النسخ، الإزالة حتى لا يجوز امثاله أبداً». اهـ.

قال أبو عمر البغدادي:

«عاشرًا: ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر وكانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نكرر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشرعيته؛ فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أو جب من قبال المحتل الصليبي، ولذا وجب التنبيه أننا سنقاتل أي قوات غازية لدولة الإسلام في العراق، وإن تسمت بأسماء عربية أو إسلامية، ونتصحهم ونحذرهم ألا يكونوا كبس فداء للمحتل كما هو مقترح لحل أزمة المحتل الصليبي في العراق».

تعليق:

نقول:

أولاً: قوله: «ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر»... إلى: « فهي ديار كفر».

نقول: من أين لهم أن الديار يحكم عليها بالشرع والأحكام؟!

بل الديار بساكنيها والغالب فيها، فما دامت الغالبية لأهل الإسلام يقيمون الشعائر الظاهرة من أذان وجُمع وجماعات فهي دار إيمان وإسلام.

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -مقرراً اعتقاد أهل السنة والفرق بينه وبين غيره- في «اعتقاد أهل السنة»، (ص: ٥٦) ط/ دار ابن حزم: «ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر -كما رأتها المعتزلة-، ما دام النداء بالصلوة والإقامة ظاهرين، وأهلها ممكّين منها آمنين».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨٤-٢٨٦/١٨): «وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها؛ بل هي صفة عارضة بحسب سكانها؛ فكل أرض سكانها المؤمنون المتقوون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت، وكل أرض سكانها

الفساق فهي دار فسوق في ذلك الوقت؛ فإن سكناها غير ما ذكرنا وتبدل بغيرهم فهي دارهم.

وكذلك المسجد إذا تبدل بخماره أو صار دار فسق أو دار ظلم أو كنيسة يشرك فيها بالله كان بحسب سكانه؛ وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها إذا جعلت مسجداً يعبد الله فيه جل وعز كان بحسب ذلك، وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقاً والكافر يصير مؤمناً أو المؤمن يصير كافراً أو نحو ذلك، كل بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال.

وقد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَةً﴾ الآية نزلت في مكة لما كانت دار كفر وهي ما زالت في نفسها خير أرض الله وأحب أرض الله إليه وإنما أراد سكانها...

فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً وتارة كافراً وتارة مؤمناً؛ وتارة منافقاً وتارة براً تقىً وتارة فاسقاً وتارة فاجراً شقياً وهكذا المساكن بحسب سكانها». اهـ.

وقال الشوكاني رحمه الله في «السيل الجرار» (ص ٩٧٦، ط/ دار ابن حزم): «قوله: «فصل ودار الإسلام...» إلخ.

أقول: الاعتبار بظهور الكلمة؛ فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام بحيث لا يستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفره إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام؛ فهذه دار إسلام، ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصلتهم، كما هو مشاهد في أهل الذمة من اليهود والنصارى والمعاهدين الساكنين في المدائن الإسلامية، وإذا كان الأمر العكس فالدار بالعكس». اهـ.

ثانياً: قوله: «ولا يلزم هذا أن نكفر ساكني الديار».

نقول: فما فائدة وصم هذه الديار بأنها ديار كفر؟! أليس لتكون دار حرب؟!

وساكن دار الحرب حلال الدم حلال المال حلال العرض! فماذا تقصد بقولك ديار كفر ولا يلزم من ذلك أن نكفر ساكنيها، فهذا كلام لا معنى له، أو هي مراوغة مكشوفة للفرار من وصم الخارجية، -ومع ذلك فهو قول الإباضية من الخوارج كما سيأتي إن شاء الله-، وإلا فما الذي يترتب على ذلك؟! وهل الديار إلا بساكنها، ألم أنك ستحارب الجدار والأشجار والبحار والأنهار؟!

قال الشوكاني رحمه الله في «السيل الجرار»، (ص ٩٧٧): «واعلم أن التعرض لذكر دار الإسلام ودار الكفر قليل الفائدة جدًا لما قدمنا لك في الكلام على دار الحرب، وأن الكافر الحربي مباح الدم والمال على كل حال ما لم يؤمّن من المسلمين، وأن مال المسلم ودمه معصومان بعصمة الإسلام في دار الحرب وغيرها.

وإن كانت الفائدة هي ما تقدم من كونهم يملكون علينا ما دخل دارهم قهراً؛ فقد أوضحتنا لك هنالك أنهم لا يملكون علينا شيئاً.

وإن كانت الفائدة وجوب الهجرة عن دار الكفر فليس هذا الوجوب مختصاً بدار الكفر، بل هو شريعة قائمة وسنة ثابتة عند استعلان المنكر، وعدم الاستطاعة للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم وجود من يأخذ على أيدي المتهكين لحرام الله فحق على العبد المؤمن أن ينجو بنفسه ويفر بيده إن تمكن من ذلك ووجد أرضاً خالية عن التظاهر لمعاصي الله، وعدم التناكر على فاعلها؛ فإن لم يجد فليس في الإمكان أحسن مما كان، وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، كما أرشد إلى ذلك الصادق المصدوق فيما صح عنه، وإذا قدر على أن يغلق على نفسه بابه ويضرب بينه وبين العصاة حجابه، كان ذلك من أقل ما يجب عليه، وقد أوضحت أمر الهجرة وما هو باق منها وما قد نسخ في «شرحى للمتنقى» فليرجع إليه». اهـ.

ثالثاً: قوله: «وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام ... » إلخ.

نقوله له: بما في ذلك مكة؟! فجوابهم: نعم!

قال أبو محمد المقدسي في وقفات مع «ثمرات الجهاد» (ص ٨٦): «الدنيا كلها اليوم دار كفر، وال المسلمين فيها مستضعفون وديارهم كلها مسلوبة محتلة مغتصبة، إما من كفار خارجيين أو من كفار داخلين موالين للكفار الخارجيين، ولا أستثنى من ذلك حتى مكة والمدينة». اهـ.

وقد كتب في ذلك أبوأسامة الغريب - وهو منهم - رسالة بعنوان «هل مكة دار كفر» يرد فيها على مرجة العصر - بزعمه - الذين يقولون: إن مكة دار إسلام وليس بدار كفر، وذكر أن القول بأنها دار كفر قول علمائهم!

وقال أبو محمد العدناني في كلمة بعنوان: ﴿وَلَيُمْكِنَ لَهُمْ دِينُهُمُ الَّذِي أَرْتَضَنَ لَهُمْ﴾: «فيا أيها الأسود في الأنبار ونينوى وصلاح الدين وكركوك وديالي وبغداد والجنوب: واصروا حفكم، وأعيدوا رسم الخارطة، فإنكم اليوم تُمْ أهل المستضعفين في كل مكان، وإن الأسرى يتظرونكم في بغداد ورومية وحلب والحائر وأبي زعبل، وإن لكم موعداً في بغداد ودمشق والقدس ومكة والمدينة، إن لكم موعداً في دابق والغوطة وروما إن شاء الله». اهـ.

ويقول أيضاً في كلمة بعنوان: «ما كان هذا منهجنا ولن يكون»: «عازمين على تحكيم شرع الله، أجسادهم في العراق، وأرواحهم في مكة الأسيرة، وأفئدتهم في بيت المقدس، وعيونهم على روما». اهـ.

فهذا المقدسي يصرح بأن مكة دار كفر، والعدناني يصفها بالأسيرة! أي: أسرها الكفار فهي دار كفر! ويعد جنوده بغزوها! وهذا من عظيم جهلهم! فإنه كما سبق ديار الكفر هي ديار حرب، ومكة لا يجوز أن تكون دار حرب بعد فتحها إلى يوم القيمة فعن ابن عباس رض، قال: قال النبي ﷺ يوم افتتح مكة: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض، وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة، لا يعوض شوكي، ولا ينفر صيده».

ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يختلئ خلاها». متفق عليه البخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).

قال ابن دقيق العيد في «إحکام الأحكام» (٢/٦٣): «وفي ضمن الحديث الإخبار بأن مكة تصير دار إسلام أبداً».

وقال ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٤/٥٥٤): «قال الطبرى: فيه الإبانة عن أن مكة غير جائز استحلاها، ولا نصب الحرب عليها لقتال بعدها حرمتها رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، وذلك أنه عليه السلام أخبر حين فرغ من أمر المشركين بها أنها الله حرم، وأنها لم تحل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعده بعد تلك الساعة التي حارب فيها المشركين، وأنها قد عادت حرمتها كما كانت، فكان معلوم بقوله هذا أنها لا تحل لأحد بعده بالمعنى الذي أحلت له به، وذلك محاربة أهلها وقتالهم وردهم عن دينهم».

وفي حديث أصرح قال رسول الله ﷺ: «لا تغزى هذه» -يعني: مكة- «بعد اليوم إلى يوم القيمة». أخرجه الترمذى (١٦١) وغيره، وقال الترمذى: «حسن صحيح».

ولابن أبي عاصم في «الأحاديث الثنائي» (٦٨/٢) بلفظ: «لا تغزى مكة بعد هذا

العام أبداً» يعني عام الفتح». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٤٢٧). قال ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ط/ هجر (٦/٥٨٩): «إِنْ كَانَ نَهِيًّا، فَلَا إِشْكَالٌ، وَإِنْ كَانَ نَفِيًّا، فَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: مَعْنَاهُ عَلَى كُفُرِ أَهْلِهَا».

وقال الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/١٦٩): «قال سفيان: تفسيره أنهم لا يكفرون أبداً، ولا يُغزوون على الكفر قال أبو جعفر: وكذلك معنى «لا يقتل قريشٌ بعد العام صبراً» إنما يراد به هذا المعنى أنهم لا يعودون كفاراً يُغزوون حتى يقتلوه على الكفر، كما لا تعود مكة دار كفر تغزى عليه وبالله التوفيق».

وأمام الحديث «لا تنتهي البعثة عن غزو هذا البيت، حتى يخسف بجيشه منهم» أخرجه النسائي (٢ / ٣٢) والحاكم (٤ / ٤٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٥٥٩/٥)، ثم قال: «اعلم أنه لا منافاة بين هذا الحديث والحديث المتقدم (٢٤٢٧): «لا تغزى مكة بعد إلى يوم القيمة» لأن المثبت من الغزو في هذا غير المنفي في ذاك، ألا ترى إلى تفسير سفيان إيه بقوله: «إنهم لا يكفرون أبداً ولا يغزوون على الكفر». و يؤيده قوله في هذا الحديث: «يخسف بجيشه منهم».

فهو صريح في أن هذا الجيش من الكفار، أو البغاء، وإن كان فيهم مؤمنون مكرهون، فهم يؤمّون البيت ليغزوا من فيه من المسلمين، فلا تعارض، والحمد لله.

اـهـ

رابعاً: قوله: «إِنَّا نَرَى كُفُرَ وَرَدَةَ جَمِيعِ حُكَّامِ تُلُكِ الدُّولِ وَجَيْوشَهَا، وَقَتَالُهُمْ أَوْجَبُ مِنْ قَتَالِ الْمُهَاجِلِ الصَّلَبِيِّ».

نقول: يؤكّد ذلك أبو محمد العدناني المتحدث الرسمي للخوارج «داعش» حيث يقول: «إن جيوش الطواغيت من حكام ديار المسلمين هي بعمومها جيوش ردة وكفر! وإن القول اليوم بكفر هذه الجيوش وردمتها وخروجها من الدين بل ووجوب قتالها وفي مقدمتها الجيش المصري هو القول الذي لا يصح في دين الله خلافه، وهو الذي تشهد له الأدلة الشرعية من القرآن والسنة وكلام العلماء الأفذاذ الفحول

المعبرين، وليس هو قطعاً من أقوال أهل الغلو والتکفیر بغير وجه حق»! من کلمة له بعنوان «السلمية دین من؟!».

فتأمل -رحمك الله- في جرأة هؤلاء أحداث الأسنان سفهاء الأحلام! كيف يکفرون الحكام والجيوش بغير مکفر! ثم يستحلون منهم ما يستحلون من الكفار، بل هم عندهم أشد من اليهود والنصارى! وقتاهم أوجب من قتال اليهود والنصارى، فإنهم کفروا المسلمين الذين لم يکفراهم الله ولم يکفراهم رسوله، وزعموا أنهم مرتدون ثم بنوا على ذلك أن قتال المرتد أوجب من قتال الكافر الأصلي!

وإن هذا ليصدق عليهم حديث رسول الله ﷺ: «يَدْعُونَ أَهْلَ الْأُوْثَانَ وَيَقْتَلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ»!

ثم انظر إلى التناقض -الذی هو صفة لازمة لمن خالف منهاج رسول الله ﷺ- فإنه أولاً زعم أن الديار ديار كفر ولكن لا يلزم تکفیر ساكنيها! فلماذا کفرت الحكام وجيوشهم الآن؟ أليسوا من ساكنيها؟ ثم أین استيفاء الشروط وانتفاء الموانع التي تحدثتم عنها في "رابعاً" وأین إقامة الحجة التي كتم تحدثيون عنها في "سابعاً"؟! فإن قالوا: نحن نفرق بين الرؤوس وغيرها!

قلنا: من أین لكم هذا التفریق؟ وقد سبق الرد عليه، ثم أین هذا وأنتم تکفرون الجيوش قادتها وجنودها! بل أكثر الجيش جنود وليس قادة! كما هو معلوم.

فانظر إليها القارئ الفطن إلى تناقض هؤلاء وهو كما سبق وصف لازم لكل من خالف منهاج النبوة، فإن وحي الله لا يتناقض كتاباً ولا سنة، ومن تمسك به، وسار على نبجه، ولم يصدر إلا عنه، ولم يقل إلا به؛ فكذلك لا يتناقض قال تعالى: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْيَلَلَفَا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

يقول أبو عمر البغدادي:

«الحادي عشر: نرى وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة وما انبثق عنهما من مسميات كحمایة المنشآت النفطية وغيرها، ونرى وجوب هدم

وإزاله أي مبني أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقراً له».

تعليق:

نقول:

قال العدناني في «السلمية دين من؟!»: «ثالثاً: لابد لنا أن نصدع بحقيقة مرة لطالما كتمها العلماء واكتفى بالتلميح لها الفقهاء؛ ألا وهي: كفر الجيوش الخامسة لأنظمة الطواغيت، وفي مقدمتها الجيش المصري، والجيش الليبي، والجيش التونسي، قبل الثورة وبعدها، وهذا الجيش السوري قد بات كفره واضحاً حتى عند العجائز». اهـ.

وانظر إلى غمزهم ولنزعهم في العلماء والفقهاء هرباً من أن يرد عليهم كلامهم بأنهم أول من ابتدعوا الكلام به؛ إذ لا سلف لهم فيما ذكروه -إلا الخوارج-، ولذلك فإنهم بدلاً من أن يكونوا تبعاً لمن سبق من العلماء والفقهاء فيما حرروه من المسائل والأقوال، ابتدعوا هذا القول ثم طعنوا في العلماء، وصدق من قال: لا يخرجون على النساء إلا بعد أن يخرجوا على العلماء!

يقول أبو عمر البغدادي:

«الثاني عشر: نرى أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام^(١) اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوهه كثيرة لا حصر لها، وعليه إن أرادوا الأمان فعليهم أن يُحدثوا عهداً جديداً مع دولة الإسلام وفق الشروط العمرية التي نقضوها».

تعليق:

نقول: إن الناظر في الشروط العمرية وما ورد فيها من إلزامات، لاسيما مع

(١) هذا تناقض عجيب؛ إذ لماذا يريد بدولة الإسلام؟! المتบรรد إلى الأذهان أنها دولة المزعومة! فما الذي يمنعهم أن يكونوا أهل ذمة؟!؛ وإن كان يريد بلاد المسلمين فهذا تناقض أيضاً؛ لأن الديار عندهم جميعاً ديار كفر!

علمه بأن الذي كتب هذه الشروط وفرضها هم أهل الكتاب أنفسهم على أنفسهم ذللاً وضعفاً وانكساراً بين يدي عزة المسلمين وقوتهم؛ فالنظر فيها يحزن أشد الحزن على ما أصاب الأمة في هذا الزمان بسبب ذنوبهم ومخالفاتهم وبدعهم وإحداثهم في دين ربهم، ومن أعظم هذه المخالفات والبدع: بدعة الخوارج.

ولابد أن يعلم أن الشروط العمرية -مع ما كان من كلام في سندتها- فإننا لا نردها لاسيما وقد تلقاها العلماء بالقبول، ولكن لابد من اعتبار الحالة التي فرضت فيها هذه الشروط، أي: حال القوة والتمكين، كما يظهر ذلك من عدة أوجه منها: أن أهل الكتاب هم الذين فرضوا ذلك على أنفسهم وكذلك ما في الشروط نفسها من بيان ذلهم وانكسارهم، وهذا في نفسه دال على قوة المسلمين حينئذ وعزتهم، وانظر نصها في: «أحكام أهل الذمة» لابن القيم رحمه الله (١١٥٩/٣).

ولا يخفى عليك أيها القارئ الكريم أن النبي ﷺ لم يشترطها -حتى بعد نزول آية السيف!- لذلك عدّها الجمّهور من الاجتهد الذي يرجع فيه إلى الإمام، وما يراه من حال المسلمين قوة وضعفاً لاسيما وهي ليست من اشتراط عمر، وإنما هي من إقراره على ما اشترطه أهل الكتاب على أنفسهم.

ولذلك فالشيء بالشيء يذكر؛ فهناك ما يعرف بالعهدة العمرية لأهل إيلاء وليس فيها هذه الشروط إلا شرط الجزية فقط، وهو ما ورد في الكتاب والسنة، وكل ذلك يؤكّد على أن هذه الشروط ترجع إلى ولی الأمر اجتهاداً.

فإن لم يرضوا بذلك؛ فعل الأقل هؤلاء أهل عهد مع ولاة الأمر لا يجوز خفر عهدهم «فمن قتل معاهداً في عهده لم يرح رائحة الجنة...» الحديث؛ فإن قالوا: هؤلاء ليسوا حكامًا مسلمين بل هم كفار مشركون عدنا حينئذ لاصفهم -التكفير بالحكم- الذي ترجع إليه سائر بدعهم؛ ولو سلمنا أنهم أهل حرب فقد مضى بيان مراحل الجهاد وأحوال المسلمين معها واعتبار المصالح والمفاسد من قوة المسلمين وضعفهم؛ ونذكر هنا (كتابه رحمه الله بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود) وفيه:

- ١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم موالיהם وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود.
- ٢- وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.
- ٣- وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
- ٤- وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.
- ٥- وإنه لم يأثم امرؤ بخليفة.
- ٦- وإن النصر للمظلوم.
- ٧- وإن اليهود يتلقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
- ٨- وإن يشرب حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة
- ٩- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله تعالى، وإلى محمد رسول الله عليه السلام.
- ١٠- وإنه لا تجاهز قريش ولا من نصرها.
- ١١- وإن بينهم النصر على من دهم يشرب.... على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبّلهم.
- ١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. «الرحيق المختوم» (ص: ١٧٣) وانظر «سيرة ابن هشام» ت السقا (٥٠١/١).

يقول أبو عمر البغدادي:

«الثالث عشر: نرى أن أبناء الجماعات الجهادية العاملين في الساحة إخوة لنا في الدين، ولا نرميهم بـكفر ولا فجور إلا أنهم عصاة لتخلفهم عن واجب العصر وهو الاجتماع تحت راية واحدة».

تعليق:

أولاً: قوله: «نرى أن أبناء الجماعات الجهادية...» إلى «إخوة لنا».

نقول: وهذا إقرار ودعوة إلى غير ما أنزل الله! فهل في كتاب الله وسنة رسول

الله إقرار لعدد الجماعات!، أم أن كل ما جاء في كتاب الله ﷺ وسنة رسوله فيما يتعلق بهذا الأمر ليس فيه إلا الذم والتوبیخ لمن فرق المسلمين إلى جماعات وأحزاب، ليس فيه إلا الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنّة، والنهي عن الفرقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا أَللَّهُ حَقٌّ نَّعْلَمُ وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٢] واعتتصموا بحبل الله جمیعاً ﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا وَكَانُوا يُشَيِّعُونَ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ مُمِمِّنْ يُنَتَّهُمْ إِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷺ: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ﴾ [٢١] من الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا يُشَيِّعُونَ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَاهُمْ فَرِحُونَ﴾ [٢٢] [الروم: ٣١، ٣٢]، وفي «صحیح مسلم»، برقم (١٧١٥) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يرضي لكم ثلاثة، ويكره لكم ثلاثة، فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جمیعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». وانظر في هذه المسألة كتاب العالمة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-. «جماعة واحدة لا جماعات وصراط واحد لا عشرات» تقديم معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-.

ثانيًا: قوله: «ولا نرميهم بکفر ولا فجور».

وقال أبو محمد العدناني: «ومن أعظم وأقبح ما يفتري علينا وتوتهم به: أن الدولة تخبر الناس على بيتهما، وتزعم أنها حصرًا للطائفة المنصورة، والأقبح من ذلك: أنها تعتبر من يخالفها الرأي من جماعات وفصائل أو من يأبى مبaitتها أو لا يرى المصلحة في وجودها: أنه أصبح من الأعداء ومن الصحوات... حلال الدم، ولابد من التعامل معه بطريقة التعامل مع الصحوات، نعود بالله من هذه الافتراضات! أو أن نعادي أية جماعة أو فئة أو كتيبة: لمجرد أنها تحالفنا الرأي، أو لمجرد أنها تأبى مبaitة الدولة... بل إن سياسة الدولة الإسلامية في العراق والشام في هذه المرحلة: هي نصرة

المظلومين، ودفع العدو الصائل، والكف عن كف عنها»^(١).

نقول: يكفي في بيان كذب ذلك - مع ما مر من بيان ضلاله - أن ترى هذا التناحر بينهم والخلاف الحاصل في أوساطتهم مع القاعدة والنصرة، فقد قارب الأمر الرمي بالكفر، فضلاً عما حصل من استحلال للدماء من أبناء جلدتهم ومنهجهم وما ذلك إلا لأنهم ليسوا تحت رايتهم!

ثالثاً: قوله: «لتخلفهم عن واجب العصر» ... إلخ.

نقول له: رحم الله هذا المصطلح المظلوم الذي يزعمه كل واحد منهم على حسب هواه؛ فمرة يكون واجب العصر الجهاد، ومرة يكون الاجتماع تحت راية واحدة! ومرة يكون البيعة ل الخليفة المسلمين! ومرة ومرة! والحق أن واجب العصر وكل عصر وكل زمان وكل مكان، هو التوحيد والدعوة إليه وإلى تصحيحه عند المسلمين من جهلوه أو نقضوه، وكذلك كان واجب عصر الأنبياء من قبل، ولذلك فواجب عصر كل وارثي الأنبياء وأتباعهم من بعد؛ هو الدعوة إلى التوحيد والمنهج السديد وتصحيح المعتقد عند المسلمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُرْسِخُ إِلَيْهِ أَنَّهُ أَنَّهُ إِلَّا أَنَّا فَاعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأما الاجتماع فإنه لا يحمد إلا ما كان على منهاج النبوة وهو اجتماع القلوب على المعتقد الصحيح، وما يعني اجتماع الأبدان والقلوب متنافرة؟! والعقائد متناحرة؟! فالاجتماع الحقيقي هو اجتماع القلوب لا الأبدان قال تعالى: ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، فلو كانوا يعقلون لعملوا على استئصال الخلاف من جذوره، لا مجرد الظاهر بالاجتماع! ولذلك فإن الله رب العالمين ألف بين قلوب الصحابة لما اجتمعوا على عقيدة واحدة وهي ما جاء به محمد ﷺ، ﴿هُوَ الَّذِي آتَيْكُمْ نَصْرًا وَبِإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦] وألف بين قلوبهم لو أنفقوا مائة في

(١) كلمة بعنوان: «لن يضر وكم إلا أذى».

أَلْأَرْضِ جَيْعَانًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَكَعْكَنَ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

[الأنفال: ٦٢، ٦٣] فليت قومي يعلمون!

وأما ما يقع اليوم من تناحر وتباغض بل وتقاول بين أبناء هذه الجماعات؛ فإنما هو مصدق ما نقول من أنه لا توحيد للكلمة إلا بكلمة التوحيد، إلا بالسير على المنهج السديد، إلا بالإرشاد إلى الاعتقاد الرشيد.

يقول أبو عمر البغدادي:

«الرابع عشر: كل جماعة أو شخص يعقد اتفاقية مع المحتل الغازي فإنها لا تلزمها في شيء بل هي باطلة مردودة، وعليه نحذر المحتل من عقد أي اتفاقات سرية أو علنية بغیر إذن دولة الإسلام».

تعليق:

نقول:

أولاً: قوله: «فإنها لا تلزمها في شيء بل هي باطلة مردودة».

نقول: أخرج الإمام البخاري رحمه الله في «صححه» برقم (٣١٧٩)، عن علي رضي الله عنه، قال: ما كتبنا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا القرآن وما في هذه الصحيفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «... وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل...».

قال ابن بطال في «شرحه على صحيح البخاري» (٥/٣٥٠): «وقال ابن المنذر في قوله صلى الله عليه وسلم: «يسعى بها أدناهم» قال: الذمة: الأمان، يقول: إن كل من أمن أحداً من الحربيين جاز أمانه على جميع المسلمين ذنباً كان أو شريفاً، حراً كان أو عبداً، رجلاً أو امرأة، وليس لهم أن يخفروه.

واتفق مالك والثوري والأوزاعي والليث والشافعي وأبو ثور على جواز أمان العبد قاتل أو لم يقاتل، واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «يسعى بها أدناهم»... قال المهلب: وقوله: «فمن أخفر مسلماً» يعني: فيمن أجراه «فعليه لعنة الله والملائكة». وهذا اللعن وسائل

لعن المسلمين إنما هو متوجه إلى الإغلاط والترهيب لهم عن المعاصي، والإبعاد لهم من قبل مواقعتها، فإذا وقعوا فيها دعى لهم بالتوبة، وبين هذا حديث النعمان، قوله: «لا يقبل منه صرف ولا عدل» يعني: في هذه الجنائية أي: لا كفارة لها؛ لأنَّه لم يشرع فيها كفارة فهي إلى أمر الله إن شاء عذب فيها وإن شاء غفرها، على مذهب أهل السنة في الوعيد». اهـ.

قال النووي في «شرحه على مسلم» (٩/١٤٤): «المراد بالذمة هنا الأمان معناه: أنَّ أمان المسلمين للكافر صحيح؛ فإذا أمنه به أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم وللأمان شروط معروفة... قوله ﷺ: «فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله» معناه: من نقض أمان مسلم فتعرض لكافر أمنه مسلم قال أهل اللغة: يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده وخفرته إذا أمنتة».

وفي «فتح الباري» لابن حجر (٦/٢٧٤): «ودخل في قوله: «أدناهم» أي: أقلهم؛ كل وضيع بالنص وكل شريف بالفحوى». اهـ.

بل ولو أجرت امرأة كما في «الصحيحين» أن أم هانئ أجرت رجلاً مشركاً؛ فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ...».

فتتأمل رحمك الله في هذا الوعيد الشديد فيما نقض عهود المسلمين على أي حال كان هذا المسلم! فهذا كلام رسول الله ﷺ وهذا شرح العلماء له، فعلى أي أساس لا تلزمهم هذه العهود والاتفاقات؟ هل هذا من الحكم بها أنزل الله؟! هل هذا من التحاكم إلى شرع الله؟! هل هذا هو التسليم لحكم رسول الله؟!

ثانياً: قوله: «بغير إذن دولة الإسلام».

نقول: لا زال الشعور بالنقض يراودهم! يريدون أن يكونوا شيئاً مذكوراً! حسناً؛ فليكن؛ ولكن ألم تكفروا حكام المسلمين بمعاهدات والاتفاقات مع الكافرين؟ فلم تطلبوا لأنفسكم اليوم، ومع من؟ مع المحتل! أنسيتم قول إمام من أئمتكم -أئمة الخوارج- وهو عبد الله عزام في رسالته «الدفاع عن أراضي المسلمين

أهم فروض الأعيان» والتي قدم لها جملة من رجال الخوارج؛ يقول: «لا يجوز أن لا [كذا والصواب بدون: لا] تتضمن المعاهدة شرطاً فيه اعتراف أو إقرار الكفار بشبر من أراضي المسلمين... وإذا تعين الجهاد بطل الصلح كما إذا دخل العدو أرض المسلمين أو كان طالباً لهم... وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالباً على المسلمين، وكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزماته إبطال فرض العين الذي هو الجهد المطلوب فيه الاستنقاذ». اهـ.

ولا تنسوا أن هذا هو أهم فروض الأعيان عندكم! فما حكمكم الآن بناء على أصولكم؟!.

فضلاً عن أن هذا القول يرده المنقول والمعقول والتاريخ، فأما المنقول في حدث في الأحزاب فقد أهمل أن يصلحهم على ثلات ثمار المدينة.

وأما المعقول فلئن الأمم في حال استضعافها تحتاج إلى مراحل كي ما تقوم وتقوى وحيثند لابد لها من معاهدات ونحوها مع عدوها تحافظ فيه على نفسها حتى تعدد العدة ومن قرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام علم ذلك علم اليقين، والتاريخ الذي دائمًا يتغافر به الخوارج ويشعلون به حماس الشباب ينقض ذلك لا سيما صلاح الدين، الذي دائمًا يقولون: «أين صلاح الدين؟ أين صلاح الدين؟»، فنقول: فما تقولون في معاهدته الصليبيين فيصلح الرملة ولماذا لم تکفروه كما كفرتم السادات وغيره؟!.. والله الموفق والمستعان.

يقول أبو عمر البغدادي:

«الخامس عشر: نرى وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين ونذب عنهم ونصدر عنهم في النوازل والملمات، ونُعري من سار على نهج الطاغوت أو داهنه في شيء من دين الله».

تعليق:

نقول:

أولاً: قوله: «نرى وجوب توقير العلماء العاملين الصادقين ونذب عنهم ونصدر عنهم في النوازل والملمات».

نقول: لقد ثبت بكل ما مضى أن هؤلاء قرن من قرون الخوارج، ومعلوم أن الخوارج ليس فيهم عالم، بل الصفة العامة الجامدة لهؤلاء الخوارج في كل زمان ومكان هي: الجهل، ولذلك لما ذهب إليهم ابن عباس يناظرهم قال لهم: «جئتكم من عند أصحاب رسول الله الذين أنزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم وليس فيكم منهم أحد» أي: ليس فيكم عالم، لذلك تتخطبون وتنحرفون وتفشلون.

وهذا ما اعترف به رجل من رجالات هؤلاء الخوارج وهو أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة» فاستمع إليه يقول في (ص ٨٥٨)، وهو يعد الأخطاء والإشكاليات والمعوقات لما أسماه بـ«التيار الجهادي» فقال:

١- افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فيسدون ثغرة التربية والفتوى والكتابة والتوجيه. ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة الفتى الشاب مما اصطلحوا عليه بالاسم الفضفاض: (أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاهل أو عالم... فما من مسلم إلا وعنده علم.

٢- انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات، حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصرف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

٣- انخفاض مستويات التربية العبادية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرین من لحقوا بالجهاد من الشباب، وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض التجمعات الجهادية...

٤- تفشي الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية، فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي... ومعظم مناحي مستجدات الواقع، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين!

٥- اقتصر مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على برامج التدريب العسكري شبه المحضر. حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج. رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية...

٦- بروز ظاهرة التنطبع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي، بعد منتصف التسعينات، فقد أدت الظروف العامة... إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصبية، وحب التشدد والتنطبع، والتعبير عن التدين بالتشدد، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل، وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النهاذج المتأخرة، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجتمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها. ولا يمكن لهم أن يلتقاوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة...».

وقال أيضًا في «دعوة المقاومة» (ص ٨٠٣): «حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديين خلال تلك الفترة».

وقال أيضًا وهو يعد مسالب تياره الجهادي في «دعوة المقاومة» (ص ٨٤١): «ما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي، وجعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي

على تعميمات وقواعد عقدية، صارت مع توافر عوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض المجاهدين متکاً لأفكار «تكفيرية»... مما جعل الهاشم في تلك المواقف بين (الفكر الجهادي) و(الفكر التكفيري) رقيقاً.

ومما ذكر في كتابه هذا من ملاحظات حول تياره (ص: ٨٤٧): «وقد لاحظت...

أن الجيل الثالث من المجاهدين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائطه... وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين، المعبيين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي، والالتزام الديني، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات، وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جدًا من المواقف في هذه المجالات».

وقال أيضًا في (ص: ٨٤٩): «ونظرًا لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عمومًا، وضيق مجالات الشورى والاستفادة من الكوادر... وتفضيل كثير من الأمهات للإمعان، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأساوية».

وقال في «مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر» (ص: ٧٦): «أثبتت لي التجربة الجزائرية كما غيرها. أن الثغرة الكبرى في التجارب الجهادية كلها بلا استثناء، وهي في التجربة الجزائرية أشد أثراً وفطاعة. هذه الثغرة هي غياب العلماء وكبار الدعاة عن قيادة تلك التجارب الجهادية، وعدم دعمها والانحراف فيها... ولقد أدى غياب هؤلاء العقلاة وأصحاب العلم والتجربة والخبرة عن ريادة التجارب، إلى ضعف التربية وتبسيط القرارات لدى الشباب، وتخبطهم وارتباكهم للأخطاء».

ومما ذكر أبو مصعب السوري في كتابه «دعوة المقاومة» (ص: ٧٤١): «ولا أنسى أن أسجل شكري وتحياتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام الشريف) مفتى جماعة الجهاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري باللغ الأثر، فرج الله عنه». اهـ.

وقد أثني عليه في عدة مواقف من كتابه هذا، ومع ذلك فهذا سيد إمام وهو

رجل من كبارهم بشهادة مؤرخهم؛ فانظر إلى حكم هذا الكبير على أمراء القاعدة حيث قال في كتابه «التعرية لكتاب التبرئة» (ص: ١٤): «يا عشر المسلمين هذه كلها خيارات مشروعة، والاختيار منها بحسب العلم والقدرة، وابن لادن والظواهري ليسا من أهل العلم والتقوى ولا من أهل التقوى، الذي يتقي الله لا يتسلق الجدران كاللصوص كي يصل إلى هدفه فيخون أميره ويغدر بعده ويجلب الكوارث على المسلمين، من فعل ذلك -كھؤلاء- لا يكون من أهل البر والتقوى، وهذا حكم ربنا فيهم من كان مؤمناً به.

وأنا أعرفهم من عشرات السنين، فلا تغتروا بكلامهم و شباهاتهم، هل يفهمان في الفقه والجهاد مثل عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما؟ لا تدعوهם يستخفون بعقولكم، إنهم جهال يستغلون العاطفة الإسلامية لدى الشباب مع قلة إلمامهم بالعلوم الشرعية، ولهذا تجد الظواهري من أشد الناس كراهيّة للكلام في الشروط والموانع وإظهارها للناس، مع أنها من أركان الحكم الشرعي كما في قاعدة (يترب الحكم على السبب إذا توفرت الشروط وانتفت الموانع)، إلا أن الظواهري لا يريد أن يعرف الشباب بهذه العلوم الشرعية ليسهل عليه اصطيادهم وتحريضهم بخطبه الحماسية».

وقال في (ص: ٤٥): «يا عشر المسلمين نحن أمام طائفة من الجهال (ابن لادن والظواهري وأتباعهما) حملهم جهلهم على ابتداع مذهب إجرامي يبرر القتل بالجملة، ويريدون فرضه على المسلمين ويهاجمون من ينتقد them بأنّه يخدم (الحملة الصليبية الصهيونية على الأمة الإسلامية)، ولقد نبه النبي ﷺ على أن الجهل بالدين من أعظم أسباب كثرة القتل وهذا هو ما يحدث في هذا الزمان، ويفصل له الظواهري».

وقال في (ص: ٥٣): «إذا كان من المسلمين من يُعتن بابن لادن والظواهري وبآملهم وتحفّي عليهم جهالاته، فكيف سيثبت هؤلاء لفتنة المسيح الدجال».

وقال في (ص: ٥٥): «وقد رأيت في هذا الزمان ومن قبله أن بعض الجهال بالدين

كابن لادن والظواهري قد فرضوا أنفسهم موجهين ومعلمين للمسلمين، وهم ليسوا أهلاً لذلك، ويكتفيون بهما ما ذكرته في هذه المذكرة خاصة في الفصل الثاني منها، فأردت أن أحذرك منهم هنا».

وقال في (ص ٥٣): «ثم ما جهاد ابن لادن؟ والله يا معاشر المسلمين لقد انسحب من كل المعارك التي خاضها وأصحابه وحدهم بدون دعم من الأفغان أمام الشيوعيين بعد سقوط عشرات القتلى من الإخوة العرب، وكاد ابن لادن، نفسه أن يقع أسيراً في إحدى المعارك. ولا تصدقوا من يقول إن العرب كان لهم أي دور عسكري مؤثر في الجهاد الأفغاني ضد الروس، هذه أكذوبة.

وما علم ابن لادن؟ في عام ١٩٩٤ بالسودان كان هناك موضوع محل اهتمام ابن لادن، فأرشدته إلى قراءة كتاب معين فيه، فقال لي: (إنه لا يطيق أن يكمل قراءة كتاب). أما خطبه فأتباعه يكتبونها له».

وقال في (ص ٨): «و قبل تعرية مغالطات الظواهري الفقهية، أحب أن أنبه القارئ إلى أن الأمر ليس مجرد رجل أخطأ في بعض المسائل الفقهية، وإنما نحن أمام تأسيس مذهب فاسد منحرف لتأصيل الإسراف في سفك الدماء، وسوف أذكر كيف نشأ هذا المذهب، وما هي أركانه مع الرد عليها إن شاء الله، وهذا المذهب الفاسد هو ما يطلق عليه البعض: فكر القاعدة».

وقال في (ص ٢١): «وقارن ذلك بقول الظواهري إن اللفظ المذكور في الموسوعة لا ينص على أن التأشيرة أمان، لتعرف مبلغ الرجل من العلم وكيف حمله جهله بالشريعة على معارضه أحکامها المستقرة لتبرير غدر شيخه ابن لادن، رغم عدم ثقته به حتى أنه لم يخبره بعمليات الغدر (٩/١١) قبل وقوعها».

وقال في (ص ١٣): «والظواهري بحصره الخيارات المشروعة للمسلمين مع أعدائهم في خيار واحد وهو استعمال القوة لا غير، هو كالطبيب الجاهل الذي لا يعرف من العلاجات إلا دواءً واحداً يصفه جميع المرضى من دون مراعاة لاختلاف

أحوالهم، فلابد من سقوط كثير من الضحايا بين يديه، فإذا رأى هذا الطيب الجاهل طبيبا آخر يصف أدوية مختلفة بحسب اختلاف حالات المرضى شنّع عليه بجهله واتهمه بأنه يروج أدوية أميركية من إنتاج المخابرات الأمريكية».

نقول: ونحن لسنا في حاجة إلى كلام هؤلاء الخوارج وحكمهم واعترافهم بأنهم جهال ليس فيهم علماء، فيكيفينا ما نعلمه عن رسول الله ﷺ من أوصاف هؤلاء الخوارج، وما قاله الصحابة وعلماء الأمة سلفاً وخلفاً، ولكن هذا من باب «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا» [يوسف: ٢٦].

ثانياً: قوله: «ونعرى من سار على نهج الطاغوت»... إلخ.

نقول: يقصدون بهذا الغمز واللمز علماء أهل السنة والجماعة؛ وهذا يذكرنا بالخوارج الأول يكفرون الصحابة أهل العلم والدين ويوالون الجهلة الطعام، ومع ما مضى من اعترافات من مؤرخهم السوري فانظر إلى طعنهم في العلماء وخروجهم عليهم وصدق من قال: لا يخرجون على الأمراء إلا بعد الخروج على العلماء!

وإليك مصادقه من كلام أبي مصعب السوري في كتاب «دعوة المقاومة» (ص ٦٣٧): «كانت المشكلة أن تلك الصحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدينية الرسمية وتخرجت على علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدينية تلك وعلى رأسها سيدنا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دوراً مشيناً إلى جانب الحملات الغازية والحكومات العمilia القائمة في السعودية وغيرها. حتى ضج من بلاء هذه المؤسسة الكهنوthe كبار قادة المجاهدين والدعاة في السعودية ذاتها، بعد أن أفتت بزوج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود، وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدرис والخطابة». اهـ.

وقال كلاماً كثيراً من هذا القبيل في كتابه هذا! وفي غيره مما نقله عن شيخهم الجاهل ابن لادن في كتاب سماه «شهادة قادة المجاهدين ... على علماء السلطان في

بلادهم المسماة (سعودية)» وذكر فيه جملة من السب والشتم والطعن مما لا نتحمل سرده حفظاً لجناب هؤلاء العلماء الأكابر الذين بذلوا حياتهم في خدمة دين الله والجهاد في سبيله؛ جهاد الحجة والبيان، وهو أعظم الجهاد كما قال ابن القيم رحمه الله.

فانظر كم استفادة الأمة في معرفة دينها وعقيدتها وما نشر من دعوة التوحيد وبيان المنهج السديد على يد أولئك العلماء الكبار العظام، ومع ذلك يأتي أمثال هؤلاء الصغار الضلال حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام ويطعنون فيهم وفي دينهم وإخلاصهم، فماذا قدم هؤلاء الضلال للإسلام والمسلمين إلا سفك الدماء وانتهاء الحرمات والأعراض، وتبسيج الكافرين على المسلمين؛ فبطشوا وأسروا وقتلوا الشيوخ والولدان واستحيوا النساء بسبب حماقات من هؤلاء زعموا أنها جهاد في سبيل الله، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا: إن كان هذا جهاداً فهو في سبيل الشيطان الذي يؤزهم، فهو في سبيل البدعة التي تسيرهم والله المستعان.

ولقد استمر هذا الخارجي في سلسلة الطعن والغمز واللمز والنبذ بالألفاظ القبيحة للعلماء الذين كشفوا خارجيتهم وبينوا بدعتهم فيقول في (ص ٧١٨): «جبهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحكمية، وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعين، ويدعو إلى احترام العلماء الرسميين ولاسيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجاموية) ثم (المدخلية)...». أهـ. نقول: جراهم الله خيراً لدعوتهم إلى نبذ فكر الخوارج، ودعوتهم إلى انتهاج نهج أهل السنة والجماعة! ويقول هذا الخارجي في (ص ٧٦٨): «السلفيون: والذين كان شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلوي) الذي يستمد انحرافاته من علماء السعودية الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية». أهـ.

ونقول: هذا لتعلم حقيقة هذا اللقب الذي رمي به أهل السنة وهي سنة أسلافهم من أهل البدع من رمي أهل السنة بالألفاظ القبيحة.

قال أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»

(ص ١٦): «رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة ولا يلحقهم شيء منها فضلاً من الله ومنه، سلكوا معهم مسلك المشركين لعنهم الله مع رسول الله؛ فإنهم اقتسموا القول فيه فسماه بعضهم ساحراً وبعضهم كاهناً، وبعضهم شاعراً، وبعضهم مجنوناً، وبعضهم مفتوناً وبعضهم مفترياً مختلفاً كذلك، وكان النبي ﷺ من تلك المعائب بريئاً... وكذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره ونقلة آثاره، ورواية أحداديه المقتدين به المهددين بسته المعروفيين بأصحاب الحديث، فسماهم بعضهم حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية، وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب بريئة زكية نقية». اهـ.

ونقول: سماانا بعضهم وهابية، وبعضهم جامية، وبعضهم مدخلية، ولا يلحقنا بإذن الله إلا أصحاب الحديث أهل السنة رغم أنف أهل البدع!

ولم يتوقف الأمر عند هذا المؤرخ هؤلاء الخوارج، بل هنا أبو بكر البغدادي رأس خوارج داعش الآن يقول في كلمة بعنوان « ولو كره الكافرون » عن العلماء بأنهم « سحرة مجرمون » وأنهم « علماء الطواغيت »، و« علماء السلاطين »، وأن فتاوיהם « صادرة عن اليهود، ومعممة من الصليبيين ». وذلك حين وصفهم العلماء الربانيون في المملكة وغيرها بأنهم « خوارج مفسدون ».

ومن العجب - ولا عجب - أن إخوانهم من الخوارج كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني وغيرهم من كبار منظري التكفير يصموهم - أي: داعش - بأنهم « خوارج مفسدون »! كما سيأتي - إن شاء الله - فهل أبو محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني من علماء المسلمين أيضاً عندكم؟!

يقول أبو عمر البغدادي:

«السادس عشر: نعرف لمن سبقنا بالجهاد حقه، ونزله منزلته، وخلفه بخير في أهله وما له.

السابع عشر: نرى وجوب إنقاذ أسرى وحربي المسلمين من أيدي الكافرين^(١) بالغزو أو الفداء قال رسول الله ﷺ: «فَكُوَا الْعَانِي» كما نرى وجوب كفالة أسرهم وأسر الشهداء، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ جَهَزَ غَازِيًّا فَقَدْ غَزَّا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَّا».

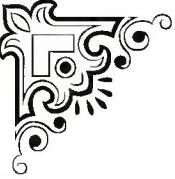
الثامن عشر: نرى وجوب تعلم الأمة أمور دينها وإن فاتها بعض حظوظ الدنيا، ونوجب من العلم الدنيوي ما احتاجت إليه الأمة، وما سوى ذلك فهو مباح ما لم يخرج عن ضوابط الشرع الحنيف.

النinth عشر: نرى تحريم كل ما يدعو إلى الفاحشة ويعين عليها كجهاز الستاليت ونوجب على المرأة وجوباً شرعياً ستر وجهها وبعد عن السفور والاختلاط ولزوم العفة والطهر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَحْشَةُ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا يُحِبُّونَ أَنْ يَذْهَبُوا لِيَرْجِعُوا إِلَيْمٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أخوهكم أبو عمر الحسيني القرشي البغدادي». اهـ.



(١) إن كان يقصد بالأسرى المعتقلين في ديار الإسلام فهذا راجع منهم إلى تكفيرهم للMuslimين وديارهم، وإن قصد بالأسرى من في أيدي الكفار الأصلين، فنقول: نعم هذا واجب على ولادة الأمور بحسب استطاعتهم، ويأتى من إن استطاعوا وقصروا، ولا يجعل هذا للجماعات والتنظيمات فيصير الأمر فوضى كما هو حاصل ويحصل، ولا يتحصل المسلمين منه إلا على الشر أضعافاً مضاعفة، سلم الله المسلمين في كل مكان.



نظرة عامة على ما سبق



بعد ما مضى ذكره من بيان نشأة «داعش»، وبيان عقيدتهم؛ فإليك نظرة عامة على النشأة والاعتقاد، بالنسبة للنشأة:

أولاً: إن المتأمل فيما مضى ذكره من النشأة والأرض التي نبت فيها «داعش»، والأفكار والمناهج التي كانت تسقي وتغذي هذه النسبة؛ يجد أن أصل الأصول عند هؤلاء القوم هو (الخلافة ومسألة الحكم)، المعروفة بينهم بـ«الحاكمية»، وأن جميع الحكام للبلاد العربية والمسلمة حكام كفرة، وأن الديار ديار كفر، بداية من المؤسسين كحسن البنا وسيد قطب، مروراً بالمنظرين كعبد الله عزام وأبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني وغيرهم، إلى الجنود المجاهدين -جهاد البدعة والضلالـ - كأسامة بن لادن وأيمن الظواهري وأبي عمر البغدادي المؤسس لتنظيم الدولة، ثم أبي بكر البغدادي الأمير الحالي لها^(١).

حتى قال أبو محمد العدناني المتتحدث الرسمي باسمها قال: «تلك حقيقة الاستخلاف، الذي من أجله خلقنا الله، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم... وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسلاه، وأنزل كتبه، وسُلّت سيف الجهاد». اهـ.

ومعلوم عند أصغر طلبة العلم بل عند كثير من العوام أن أصل الأصول في منهاج النبوة والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل

(١) قال أبو بكر البغدادي في كلمة بعنوان «رسالة إلى المجاهدين والأمة الإسلامية في شهر رمضان»: «لقد انكسر المسلمون بعد أن سقطت خلافتهم ثم زالت دولتهم، فاستطاع الكفر إذلال المسلمين وإضعافهم والسيطرة عليهم في كل مكان... وذلك عن طريق غزوهم واحتلالهم وتنصيب حكام عملاء خونة».

ونسبت سوق الجهاد هي عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال عليه السلام: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ
فَإِنَّ أَنَّهُمْ أَفَلَأُعْدُوْنَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وهذا هو منهاج النبوة، لا منهاج
هؤلاء الخارج!

ثانياً: كما أنتا نجد أن «داعش» و«جبهة النصرة» على منهج تنظيم القاعدة، وأنهما انبثقا منها، ثم هم جيغاً -أعني: داعش والنصرة والقاعدة- على منهج وعقيدة وفكر حسن البنا وسيد قطب والمودودي^(١)، وهذا يبين لك حقيقة منهج الإخوان، وأثره في الأمة وقد قيل قدیماً: من آثارهم تعرفوهم!

والملحوظ أيضاً: أن مقصد تحقيق الخلافة عند هؤلاء جميعاً مقدم على مقصد تحقيق التوحيد! بل الملاحظ أن التوحيد والدعوة إليه لم يمر ذكرهما أصلاً! اللهم إلا أن التوحيد عندهم هو الحكم لله (توحيد الحاكمة)، وأن الشرك عندهم الحكم بغير ما أنزل الله! (شرك القصور) بزعمهم، فإذا علمت ذلك فلا تغفل عن أن مقصد الدعوة عند الأنبياء وفي منهاج النبوة هو تحقيق التوحيد وتعبيد الناس للعزيز المجيد فيعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فانتبه!^(٢).

(١) يقول أبو مصعب السوري في «دعوة المقاومة» (ص ٦٨٩): «الجماعات الجهادية الحركية: ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع السبعينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أساس الولاء والبراء والحاكمية، والذي كان من أوائل وأعظم منظريه الشهيد سيد قطب في مصر، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان».

(٢) وانظر في ذلك الكتاب القيم للشيخ المجاهد بحق -جهاد الحجة والبيان- ربيع بن هادي المدخلي - حفظه الله - «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل» وقد قدم له فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -.

وقال في هذه المقدمة: «من هؤلاء الذين بينما ونصحوا فضيلة الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي في هذا الكتاب الذي بين أيدينا وهو بعنوان: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل» فقد بين - وفقه الله وجزاه خيراً - منهج الرسل في الدعوة إلى الله كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وعرض عليه منهج الجماعات المخالفه ليتضاح الفرق بين منهج الرسل وتلك المذاهب المختلفة والمختلفة لمنهج

ثالثاً: كذلك نجد أن الخلاف الحاصل بين «جبهة النصرة» و«داعش» ليس خلافاً عقدياً ولا منهجياً، وإنما كل يرى أنه صاحب الولاية على أرض الشام! وأنهما على ما يقع بينهما من قتال - على منهج وعقيدة واحدة، فهما وجهان لمنهج واحد.

قال أبو قتادة الفلسطيني الخارجي - هداه الله:- «وما فعلته جماعة (الدولة) هو إذهاب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة جماعات الجهاد - أي: جماعة القاعدة - إلى الدم الصريح وإعطاء هذا السفك للدم الحرام صفة الشرعية حيث سنجده فقه (البغاء) كما أعلن الجاهلُ المركبُ العدنانيُ في بيانه هذا؛ حيث حذر من شق عصا الطاعة، وأن حكمها الدمُ والقتلُ، بل سنجدُ كلاًّ بِأهْلِ النَّارِ يكفرونُ المخالفَ لإمامهم وأميرهم كما فعل أشياعهم القدماءُ وجماعةُ (الخلافة)، وسيكونُ هذا في هؤلاء كذلك، وإن كان مثل هذه الأمور لا تظهر رأساً بل تتسلل تباعاً كمارأينا منهم ذلك قبل إعلان الخلافة؛ إذ كان خلافهم مع جبهة النصرة على الإمارة والقيادة ثم تحول تباعاً إلى التكفير واستحلال الدماء، ومن قرأ تاريخ الجماعاتِ فلن يتعجبَ من تلبيس الأهواء أدلة الشرع والدين فهذا أسهلُ ما يأتيه هؤلاء»^(١).

وإذا علمنا ذلك فإن ما لا ينبغي الغفلة عنه: ما وقع بين هؤلاء من الاقتتال في الأشهر الحرم، التي حرم الله فيها جهاد الكفار - جهاد الطلب - وما وقع بينهما من اقتتال ليس جهاداً للكافرين أصلاً فضلاً عن أن يكون جهاد دفع، وإنما هو قتال بين طائفتين من المسلمين فإن كلاً من «داعش» و«جبهة النصرة» يصرحان بأنهما لا يكفر بعضهما بعضاً؛ وعليه فالقتال الحاصل بينهما في الأشهر الحرم هو كبيرة من الكبائر، فهل تقوم الخلافة الراسدة على مخالفة ومعصية أمر الله رب العالمين؟!

الرسـل، وناقـشـ تلك المناهـجـ مناقـشـةـ علمـيـةـ منصـفـةـ معـ التعـزيـزـ بـالأـمـثلـةـ وـالـشـواـهدـ، فـجـاءـ كـتابـهـ - وـالـحـمدـ للـلهـ - وـأـفـيـاـ بـالمـقصـودـ، كـافـيـاـ لـمـ يـرـيدـ الـحـقـ، وـحـجـةـ عـلـىـ مـنـ عـانـدـ وـكـابرـ، فـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـشـيـهـ عـلـىـ عـمـلـهـ، وـيـنـفعـ بـهـ وـصـلـىـ اللـهـ وـسـلـمـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ وـآلـهـ وـصـحـبـهـ». اـهـ.

(١) «ثياب الخليقة» (ص ٨).

ونقف هنا على أمر مهم جدًا، وهو أنه إذا ثبت - وقد ثبت - أن داعش قد خرجت من رحم تنظيم القاعدة، فإننا نعلم بذلك أن أبو محمد العدناني المتحدث الرسمي الذي هو لسان تلك الدولة أو الخلافة، قد وقع في الكذب حين نفى تبعية تنظيم الدولة لتنظيم القاعدة! وقد ثبت بكلامه هو وكلام غيره - كما مر - أن قادة تنظيم القاعدة هم قادتهم، وأن النساء تنظيم القاعدة هن أمرأوهم، فيكون قد وقع في الكذب، والكذب من علامة النفاق! ويهدي إلى الفجور! فكيف يكون لسان «الخلافة الراشدة» كذا باباً؟!

إذا كان رب البيت بالإفك ناطقا ... فشيمة أهل البيت كلهم الكذب

رابعاً: كذلك يلاحظ كثرة الخلاف بينهم والشقاق والانشقاق! وما هو إلا نتاج خالفة منهاج النبوة، ألم يقل جل وعلا مخاطبًا رسول الله ﷺ وأصحابه ؓ: «فَإِنْ أَمَّأُوا بِمِثْلِ مَا إِمَّنْتُمْ بِهِ، فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تُرَوُا فَإِنَّهُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكُفِّرُهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [البقرة: ١٣٧]، فكل من خالف منهاج الرسول وأصحابه كانت ألفته الشقاق! ومهما أظهروا الوفاق فما هم إلا في فراق، وافترار!

وإذا تجاوزنا النشأة وصولاً إلى العقيدة نلحظ:

أولاً: أن أبو عمر البغدادي عبر عما قاله في بيان عقيدته بقوله: «فهذه بعض ثوابتنا»؛ وعليه فكل ما قال وبين هو من الثوابت والقواعد التي يقوم عليها بنiamهم ومنهاجهم، ومعلوم أن العقيدة لا يجوز ولا يقبل ولا يسوغ الخلاف فيها، وأن الخلاف فيها هو خلاف ضلال وهدى، فانتبه لذلك.

ثانياً: ومما يلاحظ أيضًا: أنه ساق هذه العقيدة وتلك الثوابت بثوب محمل؛ فمثلاً لم يفصل ما هي مظاهر الشرك؟ وما هي وسائله؟! ومعلوم أن الإجمال لا يفي ولا يصلح في مثل هذه الأمور لاسيما أمور العقيدة! إذ أكثر الناس يتلقون عند المجملات، وأما الخلاف فلا يأتي إلا عند التفصيل، وإلا فإن النصارى يتلقون معنا على تحريم مظاهر الشرك، ولكن ما هو الشرك؟ هل عبادة المسيح الذي في اعتقادهم

ابن الله تعد شرّاً؟! والصوفية من عباد القبور كذلك يفعلون، يحرمون الشرك، ولا يرون أن دعاء المقربين والنذر والذبح لهم شرّاً... إلخ.
ولكننا إذا رجعنا إلى الأب الروحي لتلك الجماعات، والمنظر لها وهو سيد قطب، وبيانه لحقيقة الشرك ومظاهره، وهو الحكم بغير ما أنزل الله -بزعمه-! علمنا المقصود من كلام أبي عمر البغدادي!

ثالثاً: كذلك نجد أن أول ما بدأ به أبو عمر البغدادي عقيدته وثوابته هو: «وجوب هدم وإزالة كل مظاهر الشرك وتحريم وسائله» ثم عقب ببيان كفر الروافض، ثم بيان كفر الساحر، وهذا وإن كان حقاً إلا أن عليه عدة ملاحظات:
الأولى: أنها وإن كانت كلمة حق في الظاهر، فإنها لا تكفي وحدها في التدليل على أن قائلها والمتكلم بها على الحق المبين، فإن النبي ﷺ قال في شرار الخلق وهم الخوارج: «يقولون من قول خير البرية».

كذلك لما خرج هؤلاء الخوارج على عليٍّ رضي الله عنه وقالوا: «لا حكم إلا لله» قال علي رضي الله عنه: «كلمة حق أريد بها باطل».

الثانية: أنه لم يبدأ ببيان وجوب التوحيد وتفاصيل ذلك، فإن النهي عن الشرك لا يكفي في بيان دعوة التوحيد؛ إذ الأنبياء لم يأتوا إلى قومهم بقول: «لا تشركوا»، وإنما بقول: «أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» فمبني دعوتهم على أصلين: التأصيل والتحذير، التأصيل للتوحيد؛ والتحذير من الشرك؛ ولذلك فإن كلمة التوحيد تقوم على ركني: النفي والإثبات، فلم تكن نفيًا فقط ولا إثباتًا فقط!

وهكذا في كل أمر من أمور هذا الدين فتأمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن نهى عن المنكر أو انتهى عنه ولم يأمر بالمعروف أو يأمر به فمدحوم مردود. وفي اتباع السنة والتحذير من البدعة، من حذر البدعة وحذر منها، ولم يتبع السنة أو يدعوا إليها فمدحوم مردود.

والشاهد أن الإنسان قد لا يكون مشركاً، ومع ذلك لا يكون موحداً، وإنما

يكون مثلاً ملحداً كافراً، فالملحد وإن لم يكن مشركاً مع الله! فإنه ليس بموحد لله ولا عابداً له، وإنما هو كافر به!

الثالثة: أن أبا عمر البغدادي لم يبين لنا عقيدته في الله وصفاته، لم يبين لنا عقيدته في القضاء والقدر، لم يبين لنا عقيدته في الشفاعة، لم يبين لنا عقيدته في الميزان، لم يبين لنا عقيدته في الغيبيات... إلخ، ولا شك أنه في مقام بيان عقيدة الدولة الإسلامية أو الخلافة الراشدة التي يؤثمون من لم يدخل فيها لتخلفه عن واجب العصر - كما زعموا-، وإذا كان ذلك كذلك، فلابد لمن أرد أن يدخل في هذه الدولة أن يكون على بصيرة من أمره.

الرابعة: أنها عقيدة هدم لا بناء، فيها^(١) ونذارة لا بشارة فيها، فبدأ بهدم مظاهر الشرك، كفر الروافض، كفر الساحر، كفر وردة من أمد المحتل... إلخ فأين التأصيل والبناء، وهذا يبين لك المشرب والمنظار الذي ينظر منه هؤلاء!

وإذا كانت هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، فإن منهاج النبوة يقوم على البشارة والنذارة كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِتَلَاقُوكُنَّ لِلنَّاسِ عَلَى الْحُجَّةِ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَرِيكِمَا﴾ [النساء: ١٦٥].

وهذا حال النبي ﷺ في مكة وما قام فيها سينين عدداً يدعوه إلى التوحيد مبشرًا ومنذراً؛ فإن كان الكفر قد عم على البشرية والجهل قد غلب على حال الناس، فأين منهاج النبوة من الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس أمر دينهم عشرين سنة حتى فتح مكة!

رابعاً: وإذا أعدت النظر في عقيدة «داعش» وجدت أنهم يكفرون كل حكام بلاد

(١) يقول سيد قطب في «ظلال القرآن» (٣/١٤٥): «غاية الجهاد في الإسلام، هي هدم بنية النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها. وهذه المهمة.. مهمة إحداث انقلاب إسلامي عام. غير منحصرة في قطر دون قطر، بل مما يريد الإسلام ويضعه نصب عينيه أن يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة..». هذه غايتها العليا، ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه بيصره...»

ال المسلمين وأن جيوشها جيوش كفر وردة وأن قتالهم أوجب من قتال الصليبيين! ^(١)، وأن الديار تكون ديار كفر أو إسلام بحسب شرائعها وقوانينها! وهذا لا شك امتداد لعقيدة سيد قطب التي سبق الإشارة إليها في النشأة، وتطبيق لما سبق ذكره من أن أصل الأصول عندهم هو مسألة الحكم، وهي أيضاً سبب نشأة الخوارج والأصل المتفق عليه عندهم كما سيأتي - إن شاء الله -، ولكن تذكر ذلك جيداً فسنحتاج العودة إليه!

كذلك تجد أنهم جعلوا الحكم بغير ما أنزل الله من نوافض الإسلام بإطلاق من غير تفصيل، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا عين ما فعلته الخوارج الأولى كما سيأتي - إن شاء الله -.

ويلاحظ أن الاستدلال بالكتاب والسنّة في بيان عقيدته قليل! ومعلوم أن العقيدة ليس إلا كتاب وسنة! وهو مع قلته في غير موطنه وبعيد عن فهم السلف،

(١) حتى قال قاتلهم فيما نشر عبر وسائل الإعلام عامة ووسائلهم خاصة تحت عنوان «صولة الأنصار» [والحق أنها صولة الفجار!] قال: «والطريق بدا واضحاً بين [كذا] أنه لا تحرير لبيت المقدس حتى تطهر الأرض من العملاء في مصر؛ جند السيسي عملاء اليهود»!، وهذا على ما عرف بينهم بنظرية «العدو القريب قبل العدو البعيد»! ونحن نقول لقد بدا الطريق واضحاً بينا أنه لا تحرير لبيت المقدس حتى تطهر الأرض من المعاصي والبدع والشرك! نسأل الله أن يحفظ مصر وأهلها من كل سوء وأن يوفق ولاة أمورها لما يحب ويرضى إله ولـي ذلك القادر عليه.

وبمناسبة ذكر صولة الفجار هذه؛ وما كان حوالها من هالة وفرح من الخوارج بها حدث فيها واعتباره نصراً مؤزراً وجهاداً في سبيل الله أن أصحابوا غرة جبانة غادرة وطعنوا الجنود المصريين من الخلف ومقراتهم فارغة إلا من بعض الحراس ولو كانوا شجاعاناً لأنذروهم؛ ولكنها شنشنة الخوارج وديدتها! والأمر كما قال أبو محمد العدناني المتحدث باسم الخوارج: «يا من وقتم على قتال المجاهدين لا تغروا إن أصبتم منا غرةً جبانةً غادرة فقد طعمتنا من الخلف ومقراتنا فارغةً إلا من بعض الحراس ولو كتم شجاعاناً لأنذرونا ولكنها شنشنة الصحوات وديدتها»! - من كلمة بعنوان «والرائد لا يكذب أهله». والغدر حرام حتى بالعدو الكافر والأدلة على ذلك كثيرة جداً.

وما ذلك إلا لأن هؤلاء الخوارج لم يتبوا على التزام الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة
يحسبون القرآن لهم وهو عليهم!

خامساً: والملاحظ أيضاً فيما من بيانيه من نشأة وعقيدة «داعش»: أنها مشتملة
على إجمال، وعلى حق وباطل، واستدلال بعمومات الكتاب والسنة، وهذا لا ينحو
ولا يعطي لها الحكم بالحقيقة المزعومة! بل العكس بها أولى ولها ألزم.
ومعلوم أن البدعة: إجمال مكون من حق وباطل! واستدلال بعمومات الكتاب
والسنة.

كما قال ابن القيم رحمه الله: «إن هؤلاء المعارضين للكتاب والسنة بعقلياتهم، التي
هي في الحقيقة جهليات، إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة محتملة، تحتمل
معانٍ متعددة، ويكون ما فيها من الاشتباه في المعنى، والإجمال في اللفظ يوجب تناوحاً
بحق وباطل، فيما فيها من الحق يقبل -من لم يحيط بها علماً- ما فيها من الباطل، لأجل
الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء، وهذا منشأ
ضلال من ضل من الأمم قبلنا، وهو منشأ البدع كلها، فإن البدعة لو كانت باطلًا
محضًا لما قبلت، ولبادر كل أحد إلى ردها وإنكارها، ولو كانت حقًا محضًا لم تكن بدعة،
وكانت موافقة للسنة، ولكنها تشتمل على حق وباطل، ويلتبس فيها الحق بالباطل،
كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكُنُوا أَلْعَقَ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٢].
فنهى عن لبس الحق بالباطل وكتهانه، ولبسه به خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالأخر،
ومنه التلبيس، وهو التدليس والغش، الذي يكون باطنه خلاف ظاهره، فكذلك الحق
إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق، وتتكلم بلفظ له معنيان:
معنى صحيح، ومعنى باطل، فيوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح، ومراده الباطل،
هذا من الإجمال في اللفظ.

وأما الاشتباه في المعنى فيكون له وجهان، هو حق من أحدهما، وباطل من
الآخر، فيوهم إرادة الوجه الصحيح، ويكون مراده الباطل، فأصل ضلالبني آدم

من الألفاظ المجملة، والمعاني المشتبهة، ولا سيما إذا صادفت أذهانًا مخبطة، فكيف إذا انضاف إلى ذلك هوى وتعصب؟ فسل مثبت القلوب أن يثبت قلبك على دينه، وألا يوقعك في هذه الظلمات»^(١).

سادساً: تنبيه مهم جدًا:

لقد حاول أبو عمر البغدادي جاهدًا لا مجاهدًا - كما يحاول غيره من الخوارج قدیمًا وحديثًا - أن يظهر لل المسلمين في صورة حسب أنها تبعده عن صورة الخوارج؛ فذكر أمورًا ظن أنها فارقة بين مذهب أهل السنة والخوارج؛ ولكنها في الحقيقة قد قال بها بعض الفرق من الخوارج قدیمًا وموهوا بها؛ فلم تخربهم عن كونهم خوارج ضالين من الدين مارقين؛ وذلك كعدم تكثير بعضهم للزاني والسارق وشارب الخمر ونحو ذلك، أو تقسيم الكفر إلى كفرين! واشتراط إقامة الحاجة على المخالف، والعذر بالجهل، ونحو ذلك حتى قال بعضهم بعدم تكثير مرتكب الكبيرة كفراً يخرج من الملة؛ كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيانه بوضوح^(٢).

وبعد هذه النظرة العامة في نشأتهم وعقيدتهم، وبعد معرفة أن أصل الأصول عندهم مسألة الحكم والخلافة، فلنا عدة وقوفات مع الخلافة.



(١) «الصواعق المرسلة» (٣/٩٢٥).

(٢) فصل بيان مقالات الخوارج، والأصل الذي أجمعوا عليه، من هذا الكتاب.

وقفات مع الخلافة

لقد مضى أن سبب ظهور هذه الجماعات والتنظيمات هو سقوط الدولة العثمانية التي يسمونها خلافة^(١)، أملأاً منهم في عودتها على أيديهم^(٢)، وجعلوا ذلك رأس منهاجهم وعمود فسطاطهم، بل جعله العدناني الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل ! كما مرّ التقل عنه.

وهنا لنا عدة وقفات:

الوقفة الأولى: حقيقة الخلافة:

إن الخلافة الراشدة في الإسلام ليست مجرد لقب أو اسم يلقب أو يسمى به رجل من المسلمين، وإنما هي حقيقة لها أركانها وشروطها، وكل شيء لابد له من حقيقة وإلا كان عدماً، ولو لم يكن الأمر كذلك لاستطاع كل أحد أن يدعى ما يدعى بلا حقيقة! وأظهر مثال على ما نقول هو: الروافض؛ وذلك في ادعائهم الإمامة في معدوم أو موهم لا حقيقة له.

قال الإمام الطبرى رحمه الله: «والخليفة الفعيلة من قوله: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده. كما قال جل ثناؤه: ﴿مُمْ جَعَنْتُكُمْ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِتَنْظَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، يعني بذلك: أنه أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم.

(١) الخلافة عند هؤلاء لا تكون خلافة إلا إذا كانت راشدة، وليس مجرد الملك العام على جميع المسلمين، وإنما مجرد الحكم بغير ما أنزل الله بغيرها من دائرة الإسلام فضلاً عن أن تكون خلافة وذلك على مقتضى قواعدهم وعقائدهم، وسيأتي تحرير مصطلح الخلافة قريباً - إن شاء الله - .

(٢) ونحن نحب ذلك ولا نعاديه - كما مر في ذكر النشأة - ، ولكن ما يصنعونه إضاعة لقومات الخلافة التي لا تكون إلا على منهاج النبوة وهم بمبعثة عنها، وفائد الشيء لا يعطيه.

ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة، لأن خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلifa. يقال منه: خلف الخليفة، يخلف خلافة وخليفي^(١). إذن فخلفاء النبي هم من قاموا مقامه، وساروا على نهجه، وهذه هي حقيقة الخلافة التي تكون على منهاج النبوة.

إن الخلافة إنما وردت في نصوص الكتاب والسنة مقيدة بمعنى إذا تحقق هذا المعنى تتحقق الاسم، قال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيقَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحُقْقِ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَى فَيُضْلِلَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، فمقتضى الخلافة الحكم بالحق والعدل بين الناس أي: بالوحى والنبوة، وهو حراسة الدين وسياسة الدنيا به. قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «تنفذ فيها القضايا الدينية والدنيوية». اهـ.

ولهذا فرق النبي ﷺ بين الخلافة وبين الملك سواء كان عضوضاً أو جبرياً بأن الخلافة تكون على منهاج النبوة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رضي الله عنه: « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصماً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبراً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت^(٢).

وكذلك ما رواه سفيينة رضي الله عنها قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الخلافة ثلاثة سنون ثم تكون ملكاً» ثم يقول سفينه: أمسك: خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر

(١) تفسير الطبرى (٤٤٩ / ١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤ / ٢٧٣)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥).

عشرة وعشرين اثنى عشرة وعلي ستة^(١).

فهذا قدر مكتوب أخبر عنه النبي ﷺ!

فإن قال قائل: قد صح عن النبي ﷺ قوله: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٢)، فقد سمي ما بعد الخلافة الراشدة خلفاء.

نقول:

أولاً: قد جاءت الرواية في صحيح البخاري «يكون اثنا عشر أميراً»^(٣)، فيكون هذا من باب التصرف من الرواية، لاسيما وقد جرى اصطلاح الناس على ذلك فيمن ليسوا بخلفاء؛ فضلاً عن أن يكونوا على منهاج النبوة، كما تسمى العبيديون بالخلفاء وهم كذبة أدعياء.

ثانياً: أن المقصود بالخلافة في الحديث الأول خلافة على منهاج النبوة، وليس أي خلافة، وهذه تكون في أول عهد الإسلام، ثم تكون في آخر الزمان على الوصف الذي وصفه رسول الله ﷺ، وما يقع بينهما ما هو إلا الملك سواء كان عاصياً أو جباراً، وإن تسمى بالخلافة فليست على منهاج النبوة.

قال شيخ الإسلام زكي الدين: «ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين «خلفاء» وإن كانوا ملوكاً؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبغي بعدي وستكون خلفاء فتكثروا»؛ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأخير؛ ثم أعطوههم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

فقوله: «فتكثر» دليل على من سوى الراشدين فإنهم لم يكونوا كثيراً.

وأيضاً قوله: «فوا ببيعة الأول فالأخير» دل على أنهم مختلفون؛ والراشدون لم

(١) رواه الإمام أحمد في «المسنن» (٥/٢٢٠، ٢٢١)، وحسنه العلامة الألباني في «المشكحة» (٥٣٩٥) وغيرها.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (١٨٢١).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٢٢٢).

يختلفوا.

وقوله: «فَأَعْطُوهُمْ حِقْهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا أَسْتَرَ عَاهُمْ» دليل على مذهب أهل السنة؛ في إعطاء الأماء حقهم؛ من المال والمعنى^(١).

وقد أورد الإمام ابن القيم الحديثين ثم قال رَحْمَةُ اللَّهِ: «فَإِنْ قِيلَ: فَكِيفَ الْجَمْعُ؟ قِيلَ: لَا تَعْرَضْ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ؛ فَإِنَّ الْخَلَافَةَ الْمُقْدَرَةَ بِثَلَاثَيْنَ سَنَةً هِيَ خَلَافَةُ النَّبِيِّ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ وَوزْنِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ بَأْبِي بَكْرٍ وَرَجْحَانَهُ وَسِيَّاتِي، وَفِيهِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلَافَةُ نَبِيٍّ ثُمَّ يُؤْتَى اللَّهُ الْمُلْكُ مِنْ يَشَاءُ» وَأَمَّا الْخَلَفَاءُ الْاثْنَا عَشَرُ فَلَمْ يَقُلْ فِي خَلَافَتِهِمْ إِنَّهَا خَلَافَةُ نَبِيٍّ، وَلَكِنْ أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ اسْمَ الْخَلَفَاءِ وَهُوَ مُشَرِّكٌ وَاحْتَصَرَ الْأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ مِنْهُمْ بِخَصِّيَّصَةِ فِي الْخَلَافَةِ وَهِيَ خَلَافَةُ النَّبِيِّ وَهِيَ الْمُقْدَرَةُ بِثَلَاثَيْنَ سَنَةً؛ خَلَافَةُ الصَّدِيقِ سَتِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاثْتَيْنَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا، وَخَلَافَةُ عُمَرَ بْنِ الخطَابِ عَشَرَ سَنِينَ وَسَتَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْبَعَ لَيَالٍ، وَخَلَافَةُ عُثْمَانَ اثْتَيْنَ عَشَرَ سَنَةً إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا، وَخَلَافَةُ عَلِيٍّ خَمْسَ سَنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ إِلَّا أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَقُتُلَ عَلِيُّ سَنَةً أَرْبَعِينَ فَهَذِهِ خَلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً.

وأما الخلفاء اثنا عشر؛ فقد قال جماعة -منهم أبو حاتم ابن حبان وغيره-: إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربع ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته على رأس المائة وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون، وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة، ثم وقع ما وقع.

والدليل على أن النبي ﷺ إنما أوقع عليهم اسم الخلافة بمعنى الملك في غير خلافة النبوة قوله في الحديث الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة: «سيكون من بعدي خلفاء يعملون بما يقولون وي فعلون ما يؤمرون، وسيكون

. (١) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ٢٠).

من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يقولون ويفعلون ما لا يؤمرون، من أنكر بريء ومن أمسك سلم، ولكن من رضي وتابع^(١).

قال العلامة الألباني رحمه الله: «فلا ينافي مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة، فهو لاءٌ هم المعنيون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح... قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويجوز تسمية مَنْ بَعْدَ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ خَلْفَاءً وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا؛ وَلَمْ يَكُنُوا خَلْفَاءَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٢)، فتبيّن لك أنها تسمية اصطلاحية.

فضلاً عن أن ما ورد في صفة الائتين عشر خليفة أمراء ذكرهما الحافظ في «الفتح»؛ فقال: «... وقد عرفت من الروايات التي ذكرتها من عند مسلم وغيره: أنه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم وهو كون الإسلام عزيزاً منيعاً، وفي الرواية الأخرى صفة أخرى وهو أن كلهم يجتمع عليه الناس كما وقع عند أبي داود^(٤)».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإنهم -أي: ملوك بنى أمية- استولوا على جميع المملكة الإسلامية، وقهروا جميع أعداء الدين، وكانت جيوشهم جيشاً بالأندلس يفتحه، وجيشاً ببلاد الترك يقاتل القان الكبير، وجيشاً ببلاد العبيد، وجيشاً بأرض الروم، وكان الإسلام في زيادة وقوة، عزيزاً في جميع الأرض؛ وهذا تصديق ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «لا يزال هذا الدين عزيزاً ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٥).

وكل ذلك يبين لك بطلان دعوى أن الدولة العثمانية كانت خلافة نبوة، بل حتى لم تكن ملكاً عضوضاً؛ وإنما ملكاً جبارياً، ولا تحكم بما أنزل الله كما سيأتي بيانه؛

(١) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١١/٢٤٣)، مع «عون المعبود».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥/٢٠).

(٣) «السلسلة الصحيحة» (١/٨٢٧).

(٤) «فتح الباري» (١٣/٢١١).

(٥) «منهج السنة» (٨/٢٤٠).

فما واجه التباكي عليهما من يكفر من لم يحكم بما أنزل الله تعالى؟!
وكذلك يبين هذا بطلان ادعاء «داعش» أنهم دولة الخلافة الراشدة؛ لأنهم لا
يستحقون هذا الوصف -أعني: الخلافة- لا لأنهم خوارج فحسب؛ بل لأن هذا
الاسم والوصف لابد له من حقيقة -كما مر- فإن هؤلاء يشبه حاكمهم حال من يضع
العربة قبل الحصان!!.

«فإن قال قائل: إن اسم الإمارة واقع بلا خلاف على من ولـي جهة من جهـات المسلمين، وقد سمي بالإمـارة كل من ولـاه رسول الله ﷺ جهة من الجهات أو سرية أو جيشاً، فـما المانع من أن يـوقع على كل واحد اسم أمـير المؤمنـين؟»

فجوابنا وبالله تعالى التوفيق: أن الكذب حرم بلا خلاف وكل ما ذكرنا قائمًا؛ فهو أمير لبعض المؤمنين لا لكلهم، فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبًا، لأن هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك، وإنما هو أمير بعض المؤمنين فصح أنه ليس يجوز أليتها أن يوقع اسم الإمامة مطلقاً ولا اسم أمير المؤمنين إلا على القريشي المتولى لجميع أمور المؤمنين كلهم، أو الواجب له ذلك... وكذلك اسم الخلافة بطلاق لا يجوز أيضًا إلا ملن هذه صفتة وبالله التوفيق»^(١).

الوقفة الثانية: حقيقة الخلافة العثمانية:

إن هذه الخلافة - يعني العثمانية - لم تكن إلا مجرد تسمية لا حقيقة لها، فضلاً عن أن تكون خلافة نبوة لا سيما في آخر عهدها؛ فإنها كانت تتبنى العقيدة الصوفية وتنشر الشرك وتحارب التوحيد، فلم تكن خلافة حقيقة لأنها ليست على منهاج النبوة، وإنما هي ملك جبri، ولكن التبакي من الإخوان وأتباع هذه التنظيمات عليها وتصويرها بصورة الخلافة وراءه ما وراءه مما سيأتي بيانه - إن شاء الله - من لهم خلف السلطة والامارة = «الحاكمية»^(٢).

(١) بتصرف يسir و اختصار من «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/٧٥).

(٤) فاللهث الفكري خلف هذا المصطلح (الحاكمية) خلفه شبق سياسي وغرام بالكراسي.

قال أبو مصعب السوري: «ومنذ ذلك الوقت قامت الخلافة العثمانية التي أعادت جمع شتات المسلمين تحت رايتها وسلطانها، وحملت راية الجهاد دفعاً وطلباً في مواجهة دول وملالك أوربا الذين ورثوا راية الروم بعد سقوط القدسية. ومهمها كان من آراء المؤرخين في تلك الخلافة والدولة العثمانية، إلا أن ما لا شك فيه أنها كانت امتداداً للدولة الإسلامية ورايته وحضارته، وامتداداً لسمى الخلافة الإسلامية التي غابت عن الوجود بغياب دولة العثمانيين وسقوطها على أيدي الدول الأوروبية سنة ١٩٢٤م»^(١). اهـ.

إن الخلافة أو الإمامة العظمى هي: حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلّها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، كذا عرفها ابن خلدون^(٢).

وأما الماوردي فقال: «الإمامية موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها من يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع»^(٣).

فإذا علمت ذلك فاعلم بطلاق تلك الدعوى -أعني: دعوى أن الدولة العثمانية كانت خلافة- لأنها لم تكن تحرس الدين ولا تسوس الدنيا به، بل كانت تسوس الدنيا بالتصوف والخرافات، وتحارب التوحيد والدعوة إليه، وكانت تحكم بالقوانين ومن سلطنتها من سمي بذلك، وهو: «سلیمان القانونی»^(٤)، وعليه فيلزم على قوفهم بالحاكمية: أنهم كفار، فكيف يدعون أنها كانت خلافة؟!

بل قال الإمام سعود بن عبد العزيز رَجُلَ اللَّهِ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى وَالِي بَغْدَادِ: «وَمَا

(١) «دعوة المقاومة»، (ص ٣٥٨).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (١/٢٣٩) ط: دار الفكر، بيروت.

(٣) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص ١٥)، ط: دار الحديث، القاهرة.

(٤) وسمي بذلك لإدخاله القوانين الأوروبية في حكمه!

قولكم: فنحن مسلمون حقاً، وأجمع على ذلك أئمتنا أئمة المذاهب الأربعة، ومجتهدو الدين والملة المحمدية.

فنقول: قد بَيَّنا من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام أتباع الأئمة الأربعة، ما يدحض حجتكم الواهية، ويبطل دعواكم الباطلة، وليس كل من ادعى دعوى، صدقها بفعله؛ فما استغنى فقير، بقوله: ألف دينار، وما احترق لسان، بقوله: نار، فإن اليهود أعداء رسول الله ﷺ قالوا الرسول الله لما دعاهم إلى الإسلام، قالوا: نحن مسلمون، إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى المسيح، وقالت: النصارى مثل ذلك؛ وكذلك فرعون، قال لقومه: **﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَيِّئَاتُ الرَّسَايِّدِ﴾** [غافر: ٢٩]، وقد كذب وافتري في قوله ذلك.

وحالكم، وحال أئمتك، وسلامطينكم تشهد بكذبكم وافتراككم في ذلك، وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام اثنين وعشرين، رسالة لسلطانكم: سليم، أرسلها ابن عمه، إلى رسول الله ﷺ يستغيث به، ويدعوه، ويسأله النصر على الأعداء، من النصارى وغيرهم؛ وفيها من الذل، والخضوع، والعبادة، والخشوع، ما يشهد بكذبكم. وأووها: «من عيَّدك السلطان سليم، وبعد: يا رسول الله، قد نالنا الضر، ونزل بنا من الم Kroه ما لا نقدر على دفعه، واستولى عباد الصليبان على عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم، والعون عليهم، وأن تكسر لهم عنا»، وذكر كلاماً كثيراً، هذا معناه وحاصله.

فانظر إلى هذا الشرك العظيم، والكفر بالله الواحد العليم، فما سأله المشركون من آهتهم؛ العزى واللات، فإنهما إذا نزلت بهم الشدائدين، أخلصوا خالق البريات. فإذا كان هذا حال خاصتكم، فما الظن بفعل عامتكم، وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم كتاباً كثيرة، في الحجرة، للعامة والخاصة، فيها من سؤال الحاجات، وتفريج الكربات، ما لا نقدر على ضبطه...»^(١).

(١) انظر «الدرر السنية» (١/٣٠٣).

وأما آخر سلاطينهم السلطان «عبد الحميد الثاني» الذي يتنى عليه الإخوان، وهذه الجماعات ومن على شاكلتهم ويمجدونه بدعوى أنه رفض بيع فلسطين، فقد كان صوفياً شاذلياً محترقاً، وقد نشروا وثيقة في ذلك عبارة عن رسالة منه إلىشيخ الطريقة الشاذلية محمود أبي الشامات، يقول في مطلعها: «أرفع عريضتي هذه إلىشيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيس الروح والحياة، وإلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة. بعد تقديم احترامي أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ في (٢٢) مايس من السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمين.

سيدي: إبني بتوقيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً، وأعرض أني مازلت محتاجاً للدعواتكم القلبية بصورة دائمة».

فانظر إلى ثناهم على عدم بيع فلسطين وتعاميمهم عن الكفر والشرك المبين^(١)، ولا عجب فقد كان شيخهم ومؤسسهم صوفياً حصافياً، يتهاون في الشركات؛ ولذلك أذنابهم يهونون من شرك القبور ويعظمون ما يسمونه شرك القصور!^(٢).

فهذه هي حقيقة الدولة العثمانية وحقيقة خلافتها، فليس خلافة على منهاج النبوة وإنما هي ملك جبri فانتبه لذلك رحمنا الله وإياك.

الوقفة الثالثة: الخلافة الراسدة في آخر الزمان، والمهدى:

إن الخلافة على منهاج النبوة في آخر الزمان لن تكون إلا بعد نهاية الملك الجبri ونهايته على يدي المهدى، وهذا ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة في هذا الباب، ومن

(١) وليس في هذا تكفير لهم؛ ففرق بين كفر النوع وكفر التعين.

(٢) ومن هؤلاء هذا الداعية إلى الضلال «محمد حسان» الذي هون من التحذير من شرك القبور، وادعى أنه لا وجود له في واقع الدعاة، وأن الواجب إذا أراد أن يحذر منه أن يمر عليه مروزاً سريعاً وألا يستغرق مخاضرة أو خطبة! وقد رد عليه العلامة الفوزان وقال عن كلامه: «لا يقوله إلا جاهل أو منافق»، ويمكنك سماعه عبر الشبكة بعنوان: «العلامة الفوزان يقول عن كلام محمد حسان لا يقوله إلا منافق».

قام بجمع الروايات الواردة في هذا الشأن تبين له ذلك.

فأما أن الخلافة الراسدة في آخر الزمان لن تكون إلا بعد الملك الجبري: فقد دل على ذلك حديث النبي ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ف تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاصياً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً ف تكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة». ثم سكت^(١).

فقد بين ﷺ أن أول الخير في هذه الأمة هي النبوة التي أنزلت عليه ﷺ، ثم يتبعها خلافة على منهاج هذه النبوة، ثم يتبعها ملك عاص، ثم يتبعه ملك جبri، ثم تتبعه خلافة على منهاج النبوة، فلا يسبق هذه الخلافة الأخيرة التي هي على منهاج النبوة إلا الملك الجبri، ولن يلحق هذه الخلافة شيء، إذن فالخلافة على منهاج النبوة تكون في آخر الزمان، وكل ما كان قبل هذه الخلافة فليس إلا ملكاً جبرياً مهما سماه أتباعه وأنصاره بأسماء أو وصفوه بأوصاف فهو ملك جبri!

وما يتصف به هذا الملك الجبri الظلم والجور الذي يملأ الأرض شيئاً فشيئاً حتى يخلص الله عباده الصالحين منه بأن يبعث فيهم رجلاً من نسل النبوة يتفق اسمه مع اسم جده ﷺ فملأ هذه الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وذلك ما جاء في الحديث الصحيح: «لتملأ الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً، بعث الله رجلاً مني، اسمه اسمي، فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

فدل هذا الحديث على أن العدل والقسط الذي هو من لوازム الخلافة الراسدة لن يكون إلا على يد المهدي، وأنه لا يسبق بعثته -أي: المهدي- إلا الجور والظلم، اللذان لا يمكن بحال من الأحوال أن يكونا صفة خلافة على منهاج النبوة! إذن فيما

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٥).

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (١٥٢٩).

سبق المهدى من حكم - وإن سماه أنصاره خلافة - فليس إلا ملكاً جبراً.

قال العالمة أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله: «إن الخلافة ستكون لابد، ولكنها بقدر الله متى شاء أن تحصل حصلت، وقد دلت الأدلة على أنها ستكون على يدي المهدى الذي يوطئ لنزول عيسى بن مریم عليه الصلاة والسلام»^(١).

فإن قيل: فإن ثمة أحاديث تدل على وجود خلفاء يعز في عهدهم الإسلام ويكون قوياً منيعاً، وهم قبل المهدى، كحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٢).

وقد سبق الجواب عن هذا الإشكال في الوقفة الأولى حول حقيقة الخلافة، ولكن ننقل شيئاً مما سبق - باختصار - مع بعض الإضافات التي لا تغنى عن الرجوع إلى ما سبق، فنقول:

إن هذا الحديث ولو سماهم خلفاء؛ فإنها ليست خلافة على منهاج النبوة، وإنما هي مجرد تسمية والحقيقة أنها ملك دل على ذلك:

أولاً: حديث النبي ﷺ: «سيكونُ بعدِي خلفاءٌ يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ، وَسِيَكُونُ بَعْدِي خَلْفَاءٌ يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ بُرْئَةَ، وَمَنْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ سَلْمًا، وَلَكُنْ مَنْ رَضِيَّ وَتَابَ»^(٣).

فقد سمي هؤلاء الحكام الذين يَعْمَلُونَ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمِرُونَ خلفاء، ولا شك أن هذه صفات تنافي صفات الخلافة الراسدة، وإلا فقد بين صفات الذين يلوّنه عليه السلام بأنهم يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ، وَهُمُ الْخَلْفَاءُ الرَّاشِدُونَ.

(١) انظر: «جمع الشتات فيها كتب عن الإخوان من ملاحظات»، (ص ٧٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في «صححه» (١٨٢١).

(٣) صصحه الألباني، وانظر تخریجه في: «السلسلة الصحيحة» رقم: (٣٠٠٧).

َفَقِيهَةُ نَظِيمِ الدِّرَأَةِ رَاعِثَرْ

ثانيًا: ما رواه البخاري ومسلم في «صحيحهما»^(١) عن أبي هريرة رض عن رسول الله صل قال: «كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي، خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثرون»؛ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بيعة الأول فالأخير؛ ثم أعطوه حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم». فهذه الأحاديث دلت على جواز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين بالخلفاء، وإن كانت مجرد تسمية.

ونحن لا ننزع في جواز تسمية الملك أو الحاكم أو ولی الأمر خليفة، ولكن النزاع في أن توصف خلافته بالخلافة الراسدة على منهاج النبوة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين «خلفاء» وإن كانوا ملوكًا؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء»^(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وأما الخلفاء الاثنا عشر فلم يقل في خلافتهم إنها خلافة نبوة، ولكن أطلق عليهم اسم الخلفاء، وهو مشترك واختص الأنئمة الراشدون منهم بخاصية في الخلافة وهي خلافة النبوة»^(٣).

قال العلامة الألباني رحمه الله: «فلا ينافي مجيء خلفاء آخرين من بعدهم لأنهم ليسوا خلفاء النبوة، فهو لاءهم المعينون في الحديث لا غيرهم، كما هو واضح»^(٤). وأما ما قاله بعض أهل العلم من أن هؤلاء الخلفاء ليسوا على التوالي وأن المهدى أحدهم فهو بعيد يرده لفظ الحديث نفسه بأكثر من وجه:

الأول: قوله: «لا يزال» وهو يدل على الاستمرار دون الانقطاع.

الثاني: أنه على هذا المعنى يكون المسلمون أعزبة بداية من الخلافة إلى آخر الزمان،

(١) البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٥ / ٢٠).

(٣) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١١ / ٢٤٣) مع «عون المعبود».

(٤) «السلسلة الصحيحة» (١ / ٨٢٧).

وهذا ما ترده الأحاديث الصحيحة المؤيدة بالواقع المشاهد؛ فإن المسلمين مروا بسنين ضعف وذل لاسيما بعد زوال دولة بنى أمية إلى يومنا هذا؛ ولذا فلعل الأقرب إلى الصواب أن نقول: الخلفاء الأربعه ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابنه يزيد، ثم عبد الملك بن مروان وأولاده الأربعه وعمر بن عبد العزيز هؤلاء اثنا عشر خليفة، وقد كان الإسلام في زمانهم عزيزاً.

قال العلامة ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «وأما الخلفاء اثنا عشر؛ فقد قال جماعة -منهم أبو حاتم ابن حبان وغيره-: إن آخرهم عمر بن عبد العزيز، فذكروا الخلفاء الأربعه ثم معاوية ثم يزيد ابنه ثم معاوية بن يزيد ثم مروان بن الحكم ثم عبد الملك ابنه ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك ثم عمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته على رأس المائة، وهي القرن الفضل الذي هو خير القرون وكان الدين في هذا القرن في غاية العزة، ثم وقع ما وقع»^(١).

وقال ابن أبي العز -رحمه الله تعالى-: «وكان الأمر كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعه، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعه، وبينهم عمر بن عبد العزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال. وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منغصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدلون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود! وقوفهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في ازدياد في أيام هؤلاء الاثني عشر»^(٢).

وفي تقرير بديع من العلامة عبد المحسن العباد -حفظه الله- يقول: «وأما ما قاله الحافظ إسماعيل بن كثير -رحمه الله عليه- في كتابه التفسير في سورة المائدة عند ذكر النقباء، وأن المهدي: يمكن أن يكون أحد الأنتماء الاثنا عشر فهذا: محل نظر، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «لا يزال أمر هذه الأمة قائماً ما ولـي عليهم اثنا

(١) «حاشية ابن القيم على سنن أبي داود» (١١/٢٤٣)، مع «عون المعبد».

(٢) «شرح الطحاوية» ت الأرنؤوط (٢/٧٣٦).

عشر خليفة كلهم من قريش» فقوله: «لا يزال أمر هذه الأمة قائماً» يدل على أن الدين في زمانهم قائم، والأمر نافذ، والحق ظاهر، ومعلوم أن هذا إنما كان قبل انقراض دولة بني أمية، وقد جرى في آخرها اختلاف تفرق بسببه الناس، وجعل نكبة على المسلمين وانقسم أمر المسلمين إلى خلافتين: خلافة في الأندلس وخلافة في العراق، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم، والرسول عليه الصلاة والسلام قال: «لا يزال أمر هذه الأمة قائماً» ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة حتى احتل نظام الخلافة وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم وصارت دوبيالت كثيرة، وفي زماننا هذا أعظم وأكثر.

والمهدي حتى الآن لم يخرج؛ فكيف يصح أن يقال: إن الأمر قائم إلى خروج المهدي؟! هذا لا يمكن أن يقوله من تأمل ونظر.

والأقرب في هذا كما قاله جماعة من أهل العلم: أن مراد النبي ﷺ بهذا الحديث «لا يزال أمر هذه الأمة قائماً ما ولـي عليهم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش» وأن مراده من ذلك: الخلفاء الأربع وعاوينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابنه يزيد، ثم عبد الملك ابن مروان وأولاده الأربع وعمر بن عبد العزيز هؤلاء إثنا عشر خليفة.

والمقصود: أن الأئمة الاثني عشر في الأقرب والأصوب ينتهي عددهم بهشام بن عبد الملك؛ فإن الدين في زمانهم قائم والإسلام متشر والحق ظاهر والجهاد قائم، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق في الخلافة وتولي مروان في الشام وابن الزبير في الحجاز لم يضر المسلمين في ظهور دينهم؛ فدينهم ظاهر وأمرهم قائم، وعدوهم مقهور مع وجود هذا الخلاف الذي جرى ثم زال بحمد الله بتمام البيعة لعبد الملك واجتماع الناس بعدهما جرى، من الخطوب على يد الحجاج وغيره، وبهذا يتبين أن هذا الأمر الذي أخبر به ﷺ قد وقع ومضى وانتهى، وأمر المهدي يكون في آخر الزمان وليس له تعلق بحديث جابر بن سمرة^(١).

(١) «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدى المنتظر»، (ص ١٦٢).

تبنيه مهم جدًا:

ليس معنى أن الخلافة الراشدة لا تكون إلا في آخر الزمان، أو أنها تقام بقدر الله على يدي المهدى؛ أن ندع العمل والدعوة انتظاراً لخروج المهدى! كما هو عند الشيعة الروافض وأذنابهم من الصوفية! وإنما نحن في سبيلنا على منهاج النبوة، من الدعوة إلى التوحيد، والمنهج السديد، وتعبيد الناس للعزيز المجيد، لا نريم ولا نحيد ولا نبدل ولا نستبدل حتى نقيم الدولة المسلمة دولة التوحيد، وحتى تنصر السنة وتنشر، وتموت البدعة وتقهر.

قال العلامة الألباني رحمه الله: «واعلم يا أخي المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدى! وهذه خرافية وضلاله ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدى ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه عليه السلام.

فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديده الدين، فكذلك خروج المهدى لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض.

بل على العكس هو الصواب، فإن المهدى لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ظل ثلاثة وعشرين عاماً وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدى لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيئاً وأحزاباً، وعلماءهم -إلا القليل منهم- اخذهم الناس رؤوساً! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مدید الله أعلم به.

فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدى، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبه: ١٠٥].
ومنهم - وفيهم بعض الخاصة - من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافه، ولكنه توهם أنها لازمة لعقيدة خروج المهدى، فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال:

وَدَاوِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءِ

وَمَا مُثِلُهُمْ إِلَّا كَمِثْلِ الْمُعْتَزَلَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْقَدْرَ لِمَا رَأَوْا أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَلْزَمُوا مِنْهُ الْجَبَرَ! فَهُمْ بِذَلِكَ أَبْطَلُوا مَا يُجِبُ اعْتِقَادُهُ، وَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَقْضُوا عَلَى الْجَبَرِ!

وطائفه منهم رأوا أن عقيدة المهدى قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادعواها كثيراً من المغرضين، أو المهوتين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيـان) السعـودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتـن إنما يكون بإـنكار هذه العقـيدة الصـحيحة! وإـلى ذلك يـشير الشـيخ الغـزالـي عـقب كلامـه السـابـقـ!

وَمَا مُثِلُهُمْ إِلَّا كَمِثْلِ مَنْ يَنْكِرُ عَقِيَّدَةَ نَزْوَلِ عِيسَى ﷺ فِي أَخْرِ الزَّمَانِ الَّتِي تَوَاتَرَ ذَكْرُهَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ؛ لَأَنَّ بَعْضَ الدِّجَاجَلَةِ ادْعَاهَا، مِثْلُ مِيرَزاً غَلامَ أَحْمَدَ الْقَادِيَانِيِّ، وَقَدْ أَنْكَرَهَا بَعْضُهُمْ فَعَلَّا صِرَاطَهُ، كَالشِّيخِ شَلْتُوتَ.

وَأَكَادُ أَقْطَعُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَنْكَرَ عَقِيَّدَةَ الْمُهَدِّى يَنْكِرُهَا أَيْضًا، وَبَعْضُهُمْ يَظْهُرُ ذَلِكَ مِنْ فَلْتَاتِ لِسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يَبْيَنُ.

وَمَا مُثِلُهُمْ إِلَّا كَمِثْلِ الْمُنْكِرِيْنَ جَمِيعًا عَنِّيْدِي إِلَّا كَمَا لَوْ أَنْكَرَ رَجُلٌ الْوَهِيَّةَ اللَّهُ تَعَالَى بَدَعَوْيَيْ أَنَّهُ ادْعَاهَا بَعْضُ الْفَرَاعَنَةِ! ﴿فَهَلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ﴾^(١).

(١) «السلسلة الصحيحة» (٤/٤٢).

فينبغي التفريق بين عودة الخلافة الراشدة التي تسير على منهاج النبوة، والتي أخبر النبي ﷺ أنها تكون في آخر الزمان بقدر الله رب العالمين، وبين الدعوة إلى إقامة الدولة المسلمة على التوحيد والسنّة في كل بلاد المسلمين، ولو لم يكونوا تحت إمام واحد.

وبهذا يعلم أن خلافة «داعش» المزعومة! ليست هي الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، ولا الملك العضوض «ملك ورثمة»^(١); وإنما هي خلافة على منهاج الخوارج الذين يختلف بعضهم بعضًا على منهجهم الفاسد؛ فكلما قطع منهم قرن خرج آخر، حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم!

الوقفة الرابعة: أصل الأصول بين منهاج النبوة ومنهاج الخوارج:
لابد للعبد إن أراد الفلاح أن يلزم منهاج النبوة ولا يحيد عنه ولا ينحرف عن أصوله لاسيما أصل أصوله.

قال أبي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنّة، فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنّة، وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله تعالى فيعذبه، وما على الأرض عبد على السبيل والسنّة وذكره -يعني الرحمن سبحانه- في نفسه فاقشعر جلدته من خشية الله -إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاث عنها ورقها، إلا حط عنه خطاياه كما تחת عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً أو اقتصاداً، أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وستتهم»^(٢).
إن أصل الأصول في منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو الدعوة إلى

(١) كما في الحديث الصحيح. انظر: «الصحيح»: ٣٢٧٠.

(٢) رواه الإمام ابن المبارك في «الزهد»، باب: لزوم السنّة (٢/٢١)، والإمام الالكائي في «أصول اعتقد أهل السنّة» (١/٥٤)، والإمام ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/٣٥٩)، والإمام أبو نعيم في «الحلية» عند ترجمة أبي ربيعة (١/٢٥٣).

التوحيد ونبذ الشرك؛ فالتوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى.

ومن الآيات الدالة إجمالاً على دعوة الرسل أنهم إلى إفراد الله بالعبادة قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال الإمام الطبرى رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولاً كما بعثنا فيكم بأن عبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿الظَّاغُوتَ﴾ يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، ففضلوا^(١).

قال السعدي رحمه الله: «ينبئ تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له».

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِنَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنياء: ٢٥].

وقول الله تعالى في سورة النحل: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَنَّتَقُونَ﴾ [النحل: ٢]، وغير ذلك.

فالأنبياء مع اختلاف ضلال أقوامهم وتنوع انحرافاتهم إضافة إلى شركهم؛ كانت أول دعوتهم جميعاً إلى التوحيد، وذلك أن أعظم الذنب الشرك بالله والكفر به سبحانه، قال تعالى حين سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال: «أن تجعل الله ندّاً وهو خلقك»^(٢).

فما فائدة النجاة من كل ذنب وقد وقع الأبعد في أعظم ذنب لا يغفره الله ويغفر ما دونه لمن يشاء؟!.

(١) «تفسير الطبرى» (٢٠١ / ١٧).

(٢) « صحيح البخارى» (٤٧٧)، و« صحيح مسلم» (٨٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

فلاجل هذه الحقيقة كانت دعوة الأنبياء جهيناً واحدة وكل ملتهم واحدة ومنهاجهم واحداً؛ لأن دينهم واحد، كما قال عليه السلام: «الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(١).

وقد جاء في القرآن تفصيل دعوة كل واحد منهم فمن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنِّي أَخَافُ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّهِمْ إِذَا قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَنْتُوْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوْثَانَا وَتَخْلُصُونَ إِنْ كَانَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لِهِ إِلَيْهِ تُرْجِعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧، ١٦].

وقال عن هود عليه السلام: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، أَفَلَا نَنَقُولُنَّ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وقال عن صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَى شَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقالها عيسى عليه السلام لقومه: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَسُوعُ إِنَّمَا يَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَرَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

(١) « صحيح البخاري » (٣٤٤٣).

أَنْسَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]، وَالآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًّا.

وَفِي خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي أَوَّلِ مَا نَزَّلَ عَلَيْهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بِكَمْلَةِ الْمُدَّيْنِۚ فَرَأَيْنَاهُۚ وَرَبَّكَ فَكَرِّرَۚ وَثَيَابَكَ فَطَهَرَۚ وَالرُّجَزَ فَاهْجَرَۚ﴾ [المدثر: ١ - ٥].

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَابِ رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ: «وَمَعْنَى ﴿فَرَأَيْنَاهُ﴾ يَنْذِرُ عَنِ الشَّرِكِ وَيَدْعُ إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَرِّرَ﴾، أَيْ: عَظِيمُهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثَيَابَكَ فَطَهَرَ﴾، أَيْ: طَهَرَ أَعْمَالَكَ عَنِ الشَّرِكِ. ﴿وَالرُّجَزَ فَاهْجَرَ﴾، الرُّجَزُ: بِالْأَصْنَامِ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلَهَا»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقْاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهُدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(٢).

وَكَمَا كَانَتْ هَذِهِ دُعْوَةُ الرَّسُلِ فَقَدْ كَانَتْ دُعْوَةً رَسُلَ الرَّسُلِ، فَعِنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مَعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلِيَكُنْ أَوْلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَبَّارَكُلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلِيَلَّهُمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَاهُمْ فَتَرَدُ عَلَى فَقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوهُمْ بَهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتُوقِّعْ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»^(٣). وَفِي رَوَايَةِ: «أَنَّ يَوْهِدُوا اللَّهَ»^(٤)، وَهَذَا قَبْلُ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَسَائرِ الْفَرَائِضِ.

وَبِيَانِ أَهْمَى التَّوْحِيدِ وَالدُّعْوَةِ إِلَيْهِ أُمِرْتُ مُسْتَفِيَضٌ فِي السُّنَّةِ النَّبُوَيَّةِ؛ وَهَذَا كَانَ الصَّحِيفَ أَنَّ أَوْلَى وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمَكْلُفِ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا النَّظرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشُّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالُ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، بَلْ أَئْمَةُ السَّلْفِ

(١) «ثَلَاثَةُ الْأَصْوَلِ» مُطَبَّعٌ ضَمِّنَ «مَوْلَفَاتِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَابِ»، الْجَزْءُ الْأَوَّلُ (ص ١٩٣).

(٢) الْبَخَارِيُّ (٢٥)، وَمُسْلِمُ (٢٠).

(٣) الْبَخَارِيُّ (١٤٥٨)، وَمُسْلِمُ (١٩).

(٤) الْبَخَارِيُّ (٧٣٧٢).

كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

كما قال النبي ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

وهو أول واجب وأخر واجب^(٢)، وأعظم الواجبات، وأفضل القربات
التوحيد، وأعظم الذنوب وأقبح المعاصي الشرك.

قال الكرماني رحمه الله: «ثم أنه قدم التوحيد على غيره؛ لأنه أصل الأصول، وهو معنى كلمة الشهادة التي هي شعار الإسلام» .^(٣)

قال شيخ الإسلام بعد ذكر آيات دالة على التوحيد: «فَهُوَ أَصْلُ الْأُصُولِ وَقَاعِدَةُ الدِّينِ حَتَّىٰ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ وَ ۝ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ وَهَاتَانِ السُورَتَانِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُقْرَأُ بِهِمَا فِي صَلَاةِ التَّطْوِعِ كِرْكَعَتِي الطَّوَافِ وَسَنَةِ الْفُجُورِ وَهُمَا مُتَضَمِّنَتَانِ لِلتَّوْحِيدِ فَأَمَّا ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ الْعَمَليِ الْإِرَادِيِّ وَهُوَ إِخْلَاصُ الدِّينِ لِلَّهِ بِالْقُصْدِ وَالْإِرَادَةِ... وَأَمَّا سُورَةُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَمُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ الْقَوْلِيِّ الْعَلَمِيِّ ۝ .^(٤)

وقال رَبُّكُمْ: «... قد جعل الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه، ولا نستعين إلا إياه، وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه» ثم عدد الآيات الدالة على ذلك». ثم قال: «... والقرآن عامته إنما هو في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول»^(٥).

قال العلامة المعلمى اليماني رحمة الله عليه: «ومعرفة معنى «لا إله إلا الله» أصل

(١) صحّه الألباني في «سنن أبي داود» (٣١٦).

(٩) انظر: «شرح الطحاوية» ت الأرنؤوط (٢١ / ١).

(٣) «الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢٥ / ٩٥).

(٤) «أمراض القلوب وشفاؤها» (ص ٦٢).

(٥) «اقتضاء الصراط المستقيم خالفة أصحاب الجحيم» (٢٢٦/٢).

الأصول^(١).

وهذا كثير مبذول في كلام أهل السنة والجماعة، وهو منهاج الأنبياء وسبيل المؤمنين من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان، وهو منهج القرون المفضلة الأولى ومن سار خلفهم واقتفي أثرهم ولزم غرزهم.

وأما أن يكون الحكم والحاكمية، أو الخلافة والإمامية هو أصل الأصول! فنعم! هو أصل الأصول! ولكن ليس في منهاج النبوة، وإنما في منهاج الخوارج كذاب أهل النار! وفي منهاج الروافض الفجار، فلقد عُرف الخوارج قديماً -أول ما عرفوا- بالمحكمة، لأجل مسألة الحكم، وهذه المسألة هي الأصل الذي اتفقوا عليه جمِيعاً في القديم -كما سيأتي إن شاء الله- وفي الحديث، كما مر من كلامهم، وكلام سيدهم وقطبهم فالحاكمية عندهم أصل الدين.

حتى آخرهم ومتحدthem الغر الصغير الذي زعم أن الخلافة هي الغاية من خلقه الخلق، وإرسال الرسل، وسل سيف الجهد! فقال: «تلك حقيقة الاستخلاف، الذي من أجله خلقنا الله، ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم... وهذا الاستخلاف بهذه الحقيقة: هو الغاية التي لأجلها أرسل الله رسلاً، وأنزل كتبه، وسل سيف^(٢) الجهد».

فقد جعلوا الاستخلاف هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق! ومن أجلها أرسل رسلاً، وسلت سيف الجهد! وهذا تقول على الله تعالى بغير علم، قال تعالى: ﴿فَلَئِنْمَا حَرَمَ رَبِّ الْفَوْحَشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَإِلَيْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشَرِّكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَنَنَا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٣] [الأعراف: ٢٣]. بل هو افتراء وكذب على الله جل وعلا قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ كَذَبَ بِنَاسَتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [١١] [الأنعام: ٢١].

(١) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي البهاني (٢/١٩٩).

(٢) كلمة صوتية بعنوان: «هذا وعد الله».

بل هذا تبديل لدين الله تعالى، وحكم بغير ما أنزل الله رب العالمين؛ لا في الشرائع؛ بل في أصل الأصول! فيما يحكم هؤلاء وأتباعهم على أنفسهم إن كانوا صادقين؟!

ألم يقل سبحانه عن الغاية من خلق الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولم يقل جل وعلا: (إِلَّا لِيُسْتَخْلِفُونَ)، قال ابن عباس رض في تفسيرها: «ليرثوا بالعبودية طوعاً أو كرها»^(١).

قال العلامة السعدي رحمه الله: «هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عنها سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم حاجة منه إليهم». اهـ.

فالغاية التي من أجلها خلقنا الله هي العبادة وتوحيده سبحانه وإفراده بها، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وسلت سيوف الجهاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعبادة هي الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمر الله ومحبته ورضاه كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ وبها أرسل الرسل وأنزل الكتب^(٢).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «وتلك العبادة التي خُلِقَتْ لأجلها الخلق كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾؛ فأخبر سبحانه أنه إنما خلقهم للعبادة، وكذلك إنما أرسل إليهم رسلاً وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه فالعبادة هي الغاية التي خلقوا لها^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/٣٣١٣)، والطبراني في «تفسيره» (٤٤٥/٢٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٩).

(٣) «القواعد» لابن القيم (ص ١٢٢).

وقال العلامة ابن باز رحمه الله: «شهادة أن لا إله إلا الله: هو توحيد الله وإخلاص العبادة له، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا المعنى هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، وأنزل به الكتب، وقام عليه سوق الجهاد، وانقسم الناس فيه إلى كافر ومؤمن، وشقى وسعيد»^(١).

فهي أيضاً الغاية من الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَّيَكُونَ الَّذِينُ لَهُ فَإِنَّ أَنَّهُؤَافَلَأَعْدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبرى رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنه يعني: حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان»^(٢).

بل عليك أن تعلم أن المقصود من وجود الخلافة والإمامنة والولاية أن يكون الدين كله لله كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فهذه: قاعدة في الحسبة».

أصل ذلك أن تعلم أن جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله؛ وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ فإن الله گ إنما خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب وبه أرسل الرسول وعليه جاهد الرسول والمؤمنون»^(٣).

فالخلافة وسيلة وليست غاية، فكما مر في تعريفها أنها إنما وضعت لحراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهذا ما لا يقر به الخوارج في كل عصر ومصر!

ولا بأس فإن الخوارج لا اعتداد بهم ولا اعتبار لهم!

ومع ذلك فإليك بيان هذه القضية وتلك المسألة ألا وهي: الحكم والحاكمية

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (١٢/٣).

(٢) «جامع البيان» ت شاكر (٥٧٠/٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦١/٢٨).

﴿لِيَهُمْ لَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلَيْهِ﴾ [٤٥]

[الأنفال: ٤٢].

الوقفة الخامسة: مسألة الحكم والحاكمية:

إن من الواجبات المتحتمات في دين رب البريات الحكم بما أنزل الله - سبحانه -

في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ؛ فإن الدين عند الله الإسلام، والإسلام هو الاستسلام ظاهراً وباطناً لله رب العالمين والانقياد التام له سبحانه، وإن أول ما يدخل العبد به دين الله؛ كلمة التوحيد «لا إله إلا الله». وهذه الكلمة لها شروط بينها أهل العلم منها: القبول لما جاءت به هذه الكلمة، والانقياد التام لها، فلا يجد في نفسه غضاضة لحكم من أحکام الله بل يلقاها جميعها بالتسليم والقبول والانقياد، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فلا يتم للعبد إيهان حتى تقوم حياته على شريعة ربه عقيدة وعبادة، تحليلاً وتحريماً، أمراً ونهياً، سلوكاً وخلقًا، ومعاملة، فالمؤمن الحق هو الذي يحكم شرع الله على نفسه في كل كبير وصغير، فلا حياة لقلبه إلا بشرع الله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُو لَهُمْ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَوكُمْ لِمَا يُحِبِّي كُمْ وَأَعْلَمُو أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءَ وَقَلْبِهِ وَإِنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقد أمر سبحانه بالحكم بما أنزل، وحذر من اتباع الأهواء المخالفه له، وأنه

لا حكم أحسن من حكمه - جل وعلا - لقوم يوقنون؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنَزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَمِّنَا عَلَيْهِ فَأَحَدُكُمْ بَيْنَهُمْ يُمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعْلَنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُو كُمْ فِي مَا أَنْتُمْ فَاسْتَقِوْا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَيِّثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ وَأَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَهُمْ يُمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَبَعَ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحَدُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوْكُمْ ٤٨﴾

عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَأَعْلَمُ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ

كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَسِقُونَ ﴿٤﴾ أَفَمُحْكَمَ الْجَهْلِيَّةُ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ
يُوْقِنُونَ ﴿٥﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠].

وبين سبحانه أن الصد عن الحكم بما أنزل من شأن المنافقين فقال جل شأنه:
 »وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ
صُدُودًا» [النساء: ٦١].

وأخبر بأن من كره ما أنزل الله فقد حبط عمله فقال سبحانه: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطْتُ أَعْمَانَهُمْ» [محمد: ٩].

وهذا عام في الحكام والمحكومين، فإننا حينما نتكلم عن وجوب الحكم بما أنزل الله واتباع شريعته سبحانه والتسليم لما جاء به النبي الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ لا نتكلم عن طائفة من المسلمين دون طائفة، بل هو أمر عام شامل لهم جميعاً حكامًا ومحكومين، وبهذا جاءت النصوص الشرعية في كتاب رب البرية، ولم تفرق بين أحد من عباد الله كم مر؛ بل آيات الحكم إنما أُنزلت في شأن المحكومين أصلة لا الحاكمين فقط وفيها تفصيل كما سيأتي -إن شاء الله- في الفصل القادم.



فصل: حكم من لم يحكم بما أنزل الله

قد مضى معنا أن الحكم بما أنزل الله تعالى من أوجب الواجبات، وتركه من أعظم المحرمات، وقد يصل بصاحبـه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى؛ ولذلك فالحكم في مسألة الحكم فيه تفصيل؛ والعمدة في هذه المسألة هي تلك الآيات من سورة المائدة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال جل وعز: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ﴾ [٢٧] [المائدة: ٤٧].

روى مسلم^(١) بسنده عن البراء بن عازب قال: مر على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يهودي محماً مجلوداً فدعاهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم» قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: «أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم» قال: لا، ولو لا أني نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثـر في أشرافنا فكـنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنـا عليه الحـد، قلـنا: تعالوا فلنـجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضعـيـف فجعلـنا التـحـمـيـمـ والجلـدـ مكانـ الرـجـمـ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اللـهمـ إـنـيـ أـوـلـ منـ أـحـيـاـ أـمـرـكـ إـذـ أـمـاتـوـهـ». فأـمـرـ بهـ فـرـجـمـ فأـنـزـلـ اللهـ تـحـيـكـ ﴿يَتـأـيـهـاـ الرـسـوـلـ لـاـ يـحـرـنـكـ الـذـيـنـ يـسـكـرـعـونـ فـيـ الـكـفـرـ﴾ إـلـىـ قـوـلـهـ ﴿إـنـ أـوـتـيـشـمـ هـذـاـ فـخـذـوـهـ﴾ [المائدة: ٤١]، يقولـ: اـتـوـاـ حـمـدـاـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـعـلـيـ آـلـهـ وـسـلـمـ فـإـنـ أـمـرـكـمـ بـالـتـحـمـيـمـ وـالـجـلـدـ فـخـذـوـهـ وـإـنـ أـفـتـاـكـمـ بـالـرـجـمـ فـاحـذـرـوـاـ، فـأـنـزـلـ اللهـ

(١) في «صحيـحـهـ» (١٧٠٠).

هَقِيَّةُ نَظِيمِ الدَّرَلَهِ رَاعِشَ

تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾^(٤٤)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤٥)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسَقُونَ﴾، في الكفار كلها^(٤٦).

فإن قيل: «نزلت في الكفار كلها» بمعنى أن كلها كفر أكبر لا كفر دون كفر، ولا كفر أصغر ولا ظلم أصغر ولا فسق أصغر.

قلنا: نرجع إلى فهم السلف إن كانوا حقاً سلفين، فهذا ابن عمر رض فهم من قوله ع في الكفار؛ يعني: الكفار الأصلين فقال: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»^(٤٧).

وعن أبي صالح قال: «الثلاث الآيات التي في «المائدة» ليس في أهل الإسلام منها شيء، هي في الكفار»^(٤٨).

وعن الضحاك قال: «نزلت هؤلاء الآيات في أهل الكتاب»^(٤٩).

وعن عكرمة قال: «هؤلاء الآيات في أهل الكتاب»^(٥٠).

وعنه أيضاً: «لأهل الكتاب كلهم، لما تركوا من كتاب الله»^(٥١).

قال أبو جعفر الطبرى رض: «ومن كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه وجعله حكماً بين عباده، فأخفاه وحكم بغيره، كحكم اليهود في الزانيين المحسنين بالتجبيه والتحمييم، وكتابتهم الرجم، وكقضاءهم في بعض قتلهم بدية كاملة وفي بعض بنصف

(٤٤) «ال الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي (ص ٨٥) وقال رحمه الله: «الحديث أخرجه أبو داود (ج ٤ / ص ٢٦٣) وفيه: «بيهودي محمّم مجلود» على الوصفية، والإمام أحمد (ج ٤ / ص ٢٨٦)، والبيهقي (ج ٨ / ص ٢٤٦)، وأبن جرير (ج ٦ / ص ٢٣٣ و ٢٥٤)، وأبن أبي حاتم (ج ٣ / ص ٣).

(٤٥) ذكره البخاري معلقاً مجزوّماً به في باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

(٤٦) «تفسير الطبرى» (٣٤٦ / ١٠).

(٤٧) «تفسير الطبرى» (٣٤٧ / ١٠).

(٤٨) «تفسير الطبرى» (٣٥١ / ١٠).

(٤٩) «تفسير الطبرى» (٣٥١ / ١٠).

الدية، وفي الأشراف بالقصاص، وفي الأدنية بالدية، وقد سوَّى الله بين جميعهم في الحكم عليهم في التوراة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرُونَ﴾، يقول: هؤلاء الذين لم يحكموا بما أنزل الله في كتابه، ولكن بدَّلوا وغيروا حكمه، وكتموا الحق الذي أنزله في كتابه ﴿هُمُ الْكَفَرُونَ﴾، يقول: هم الذين سَرَوا الحق الذي كان عليهم كشفه وتبيينه، وغطوه عن الناس، وأظهروا لهم غيره، وقضوا به لسحتِ أخذوه منهم عليه^(١).

وأما من جعلها في المسلمين فقد قال فيها كفر دون كفر ليس بناقل عن الملة كما قال ابن عباس رض: «هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(٢).

وفي تفسير ابن أبي حاتم عنه أيضًا قال: «هي كبيرة قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وروي عن عطاء أنه قال: كفر دون كفر»^(٣).

وعن عطاء أيضًا قال: «كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم»^(٤).

وقد ذكر الإمام أبو جعفر الطبرى رض هذه الأقوال وغيرها ثم قال: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت، وهم المعنيون بها وهذه الآيات سياق الخبر عنهم، فكوثُرَّا خبراً عنهم أولى.

فإن قال قائل: فإن الله تعالى ذكره قد عمَّ بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله، فكيف جعلته خاصًا؟

قيل: إن الله تعالى عمَّ بالخبر بذلك عن قومٍ كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم، على سبيل ما تركوه، كافرون، وكذلك القول في كل من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به، هو بالله كافر، كما قال ابن

(١) «تفسير الطبرى» (١٠ / ٣٤٥).

(٢) «تفسير الطبرى» (١٠ / ٣٥٦).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤ / ١١٤٣).

(٤) «تفسير الطبرى» (١٠ / ٣٥٥).

عباس، لأنه بجحوده حكم الله بعد علمه أنه أنزله في كتابه، نظير جحوده نبوة نبيه بعد علمه أنه نبي^(١).

وأما قوله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فعنده أنه قال: «من جحد الحكم بما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق، يقول: من جحد من حدود الله شيئاً فقد كفر»^(٢).

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: «من حكم بكتابه الذي كتبه بيده وترك كتاب الله، وزعم أن كتابه هذا من عند الله فقد كفر»^(٣).

وبهذا التفصيل الذي ذكرناه قال المفسرون من أهل السنة والجماعة.

وقد مضى معنا كلام أئمتهم من السلف الصالحين من الصحابة والتابعين،

وهذا كلام من سار على نهجهم من المفسرين.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أيضاً ما وُبخت به اليهود وقرعوا عليه؛ فإن عندهم في نص التوراة: أن النفس بالنفس، وهم يخالفون ذلك عمداً وعندأ، ويقيدون النضري من القرطي، ولا يقيدون القرطي من النضري، بل يعدلون إلى الدية، كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم في رجم الزاني الممحض، وعدلوا إلى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار؛ وهذا قال هناك: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرُونَ﴾^(٤)، لأنهم جحدوا حكم الله قصداً منهم وعندأ وعمداً، وقال هاهنا: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذي أمر الله بالعدل والتسوية بين الجميع فيه، فخالفوا وظلموا، وتعدى بعضهم على بعض»^(٥).

وقال الشوكاني رحمه الله: «قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) «تفسير الطبرى» (١٠/٣٥٨).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١١٤٢).

(٣) «تفسير الطبرى» (١٠/٣٥٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/١١٤٢).

(٤) تفسير ابن كثير سلامة (٣/١٢٠).

الْكُفَّارُونَ ﴿٤﴾، لفظ من من صيغ العموم؛ فيفيد أن هذا غير مختص بطائفة معينة بل بكل من ولـيـ الحـكمـ وـقـيلـ: إنـهاـ مـخـتصـةـ بـأـهـلـ الـكـتـابـ، وـقـيلـ: بـالـكـفـارـ مـطـلـقاـ لـأـنـ المـسـلـمـ لـاـ يـكـفـرـ بـاـرـتـكـابـ الـكـبـيرـةـ وـقـيلـ: هـوـ مـحـمـولـ عـلـىـ أـنـ الـحـكـمـ بـغـيرـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ وـقـعـ استـخـفـافـاـ، أـوـ اـسـتـحـلـالـاـ، وـالـإـشـارـةـ بـقـوـلـهـ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ﴾ (من)، والـجـمـعـ باـعـتـبارـ مـعـنـاهـاـ، وـكـذـلـكـ ضـمـيرـ الـجـمـاعـةـ فـيـ قـوـلـهـ: هـمـ الـكـافـرـونـ﴾^(١).

وقـالـ السـعـديـ رـجـلـ اللـهـ: «وـمـنـ لـمـ يـحـكـمـ بـمـاـ أـنـزـلـ اللـهـ﴾ مـنـ الـحـقـ الـمـبـينـ، وـحـكـمـ بـالـبـاطـلـ الـذـيـ يـعـلـمـهـ، لـغـرـضـ مـنـ أـغـرـاضـهـ الـفـاسـدـةـ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُونَ﴾ فـالـحـكـمـ بـغـيرـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ مـنـ أـعـمـالـ أـهـلـ الـكـفـرـ، وـقـدـ يـكـوـنـ كـفـرـاـ يـنـقـلـ عـنـ الـلـهـ، وـذـلـكـ إـذـ اـعـتـقـدـ حـلـهـ وـجـواـزـهـ، وـقـدـ يـكـوـنـ كـبـيرـةـ مـنـ كـبـائـرـ الـذـنـوبـ، وـمـنـ أـعـمـالـ الـكـفـرـ قـدـ اـسـتـحـقـ مـنـ فـعـلـهـ الـعـذـابـ الشـدـيدـ»^(٢).

وقـالـ الشـنـقـيـطـيـ رـجـلـ اللـهـ: «الـظـاهـرـ الـمـتـبـادـرـ مـنـ سـيـاقـ الـآـيـاتـ أـنـ آـيـةـ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُونَ﴾، نـازـلـةـ فـيـ الـمـسـلـمـينـ؛ لـأـنـهـ تـعـالـىـ قـالـ قـبـلـهـاـ خـاطـبـاـ لـمـسـلـمـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ: ﴿فَلَا تَخَشُوا الْكَاسَ وَأَخْشُونَ وَلَا تَشْرُوْ إِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [المائدة: ٤٤]، ثـمـ قـالـ: وـمـنـ لـمـ يـحـكـمـ بـهـ أـنـزـلـ اللـهـ فـأـوـلـئـكـ هـمـ الـكـافـرـونـ، فـالـخـطـابـ لـلـمـسـلـمـينـ كـمـاـ هـوـ ظـاهـرـ مـتـبـادـرـ مـنـ سـيـاقـ الـآـيـةـ، وـعـلـيـهـ فـالـكـفـرـ إـمـاـ كـفـرـ دـوـنـ كـفـرـ، إـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ فـعـلـهـ ذـلـكـ مـسـتـحـلـلـاـ، أـوـ قـاصـدـاـ بـهـ جـحـدـ أـحـكـامـ اللـهـ وـرـدـهـ مـعـ الـعـلـمـ بـهـ؛ أـمـاـ مـنـ حـكـمـ بـغـيرـ حـكـمـ اللـهـ، وـهـوـ عـالـمـ أـنـهـ مـرـتـكـبـ ذـنـبـاـ، فـاعـلـاـ قـبـيـحاـ، وـإـنـماـ حـمـلـهـ عـلـىـ ذـلـكـ الـهـوـيـ فـهـوـ مـنـ سـائـرـ عـصـاةـ الـمـسـلـمـينـ...»

وـاعـلـمـ أـنـ تـحرـيرـ الـمـقـامـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ أـنـ الـكـفـرـ، وـالـظـلـمـ، وـالـفـسـقـ، كـلـ وـاحـدـ مـنـهـاـ رـبـيـاـ أـطـلـقـ فـيـ الشـرـعـ مـرـادـاـ بـهـ الـمـعـصـيـةـ تـارـةـ، وـالـكـفـرـ الـمـخـرـجـ مـنـ الـلـهـ أـخـرىـ؛ وـمـنـ لـمـ يـحـكـمـ بـهـ أـنـزـلـ اللـهـ، مـعـارـضـةـ لـلـرـسـلـ وـإـبـطـالـاـ لـأـحـكـامـ اللـهـ، فـظـلـمـهـ وـفـسـقـهـ وـكـفـرـهـ كـلـهـاـ

(١) فـتـحـ الـقـدـيرـ لـلـشـوـكـانـيـ (٢٥٠/٢).

(٢) «تـفـسـيرـ السـعـديـ» = «تـيسـيرـ الـكـرـيمـ الرـحـمـنـ» (صـ ٢٣٣).

فِقْيَةُ نَظِيمِ الدَّرَلَهِ رَاعِشَ

كفر مخرج عن الملة، ومن لم يحكم بها أنزل الله معتقداً أنه مرتكب حراماً فاعل قبيحاً ففكره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة»^(١).

فهذا كلام أهل السنة والجماعة - سلفاً وخلفاً - في تفسير الآية.

أما الخوارج فقد حملوها على الكفر الأكبر - وقد سبق بيان ضلالهم في هذا - ثم حملوها على التعين^(٢) ، وهذا ضلال آخر ! فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم. يقول الإمام السمعاني رحمه الله: «واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون: من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم»^(٣).

ويقول الشاطبي رحمه الله: «وما يوضخ ذلك ما خرجه ابن وهب عن بكير أنه سأل

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (١/٤٠٧).

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٤٨٧/١٢): «وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنهم يرون أدلة توجب الحاق أحكام الكفر بهم، ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون كافراً، فيتعارض عندهم الدليلان، وحقيقة الأمر: أنهم أصحاب في الفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصحاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع كلما رأوه قالوا: من قال كذا فهو كافر اعتقاد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ولم يتذمروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وأن تكfir المطلق لا يستلزم تكfir المعين».

وقال: «هذا مع أنني دائياً ومن جالسي يعلم ذلك مني: أنني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكثير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى وإن أقر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بکفر ولا بفسق ولا معصية». «مجموع الفتاوى» (٣/٢٢٩).

وقال رحمه الله في «الاستقامة» (١٦٥/١): «فقد ثبت في الصحيح عن ثابت بن الصحّاح عن النبي صلى الله عليه وسلم كقتله وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِالْكُفْرِ فَهُوَ كَوْتَلَهُ»، وَتَبَثَّتَ فِي الصَّحِّيحِ أَنَّ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرْ فَقَدْ بَأَءَ بِهِ أَحَدَهُمَا، وَإِذَا كَانَ تَكْفِيرُ الْمُعِينِ عَلَى سَبِيلِ الشَّتْمِ كَوْتَلَهُ فَكَيْفَ يَكُونُ تَكْفِيرُهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِقَادِ فَإِنْ ذَلِكَ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِهِ إِذْ كَافِرْ يُبَاحُ قَتْلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ أَبْيَحَ قَتْلَهُ يَكُونُ كَافِرًا؛ فَقَدْ يَقْتَلُ الدَّاعِي إِلَى بِدْعَةِ لِإِضَالَةِ النَّاسِ وَإِسَادَهُ مَعَ إِمْكَانِ أَنَّ اللَّهَ يُغْفِرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأُصُوصُ بِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِنْقَالَ ذَرَةٍ مِنْ إِيمَانِهِ».

(٣) «تفسير السمعاني» (٢/٤٢).

نافعاً: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ قال: يراهم شرار خلق الله، إنهم انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين... وقال نافع: إن ابن عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم؛ وينكحون النساء في عددهن، وتتأتىهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج ف تكون المرأة عندهم لها زوجان؛ فلا أعلم أحداً أحلاً بالقتال والقتل من الحرورية»^(١).

ولذلك قال لهم ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس بالكفر الذي تذهبون إليه»؛ فليست هو الكفر الأكبر المخرج من الملة الذي تذهبون إليه أيها الخوارج قدّيماً وحديثاً.

وعن عمران بن حذير قال: «قعد إلى أبي مجلز نفرٌ من الإباضية، قال فقالوا له: يقول الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ﴾^(٢)! قال أبو مجلز: إنهم يعملون بما يعلمون -يعني: الأمراء- ويعلمون أنه ذنب! قال: وإنما أنزلت هذه الآية في اليهود! والنصارى قالوا: أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم، ولكنك تخشاهم! قال: أنتم أحق بذلك منّا! أما نحن فلا نعرف ما تعرفون! قالوا: ولكنكم تعرفونه، ولكن يمنعكم أن تتضموا أمركم من خشيتهم!»^(٢).

وهذا دأب الخوارج من قديم الجهل والغرور والتطاول على أهل العلم، وما تکفیرهم لأئمة الزمان عنك ببعيد!

ويقول سعيد بن جبير رضي الله عنهما: «أما المتشابهات: فهن آئي في القرآن يتشاربهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل من ادعى هذه الكلمة، كل فرقه يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، وما تبع الحرورية من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ﴾^(٤) [المائدة: ٤]، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فإذا

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١١٣/٣).

(٢) «تفسير الطبرى» (٣٤٧/١٠).

رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهو لاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأنلون هذه الآية^(١).

ويقول رأس الخوارج في العصر الحديث سيد قطب: «ولم يكن بد أن يكون «دين الله» هو الحكم بما أنزل الله دون سواه، فهذا هو مظهر سلطان الله، مظهر حاكمية الله، مظهر أن لا إله إلا الله، وهذه الحتمية: حتمية هذا التلازم بين «دين الله» و«الحكم بما أنزل الله» لا تنشأ فحسب من أن ما أنزل الله خير ما يصنع البشر لأنفسهم من مناهج وشائع وأنظمة وأوضاع، فهذا سبب واحد من أسباب هذه الحتمية، وليس هو السبب الأول ولا الرئيسي، إنما السبب الأول والرئيسي، والقاعدة الأولى والأساس في حتمية هذا التلازم هي أن الحكم بما أنزل الله إقرار بألوهية الله، ونفي لهذه الألوهية وخصائصها عمن عداه، وهذا هو «الإسلام» بمعناه اللغوي: «الاستسلام» وبمعناه الاصطلاحي كما جاءت به الأديان.. الإسلام لله.. والتجرد عن ادعاء الألوهية معه وادعاء أخص خصائص الألوهية، وهي السلطان والحاكمية، وحق تطويق العباد وتعييدهم بالشريعة والقانون، ولا يكفي إذن أن يتخذ البشر لأنفسهم شرائع تشابه شريعة الله، أو حتى شريعة الله نفسها بنصها، إذا هم نسبوها إلى أنفسهم، ووضعوا عليها شاراتهم ولم يردوها الله ولم يطبقوها باسم الله، إذعنًا لسلطانه، واعترافاً بألوهيته وبتفريده بهذه الألوهية، التفرد الذي يجرد العباد من حق السلطان والحاكمية، إلا تطبيقاً لشريعة الله، وتقريراً للسلطانه في الأرض.

ومن هذه الحتمية ينشأ الحكم الذي تقرره الآيات في سياق السورة: ﴿وَمَنْ لَّهُ يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ ٤٤﴾، ﴿وَمَنْ لَّهُ يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٤٥﴾، ﴿وَمَنْ لَّهُ يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُنَسِّقُونَ ٤٦﴾.. ذلك أن الذين لا يحكمون بما أنزل الله يعلنون رفضهم لألوهية الله - سبحانه - ورفضهم لأفراد الله - سبحانه - بهذه الألوهية، يعلنون هذا الرفض بعملهم

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤).

وواعهم ولو لم يعلنوه بأفواهم وألسنتهم، ولغة العمل والواقع أقوى وأكبر من لغة الفم واللسان، ومن ثم يصهم القرآن بالكفر والظلم والفسق، أخذنا من رفضهم لأنوبي الله - حين يرفضون حاكميته المطلقة وحين يجعلون لأنفسهم خاصة الأنوبية الأولى فيشرعون للناس من عند أنفسهم ما لم يأذن به الله^(١).

ويقول مؤسس دولة الخوارج أبو عمر البغدادي في بيان عقيدتهم التي يعتقدونها ويدينون بها إلى يومهم هذا: «خامسًا: نرى وجوب التحاكم إلى شرع الله من خلال الترافع إلى المحاكم الشرعية في الدولة الإسلامية، والبحث عنها في حالة عدم العلم بها، لكون التحاكم إلى الطاغوت من القوانين الوضعية والفصول العشائرية ونحوها من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ﴾ اهـ.

وبهذا تعرف من سلف هؤلاء الدواعش، فذو الخويصرة التمييزي هو سلفهم وجدهم الأكبر، وقد خرجن من ضئضئه يتৎفسون التكفير، ويعشقون الدماء، وينعمون بين الأشلاء ولا حول ولا قوة إلا برب الأرض والسماء. وزيادة في البيان إليك شيئاً من التفصيل والخلاصة لما سبق ذكره:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «فاما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر؛ فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار؛ والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى - وكان مما يتلى فنسخ لفظه - (لا ترغبو عن آباءكم فإنه كفر بكم)، وقوله ﷺ في الحديث «اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنهاية»، وقوله في «السنن» «من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد» وفي الحديث الآخر «من أتى كاهنا أو عرافاً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد»، وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾

(١) «في ظلال القرآن» (٢/٨٢٨).

فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤﴾ .

قال ابن عباس: «ليس بكافر ينقل عن الملة»، بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وكذلك قال طاوس، وقال عطاء: هو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر، سواء حكم أو لم يحكم.

ومنهم من تأولها على ترك الحكم بجميع ما أنزل الله، قال: ويدخل في ذلك الحكم بالتوحيد والإسلام، وهذا تأويل عبد العزيز الكناني، وهو أيضا بعيد؛ إذ الوعيد على نفي الحكم بالمتزل، وهو يتناول تعطيل الحكم بجميعه وببعضه.

ومنهم من تأولها على الحكم بمخالفة النص، تعمداً من غير جهل به ولا خطأ في التأويل. حكاه البغوي^(١).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «وإذا كان من قول السلف: إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك في قوله: إنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة؛ كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ .

قالوا: كفروا كفرا لا ينقل عن الملة، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة^(٢).

قال الإمام القاسم بن سلام رحمه الله: «فَقَدْ أَخْبَرَكَ أَنَّ فِي الذُّنُوبِ أَنْوَاعًا كثِيرَةً تُسَمَّى بِهَا الْإِسْمُ، وَهِيَ عَيْرُ الْإِشْرَاكِ الَّتِي يُتَّخِذُ لَهَا مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ غَيْرُهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَلَيْسَ لِهَذِهِ الْأَبَوَابِ عِنْدَنَا وَجُوهٌ إِلَّا أَنَّهَا أَخْلَاقُ الْمُشْرِكِينَ، وَتَسْمِيهِمْ، وَسُنْنَتُهُمْ، وَأَفْعَاظُهُمْ، وَأَحْكَامُهُمْ، وَتَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ .

(١) «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١/٣٤٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٧/٣١٢).

وَأَمَّا الْفُرْقَانُ الشَّاهِدُ عَلَيْهِ فِي التَّنْزِيلِ، فَقُولُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَ: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ» ^(٤٤).
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ». وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحَ: «كُفْرٌ دونَ كُفْرٍ».

فَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ كَانَ لَيْسَ بِنَاقِلٍ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ أَنَّ الدِّينَ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ، وَإِنْ خَالَطَهُ ذُنُوبٌ، فَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا خِلَافُ الْكُفَّارِ وَسُتُّهُمْ، عَلَى مَا أَعْلَمْتُكَ مِنَ الشَّرِائِ سَوَاءً؛ لِأَنَّ مِنْ سُنْنِ الْكُفَّارِ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: «أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعَدُونَ» ^(٥٠) [المائدة: ٥٠] تَأْوِيلُهُ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ: أَنَّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ كَانَ بِذَلِكَ الْحُكْمَ كَأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، إِنَّمَا هُوَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةَ كَذَلِكَ كَانُوا يَحْكُمُونَ.

وَهَكَذَا قَوْلُهُ: «ثَلَاثَةٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ وَالنِّيَاحَةِ وَالْأَنْوَاءِ» ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ أَبِي زَمِينِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَعَلِمْنَا أَنَّ شَرِّكَانْ شِرْكَانْ كَمَنْ يَجْعَلُ مَعَهُ إِهْلًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ ^(٤٤): «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ» ^(٤٤)
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ: لَيْسَ هُوَ كُفْرٌ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ ^(٢).

وَقَالَ الْعَالَمَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ» ^(٤٤)، ^(٤٥) «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» ^(٤٥).

«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْحُونَ» ^(٤٦) قَالَ: هُوَ فِي الْكُفَّارِ كُلُّهُمْ.

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَقصُودُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْثَلَاثُ الْكُفَّارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَمْثَالُهُمُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَأَحْكَامَهَا، وَيُلْحِقُ بِهِمْ كُلُّ مَنْ شَارَكَهُمْ فِي ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ يَتَظَاهِرُ بِالْإِسْلَامِ، حَتَّى وَلَوْ أَنْكَرَ حُكْمَهُ وَاحِدًا مِنْهَا.

وَلَكِنَّ مَا يَنْبغي التَّبَهُ لَهُ، أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ مِنْ لَا يَحْكُمُ بِشَيْءٍ مِنْهَا مَعَ دُمُّ إِنْكَارِهِ

(١) الإِيَّانُ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامَ (ص ٨٨) تَحْقِيقُ الْإِمَامِ الْأَلْبَانِيِّ - رَحْمَهُ اللَّهُ.

(٢) «أَصْوَلُ السَّنَةِ» لِابْنِ أَبِي زَمِينِ (ص ٢٤٠).

ذلك، فلا يجوز الحكم على مثله بالكفر وخروجه عن الملة لأنّه مؤمن، غاية ما في الأمر أن يكون كفره كفراً عملياً.

وهذه نقطة هامة في هذه المسألة يغفل عنها كثير من الشباب المتحمس لتحكيم الإسلام، ولذلك فهم في كثير من الأحيان يقومون بالخروج على الحكام الذين لا يحكمون بالإسلام، فتُقْعِدُ فتن كثيرة، وسفك دماء بريئة ل مجرد الحماس الذي لم تُعَدَّ له عدته.

والواجب عندي تصفية الإسلام بما ليس منه كالعقائد الباطلة، والأحكام العاطلة، والآراء الكاسدة المخالفة للسنة، وتربية الجيل على هذا الإسلام المصنفي، والله المستعان» (١).

وهذا جواب الإمام ابن باز رحمه الله عن «حكم من يحكم بغير ما أنزل الله».

السؤال: هل يعتبر الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله كفاراً وإذا قلنا إِنَّهُم مُسْلِمُونَ فَمَاذَا نقول عن قوله تعالى: **﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾**؟

الجواب: الحكم بغير ما أنزل الله أقسام تختلف أحکامهم بحسب اعتقادهم وأعماهم؛ فمن حكم بغير ما أنزل الله يرى أن ذلك أحسن من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين، وهكذا من يحكم القوانين الوضعية بدلاً من شرع الله ويرى أن ذلك جائزاً ولو قال: إن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافر لكونه استحلَّ ما حرم الله أما من حكم بغير ما أنزل الله اتباعاً للهوى أو لرشوة أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه أو لأسباب أخرى وهو يعلم أنه عاص لله بذلك وأن الواجب عليه تحكيم شرع الله فهذا يعتبر من أهل المعاشي والكبائر ويعتبر قد أتى كفراً أصغر وظلماً أصغر وفسقاً أصغر كما جاءَ هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن طاوس وجماعة من السلف

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٦/٤٥٧).

الصَّالِحُ وَهُوَ الْمُعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَاللَّهُ وَلِي التَّوْفِيقِ»^(١).

وانظر رسالة «فتنة التكفير» للعلامة الألباني، تقرير العلامة ابن باز، وتعليق فضيلة الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله عليهم جميعاً- ثم قارن كلام هؤلاء الأعلام من أئمة الزمان بكلام الأعلام من السلف، وانظر هل خالفوهم في شيءٍ من أصولهم وكلامهم؟! فإن بذلك تعلم حقيقة تلك التهم التي رمي بها هؤلاء الأعلام.

ولا يخفى عليك أن الطعن في العلماء من صفات الخوارج، وللخوارج صفات عديدة تجمعهم في كل زمان ومكان، ولتعلم هذه الصفات إليك أولاً نشأة الخوارج ومقاتلتهم في الفصل القادم -بإذن الله-، والله الموفق والمستعان.



(١) «فتاوي مهمة لعموم الأمة» (ص ١٤٢).



نَسَاءُ الْخَوَارِجِ الْأُولَى

قال الإمام الأجرى رحمه الله: «لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة الله تعالى ولرسوله عليه السلام، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، ويُظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهودون^(١)، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي عليه السلام، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان».

والخوارج هم الشرارة الأنجال الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديماً وحديثاً^(٢)، وينخرجون على الأئمة والأمراء ويستحلون قتل المسلمين.

فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله عليه السلام: هو رجل طعن على رسول الله عليه السلام، وهو يقسم الغنائم، فقال: أعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال عليه السلام: «وبيلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟» فأراد عمر رضي الله عنه قتله، فمنعه النبي عليه السلام من قتله وأخبر: «أن هذا وأصحابه يحرق أحدكم صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين» وأمر في غير حديث بقتالهم، وبين فضل من قتلهم أو قتلوا.

(١) وسيأتي - إن شاء الله تعالى - من ذلك الشيء الكثير، وفيه من العجب العجاب!

(٢) الإمام الأجرى رحمه الله من علماء القرن الرابع الهجري؛ أي: بعد ظهور الخوارج بقرن، ولم يقل إن مذهب الخوارج مضى وانقضى؛ كما يروج الأفاكون! وأنى له ذلك وهم باقون إلى آخر الزمان كما صرحت بذلك النبي عليه السلام في غير ما حديث منها «ينشأ نساء يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع حتى يخرج في أعراضهم الدجال». (السلسلة الصحيحة) (٢٤٥٥)

ثم إنهم خرجوا بعد ذلك من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقد اجتهد أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم من كان بالمدينة في ألا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك صلوات الله عليه وسلم ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يرضوا بحكمه، وأظهروا قولهم وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال علي رضي الله عنه: كلمة حق أرادوا بها الباطل. فقاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي صلوات الله عليه وسلم بفضل من قتلهم أو قتلوا، وقاتل معه الصحابة فصار سيف علي رضي الله عنه في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة»^(١). أهـ.

فهؤلاء كلما قطع منهم قرن خرج آخر حتى يخرج الدجال في عراض آخرهم. وعلى ما مضى فإننا إذا أردنا أن نتكلم عن نشأة الخوارج الأول لابد من العودة إلى بدء الظاهرة قبل الحديث عن انتشارها؛ فشمة فرق بين البدء والانتشار.

في بدء الخوارج كان حيناً قسم رسول الله صلوات الله عليه وسلم قسماً، فأئمته ذو الخويصرة، وهو رجل من بنى تميم، فقال: يا رسول الله أعدل، فقال صلوات الله عليه وسلم: «وilyك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله، أئذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: «دعه، فإن له أصحاباً يحرق أحدهم صلاتهم مع صلاتهم، وصيامهم مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدحه، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفrust والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس»^(٢).

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بعث علي رضي الله عنه إلى النبي صلوات الله عليه وسلم

(١) «الشريعة» (١٩٠ / ١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٦١٠)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

حَقِيقَةُ تَطْلِيمِ الدَّوْلَةِ رَاعِشٌ

بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعبيبة بن بدر الفزارى، وزيد الطائى، ثم أحد بنى نبهان، وعلقمة بن علادة العامرى، ثم أحد بنى كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: «إنما أتألفهم». فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجتتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق^(١)، فقال: أتق الله يا محمد^(٢) ، فقال: «من يطع الله إذا عصيت؟ أيامنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني» فسأله رجل قتلته، - أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه، (وفي رواية أخرى زيادة قال: «لا، لعله أن يكون يصلي» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»^(٣) فلما ولـ^(٤) قال: «إن من ضئضي هذا -أو: في عقب هذا - قوماً

(١) تأمل أيها القارئ الكريم في هذه الصورة، وفيما تراه من صور أحفاده تجدهم حقاً خرّجوا من ضيّصته ! (نسله) !

(٩) انتبه هنا إلى أمر يزن:

الأول: أنه لم يقل أعطني من المال كما أعطيتهم، ولكن أظهر شغفه إلى المال في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا الخوارج في كل زمان ومكان يظهرون ما هم عليه من الباطل واتباع الموى في صورة الحق.

الثاني: سوء الأدب عند الخوارج جيئاً وطعنهم في ولادة الأمر من العلماء والأمراء جميعاً، وهذا ظاهر جداً في قوله: «اتق الله» وتأمل يقوها لرسول الله ﷺ ثم يقول له: «اعدل» ثم في قوله: «يا محمد»، فإنه وقع في مخالفة أمر الله ﷺ حيث قال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَنْكِحُكُمْ كَذَّابًا بَعْضَكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلَوْنَكُمْ مِنْكُمْ لِوَادِأَ فَلَيَحْدُرَ الَّذِينَ يَخْالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبُهُمْ فَتَنَّهُ أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٦٣].

(٣) وتأمل في منهج النبوة من معاملة الناس بالظاهر والله يتولى السرائر، لا منهاج الخوارج الذين يزعمون
-بلسان حافظ - أنهم أعلم بما في القلوب الناس!

(٤) فيه دليل ظاهر على جواز غيبة أهل الفجور والبدع تحذيرا من شرهم وعظيم ضررهم، لا سيما الخوارج المارقين، والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة. انظر في ذلك الفرق بين النصيحة والتغيير للحافظ ابن رجب -رحمه الله-، وكذلك إجماع أهل العلم على وجوب الهجر والتحذير من أهل البدع والآهواء للدكتور خالد الظفري حفظه الله.

يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتم لأقتلهم قتل عاد»^(١).

وعند الإمام أحمد عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه: أن نبي الله ﷺ مر برجل ساجد - وهو ينطلق إلى الصلاة - فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد، فقام النبي ﷺ فقال: من يقتل هذا؟ فقام رجل فحسر عن يديه فاختلط سيفه وهزه ثم قال: يا نبي الله! بأبي أنت وأمي كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؟ ثم قال: «من يقتل هذا؟» فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه واختلط سيفه وهزه حتى ارعدت يده فقال: يا نبي الله! كيف أقتل رجلاً ساجداً يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قتلتكموه لكانت أول فتنة وآخرها».

وفي رواية عند أحمد أيضاً: «إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، حتى يعود السهم في فوقه، فاقتلوهم، هم شر البرية»^(٢).

وعن أنس بن مالك قال: كان فيما شاب ذو عبادة وزهد، (وفي رواية: فذكروا له من قوته في الجهاد والاجتهد في العبادة) (وفي رواية: رجل حسن السمت ذكروا من أمره أمراً حسناً) فوصفناه للنبي ﷺ، وسميناها باسمه، فلم يعرفه، فبينا نحن كذلك إذ أقبل، فقالنا: يا رسول الله هو ذا، فقال: «إني لأرى على وجهه سفعة من الشيطان»^(٣) فجاء فسلم على القوم، فردوا السلام، فقال له رسول الله ﷺ: «أجعلت في نفسك أن

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٣٤٤)، ٣٣٥١، ومسلم برقم (١٠٦٤).

(٢) أخرجهما الإمام أحمد الأولى (٤٢/٥)، والثانية (٣/١٥)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني رحمه الله (٢٤٩٥).

(٣) ولذلك فإن أهل العلم لا ينخدعون بما يظهر من هؤلاء من زهد وعبادة وجد واجتهد، وما يتغذون به من الدعوة إلى الجهاد والقوة فيه! وإنما يزبونهم بميزان النبوة ويكتشفون أمرهم ب بصيرة السنة، لأن الجد والاجتهد والزهد والعبادة إن لم يكن على منهاج النبوة فلا عبرة به، فليت الناس تعلم ذلك جيداً.

ليس في القوم أحد خير منك؟^(١) قال: نعم، ثم ولى، فدخل المسجد، فقال رسول الله ﷺ: «من يقتل الرجل؟»^(٢) فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلي فقال أبو بكر: وجدته يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال «من يقتل الرجل؟» فقال عمر رض: أنا يا رسول الله فدخل المسجد فوجده ساجداً، فقال: «أقتل رجلاً يصلي وقد نهانا عن ضرب المصلين» فجاء، فقال له النبي: «مه يا عمر» قال وجدته ساجداً، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، (وفي رواية: أنه قال لكل من أبي بكر وعمر «جلس فلست بصاحب») ثم قال: «من يقتل الرجل؟» فقال علي رض: أنا، فقال: «أنت قتله إن وجدته»^(٣) ، فذهب علي فجاء فقال له النبي رض: «مه يا علي»

(١) وتأمل في كبر هؤلاء الخوارج وما انطوت عليه أنفسهم من العجب؛ فهذا أول قرن ظهر منهم لا يرى أحداً خيراً منه مع أن فيه رسول الله ﷺ! فكيف بمن سواه؟ وهذا الأمر ملاحظ في الخوارج في كل زمان، ويكتفي تل ذلك الصور التي تفرض نفسها على مخيلتك الآن وأنت تقرأ هذا الكلام، كصورة أيمان الظواهري، وأبي محمد المقدسي، وأبي قتادة الفلسطيني وأبي بكر البغدادي وأبي محمد العدناني، أنس يرون أنهم المسلمون ومن سواهم كفار مجرمون! فماذا تنتظر منهم؟!

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فاما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج؛ كالحرورية والرافضة ونحوهم؛ فهذا فيه قولان للفقهاء هما روایتان عن الإمام أحمد. وال الصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم؛ كالداعية إلى مذهب ونحو ذلك من فيه فساد. فإن النبي ﷺ قال: «أينما لقيتموه فاقتلوهم».

وقال: «لن أدرككم لأنتم قتل عاد» وقال عمر لصبيخ بن عسل: «لو وجدتك مخلقاً لضررت الذي فيه عيناك». ولأن علي بن أبي طالب طلب أن يقتل عبد الله بن سباء أول الرافضة حتى هرب منه. ولأن هؤلاء من أعظم المفسدين في الأرض. فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلو ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول أو كان في قتله مفسدة راجحة، وهذا ترك النبي ﷺ قتل ذلك الخارجي ابتداء «لثلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» ولم يكن إذ ذاك فيه فساد عام؛ وهذا ترك على قتلهم أول ما ظهروا، لأنهم كانوا خلقاً كثيراً وكانوا داخلين في الطاعة والجماعة ظاهراً لم يحاربوا أهل الجماعة ولم يكن يتبيّن لهم هم» اهـ.

(٣) تأمل -بارك الله فيك- في أنه لو أدركه قتله «ساجداً» «يصلي»؛ فهي خاتمة في ظاهرها حسنة-وعادة الخوارج قدّيماً وحديثاً التغنى بالظواهر والخواطيء! -، ولكن أخبر النبي ﷺ أنهم «شر الخلق والخليقة» «شر قتلى تحت أديم السماء» «كلاب أهل النار»... إلخ، فلا تغتر بالظواهر طالما كان المنهاج منهاجاً

قال: وجدته قد خرج، فقال: «أما إنك لو قتلته لكان أولهم وآخرهم، وما اختلف من أمتى اثنان»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا جلوسا ننتظر رسول الله ﷺ، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله، فتخلف عليها على يخصفها، فمضى رسول الله ﷺ ومضينا معه، ثم قام يتضرر، وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن، كما قاتلت على تنزيله، فاستشر فنا وفيينا أبو بكر وعمر، فقال: لا، ولكنه خاصف النعل» يعني علياً رضي الله عنه قال: فجئنا نبشره، قال: وكأنه قد سمعه^(٢).

وقد حذر منهم رضي الله عنه بوصفهم الكاشف لهم بقطع النظر عن اسمهم ونسبتهم، ليعلم الحكم كل من تلبس بما كان سبباً في هذا الحكم، أيًّا كان اسمه أو نسبته. فعن أبي سلمة وعطاء بن يسار: أنها أتياً أباً سعيد الخدري، فسألاه عن الحروريه: أسمعت النبي ﷺ؟ قال: لا أدرى ما الحروريه؟ سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرن صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوتهم - أو: حناجرهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه، إلى نصله، إلى رصافه، فيتمارى في الفوقة، هل علق بها من الدم

وفي قوله تعالى رضي الله عنه: «أنت تقتله إن وجدته» وكذلك ما بعده، أنهم يخرجون في عهد علي رضي الله عنه وأنه قاتلهم وهذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم.

(١) الآجري في «الشريعة» (٥٠)، و«معجم ابن المجرى» (٤١)، و«الأحاديث المختارة» للضياء المقدسي (٢٤٩٩).

وقال: إسناده صحيح، وعند أبي نعيم في الحلية (٣/٢٥٠)، والبزار «كشف الأستار» (١٨٥١)، وانظر: «جمع الزوائد» (١٠٣٩٩، ١٠٤٠١، ١٠٤٠٠).

(٢) أخرجه النسائي في «خصائص علي» (ص ٢٩)، وابن حبان (٢٢٠٧)، وصححه الألباني في «الصحيح» (٢٤٨٧).

(١) شيء؟» .

وكان من أسباب ضلالهم وانحرافهم أنهم يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه. فعن مُقْسِم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلايب اللبيسي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف باليت، معلقاً نعليه بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين يكلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، أقبلَ رجل من بني تميم، يقال له: ذو الخويصرة، فوقف على رسول الله ﷺ وهو يعطي الناس، قال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل، فكيف رأيت؟»، قال: لم أرك عدلت! قال: فغضب رسول الله ﷺ، ثم قال: «ويحك، إن لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا تقتله؟ قال: «لا، دعوه، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين، حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدر فلا يوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء، سبق الفرج والدم»^(٢). ومن أسباب ضلالهم أنهم قوم يقابلون النصوص بآرائهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة، كما فعل كبارهم وجدهم الأول ذو الخويصرة التميمي لما قابل فعل النبي ﷺ بعقله ورأيه فقال: «اعدل»!

وبهذا كان يعرفهم الصحابة رضي الله عنه فعن معاذة: «أن امرأة سالت عائشة فقالت: ما بال الحائض تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحبرورية أنت؟ قالت: لست بحبرورية ولكنني أسأل، قال: كان يصيغنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة»^(٣).

(١) آخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٦٩٣١).

(٢) آخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٧٠٣٨)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٣) آخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٣٢١)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٣٣٥) واللفظ للإمام مسلم.

وأما الانتشار فكان في الفتنة الكبرى بعد مقتل عثمان رض وكان ذلك في عهد علي رض حتى أعلن الخوارج ذلك في سنة سبع وثلاثين هجرية، وهو أول افتراق معلن في الأمة وكان ذلك في العراق، وهم باقون فيها يخرجون بين الحين والآخر كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج في عراض آخرهم الدجال، وقد أخبر عن ذلك النبي صل فعن ابن عمر رض قال: أنه سمع رسول الله صل وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان»^(١)

وعن يُسِيرَ بن عمرو، قال: دخلت على سهيل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله صل في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله صل: «يذكر قوماً يخرجون من هاهنا» - وأشار بيده نحو العراق «يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رض، عن النبي صل قال: «يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه»، قيل: ما سيأهله؟ قال: «سيماهم التحليق - أو قال: التسبيد»^(٤).

وفي رواية أبي داود: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم

(١) آخرجه البخاري في «صححه» برقم (٧٠٩٣)، ومسلم في «صححه» برقم (٢٩٠٥).

(٢) نعم صحيح بارك الله فيك! هو ما خطر بيالك، فالفتنة تخرج من جهة المشرق «العراق» وما حولها! وقد وقع ما أخبر عنه صل، فنحن نرى الفتنة تخرج اليوم بعد اليوم من المشرق، حتى يخرج الدجال في عراضهم من جهة المشرق أيضاً، ومن آخر مارأينا هذه الفتنة التي نحن بصددها الآن! فهذا من أعلام نبوته صل.

(٣) آخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٩٧٧)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٤) آخرجه البخاري في «صححه» برقم (٧٥٦٢).

من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخلقة طوبى لمن قتلهم وقتلوا، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله، ما سبباهم؟ قال: «التحقيق»^(١).

وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بعدي من أمتي - أو: سيكون بعدي من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخلقة»^(٢).

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب ببرها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها^(٣)، ولا يفي لذى عهد عهده، فليس مني ولست منه»^(٤).

وقد أخبر النبي ﷺ: «أن آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقه من الناس»^(٥).

وقد وقع ما أخبر عنه ﷺ: كما أخبر، فقد أخرج الإمام مسلم رحمه الله عن عبيد الله

(١) أخرجه أبو داود في سنته، برقم (٤٧٦٥)، وصححه العلامة الالباني - رحمهما الله -.

(٢) أخرجه مسلم في «صححه» برقم (١٠٦٧).

(٣) قال ابن حزم في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/١٤٤) ط/الخانجي عن الأزارة من الخوارج: «... وأباحوا دم الأطفال من لم يكن في عسكرهم، وقتل النساء أيضاً من ليس في عسكرهم» اه، ولذلك أحفادهم من الخوارج المعاصرين يبيحون التفجيرات رغم أنها تقتل من ليس أهلاً للقتل كالنساء والشيوخ والذرية، بل ويصرحون بجواز قتل النساء والشيوخ والذرية كما في فتوى أبي قنادة الفلسطيني وهو من منظري التكفير والتفسير في العصر الحديث (مجلة الأنصار العدد ٩٠ ص ١٠)، وليس عنا بعيد أحداث الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي ولا أحداث سوريا والعراق الآن نسأل الله أن يسلم المسلمين من كل مكروه وسوء.

(٤) أخرجه مسلم في «صححه» برقم (١٨٤٨).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٦١٠)، ومسلم برقم (١٠٦٤).

بن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ: أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، «يقولون الحق بأسنتهم لا يجوز هذا، منهم، وأشار إلى حلقة - من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود، إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي» فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت، مرتين أو ثلاثة، ثم وجده في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي عليهم، زاد يونس في روايته: قال بكر: وحدثني رجل عن ابن حنين أنه، قال: رأيت ذلك الأسود^(١).

والذي قال: «لا حكم إلا لله» هما زرعة بن البرح الطائي، وحرقوص بن زهير السعدي من الخوارج، وذلك لما امتنع علي عن موافقتهما على نقض العهد، فقال زرعة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلك أطلب وجه الله. فقال علي: بوسأ لك، كأني بك قتيلاً تسفي عليك الرياح قال: لوددت لو كان ذلك، وخرجا من عنده يناديان: «لا حكم إلا لله». وخطب علي يوماً كاملاً فتندوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة، فقال علي:

«الله أكبر، كلمة حق أريد بها باطل»^(٢).

وعن سلمة بن كهيل قال: حدثني زيد بن وهب الجهنمي: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضي الله عنه: أيها الناس، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءة تكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من

(١) أخرجه مسلم في «صححه» برقم (١٠٦٦).

(٢) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (٢/١١١).

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»، لو يعلم الجيش الذين يصيّبُونَهم، ما قضى لهم على لسان نبيِّهم ﷺ، لا تكلوا عن العمل، «وآية ذلك أنَّ فيهم رجالٌ هُم عَضُدٌ، وليس له ذراعٌ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم^(١) وأموالكم، والله إنِّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنَّمَا قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس^(٢)، فسيراً و

(١) هذا دأب الخوارج قديماً وحديثاً قتل الأطفال «أطفال المسلمين»! انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص ١٧٠) ت محيي الدين عبد الحميد.

(٢) لا يتحاشون من بر ولا فاجر، ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى! وانظر إلى أبي بكر البغدادي في كلمة صوتية بعنوان «ولو كره الكافرون» يقول: «يا جنود الدولة الإسلامية امضوا في حصاد الأجناد، فجرروا برائين الجهاد في كل مكان، وأشعلوا الأرض ناراً على كل طواغيت الأرض وجنودهم وأنصارهم». اهـ.

وقال متهدthem العدناني في كلمة له بعنوان «إنَّ ربَّك لِبِالمرصاد»: «فهيَا أَهْبَاهُ الْمُوْحَدُ.. لَا تفوتك هذه المعركة أينما كنت، عليك بجنود وأنصار الطواغيت وعساكرهم وشرطهم وعنابر أنفسهم ومباحthem وعملائهم، قُضِيَّ مضاجعهم، ونُغَصَّ عَلَيْهِمْ عِيشَهُمْ، وأشغلَهُمْ بِأَنفُسِهِمْ.

فإذا قدرت على قتل كافر أمريكي أو أوربي، وأخص منهم الفرنسيين الحاقدين الأنجلوس، أو أسترالي أو كندي، أو غيره من الكفار المحاربين، رعايا الدول التي تحالفت على الدولة الإسلامية، فتوكل على الله، واقتله بأي وسيلة أو طريقة كانت، ولا تشاور أحداً ولا تستفت أحداً، سواء أكان الكافر مدِّيًّا أو عسكرياً، فهم في الحكم سواء، كلاهما كافر، كلاهما محارب، كلاهما مباح الدم والمال، فإنَّ الدم لا تعصم أو تباح بالملابس، فلا الذي المدْنِي يعصم الدم، ولا البزة العسكرية تبيحه، وإنما يعصم الدم وبيح بالإسلام والأمان، وبيح بالكافر، فمن سمي مسلماً، عصم دمه وماله، ومن سمي كافراً، فما له حلال على المسلمين، ودمه مهدور مستباح، دمه دم كلب لا إثم فيه، ولا دية عليه... أتدع الأمريكي أو الفرنسي أو أي من حلفائهم يمشي على الأرض آمناً وجوش الصليب تدك بطائراته بلاد المسلمين لا تفرق بين مدني أو عسكري؟!.. فإنَّ عجزتَ عن العبوة أو الرصاصية، فاستفرد بالأمريكي أو الفرنسي الكافر، أو أي من حلفائهم، فارضخ رأسه بحجر أو انحره بسكين، أو ادهسه بسيارتك أو ارميه من شاهق، أو اكتم أنفاسه أو دس له السم، فلا تعجز أو تهين، ول يكن شعارك: لا نجوت إن نجا عابد الصليب ناصر الطاغوت.

فإن عجزت فاحرق منزله، أو سيارته أو تجارتة، أو أتلف زراعته، فإن عجزت، فابصق في وجهه! فإن أبت

على اسم الله.

قال سلمة بن كهيل: فنزلني زيد بن وهب منزلًا، حتى قال: مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح، وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن ينادوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيّب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال على رض: التمسوا فيهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه، فقام على رض بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروهם، فوجدوه ما يلي الأرض، فكبّر، ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: يا أمير المؤمنين، الله الذي لا إله إلا هو، لسمعت هذا الحديث من رسول الله صل? فقال: إني، والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثة، وهو يحلف له^(١)

ثم ذهب إليهم ابن عباس ليناظرهم ويبطل حججهم فعن ابن عباس رض قال: «لما خرجت الحروية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رض وأصحاب محمد صل معه.

قال: فجعل الرجل يأتيه يقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون.

فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاحة فإني أريد أن أدخل عليهم فأسمع من كلامهم وأكلّمهم، فقال علي: أخشى عليك منهم، قال: قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً.

قال: فلبست أحسن ما يكون من اليمنية وترجلت ثم دخلت عليهم وهم

نفسك ذلك وإنوْنك يتصفون ويقتلون، وتستباح دمائهم وأموالهم في كل مكان، فراجع دينك! فإنك على خطأ عظيم؛ لأنك لا يقوم الدين بغير الولاء والبراء».

(١) أخرجه مسلم في «صححه» برقم (١٠٦٦).

َفَقِيهَةُ نَظِيمِ الدَّرَلَهِ رَاعِشَ

قائلون^(١) ، فقالوا لي: ما هذا اللباس؟ فتلوت عليهم القرآن: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، ولقد رأيت رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما يكون من اليمنية، فقالوا: لا بأس، فما جاء بك؟

فقلت: أتيتكم من عند صاحبي، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وخته، وأصحاب رسول الله ﷺ أعلم بالوحي منكم، وعليهم نزل القرآن، وليس فيكم منهم أحد، أبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم، فما الذي نقمتم؟ فقال بعضهم: إن قريشاً قوم خصومون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِّمُونَ﴾^(٢) [الزخرف: ٥٨].

قال بعضهم: كلموه، فانتحى لي رجالان منهم أو ثلاثة، فقالوا: إن شئت تكلمت وإن شئت تكلمنا، فقلت: بل تكلموا، فقالوا: ثلات نقمناهن عليه، جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأనعام: ٥٧].

فقلت: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأربن، وفي المرأة وزوجها: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، أخرجت من هذه؟

قالوا: نعم.

قالوا: وأخرى معاً نفسه أن يكون أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فأمير الكافرين هو.

وقاتل ولم يسب ولم يغم، لئن كانوا كفاراً لقد حلت أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرم عليه دمائهم.

فقلت لهم: أرأيتم إن قرأتُ من كتاب الله عليكم وجئتكم به من سنة رسول الله

(١) من القيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، يقال «قال يقيل قيلولة؛ فهو قائل».

(٢) وهذه الآية إنما نزلت في كفار قريش من خاصصوا النبي صلى الله عليه وسلم، فجعلها الخارجي الحديث في ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنه وهو ترجمان القرآن وحرب الأمة، ومن هنا تعلم موطن العفن التكفيري كما قاله ابن عمر رضي الله عنهما.

أَتْرَجُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَلْتَ: قَدْ سَمِعْتُمْ أَوْ أَرَاهُ قَدْ بَلَغْتُمْ، أَنَّهُ لَمَا كَانَ يَوْمُ الْحَدِيبِيَّةِ جَاءَ سَهْلِيْلُ بْنُ عَمْرُو إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعْلِيَّ: «اَكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحْتُ عَلَيْهِ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمْ أَنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ نَقَاتِلْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعْلِيَّ: «امْحْ يَا عَلِيَّ» فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَفْضَلُ مَنْ عَلَيْهِ، وَمَا أَخْرَجَهُ مِنَ النَّبِيَّةِ حِينَ مَحَانَفْسَهُ، أَفْخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: وَأَمَا قَوْلَكُمْ قُتْلَ وَلَمْ يَسْبَ وَلَمْ يَغْنِمْ أَفْتَسِبُونَ أَمْكُمْ وَتَسْتَحْلُونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحْلُونَ مِنْ غَيْرِهَا؟! إِنْ قَلْتُمْ نَعَمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَكُلُّمَا جَئْتُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَقُولُ: أَفْخَرَجْتُ مِنْهَا: فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، قَالَ: فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانَ وَبَقِيَ أَرْبَعَةَ آلَافَ فَقَتَلُوا عَلَى ضَلَالَةِ^(١).

وَفِي أَثْرٍ هُوَ أَكْثَرُ فَائِدَةً مَا مَضِيَ فَتَأْمِلُهُ، وَهُوَ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ بْنِ خُثْيَّمِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَادِ بْنِ الْهَادِ قَالَ: «قَدَمْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَبَيْنَا نَحْنُ جَلُوسٌ عَنْدَهَا مَرْجِعُهَا مِنَ الْعَرَاقِ لِيَالِي قُتْلَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا قَالَتْ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شَدَادَ، هَلْ أَنْتَ صَادِقٌ عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ؟ حَدَثَنِي عَنْ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قُتْلُوهُمْ عَلَيَّ، قَلْتَ: وَمَا لِي لَا أَصْدِقُكَ، قَالَتْ: فَحَدَثَنِي عَنْ قَصْتَهُمْ، قَلْتَ: إِنْ عَلِيًّا لَمَّا أَنْ كَاتَبَ مَعَاوِيَةَ وَحَكَّمَ الْحَكَمَيْنِ خَرَجَ عَلَيْهِ ثَمَانِيَّةَ آلَافَ مِنْ قِرَاءِ النَّاسِ، فَنَزَلُوا أَرْضًا مِنْ جَانِبِ الْكُوفَةِ يَقَالُ لَهَا: حَرَرَاءُ، وَإِنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ، فَقَالُوا: اَنْسَلَخَتْ مِنْ قَمِيصِ أَبْسَكِهِ اللَّهُ وَأَسْمَاكُهُ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فَحَكَّمَتْ فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ.

فَلَمَّا أَنْ بَلَغَ عَلِيًّا مَا عَتَبُوا عَلَيْهِ وَفَارَقُوهُ، أَمْرَ فَأَذْنَ مَؤْذَنَ: لَا يَدْخُلُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا أَنْ امْتَلَأَ مِنْ قِرَاءِ النَّاسِ الدَّارِ، دَعَا بِمَصْحَفٍ عَظِيمٍ فَوْضَعَهُ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ يَدِيهِ فَطَفَقَ يَصْكِهِ بَيْدِهِ وَيَقُولُ أَيْهَا الْمَصْحَفُ حَدَثَ النَّاسُ، فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا تَسْأَلُهُ عَنْهُ، إِنَّهَا هُوَ وَرَقٌ وَمَدَادٌ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ

(١) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقَ فِي «الْمَصْنُفِ» (١٥٧/١٠)، وَأَبُو نَعِيمَ فِي «الْخَلِيلِ» (٣١٨/١) وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الْكَبْرَى» (١٧٩/٨)، وَغَيْرُهُمْ.

بما روينا منه فماذا تريده؟ قال: أصحابكم الذين خرجوا ببني وبيتهم كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ حَفَّتْ سِقَافَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكْمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] فأمّة محمد ﷺ أعظم حرمة من امرأة ورجل.

ونعموا على أنّي كاتبت معاوية وكتبت على بن أبي طالب، وقد جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحدّيّة حين صالح قومه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال: سهيل لا تكتب باسم الله الرحمن الرحيم، قلت: فكيف أكتب؟ قال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبها»، ثم قال: «اكتب من محمد رسول الله ﷺ»، فقال: لو نعلم أنك رسول الله لم نخالفك، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً، يقول الله في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبعث إليهم علي بن أبي طالب ﷺ عبد الله بن عباس رض، فخرجت معه حتى إذا توسطنا عسكراً لهم قام ابن الكواه خطيب الناس، فقال: يا حملة القرآن إن هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه، فأنا أعرفه من كتاب الله، هذا من نزل فيه وفي قومه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَاصِمُونَ﴾ ٥٨، فردوه إلى صاحبه ولا توضعوه كتاب الله ﷺ، قال: فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإذا جاءنا بحق نعرفه اتبعناه، ولئن جاءنا بالباطل لننكتنه بباطله، ولنردنه إلى صاحبه، فواضعوه على كتاب الله ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب^(١)، فأقبل بهم ابن الكواه حتى أدخلهم على رض.

فبعث علي إلى بقيتهم فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم، قفوا

(١) في رواية ابن عباس رض السابقة عدد التائبين «ألفان»، وهذا في رواية عبد الله بن شداد «أربعة ألف» والجمع ميسور والله الحمد والمنة، فابن عباس يتكلّم عن ابتداء أمر توبتهم، وابن شداد يتكلّم عن انتهاءه، والعلم عند الله تعالى.

حيث شئتم حتى تجتمع أمة محمد ﷺ وتنزلوا فيها حيث شئتم، بينما وبينكم أن نقلكم رماحنا ما لم تقطعوا سبيلاً وتطلبو دمًا، فإنكم إن فعلتم ذلك، فقد نبذنا إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين، فقالت عائشة ؓ يا بن شداد فقد قتلهم؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدماء وقتلو ابن خباب، واستحلوا أهل الذمة^(١)، فقالت: الله؟ قلت: الله الذي لا إله إلا هو لقد كان، قالت: فما شيء بلغني عن أهل العراق يتحدثون به يقولون: ذو الثدي ذو الثدي؟ قلت: قد رأيته ووقفت عليه مع علي ؓ في القتال، فدعا الناس فقال: هل تعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجدبني فلان يصلني، ورأيته في مسجدبني فلان يصلني، فلم يأتوا بثبت يعرف إلا ذلك، قالت: فما قول علي حين قام عليه كما يزعم أهل العراق؟ قلت: سمعته يقول: صدق الله ورسوله، قالت: فهل سمعت أنت منه قال غير ذلك؟ قلت: اللهم لا، قالت: أجل صدق الله ورسوله، يرحم الله علياً، إنه من كلامه كان لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال: صدق الله ورسوله^(٢).

وعن سعيد بن جمهان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان، قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلت الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله ﷺ «أنهم كلاب النار»، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بل الخوارج كلها. قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة، ثم قال: ويحك يا ابن جمهان عليك بالسود الأعظم، عليك

(١) نعم أنها القارئ الليب نعلم أن ذاكرتك تلح عليك بالرجوع إلى ما قاله أبو عمر البغدادي في عقيدتهم من قوله: «الثاني عشر: نرى أن طوائف أهل الكتاب وغيرهم من الصابئة ونحوهم في دولة الإسلام اليوم أهل حرب لا ذمة لهم، فقد نقضوا ما عاهدوا عليه من وجوه كثيرة لا حصر لها، وعلىه إن أرادوا الأمان والأمان فعليهم أن يجدوا عهداً جديداً مع دولة الإسلام وفق الشروط العمدية التي نقضوها».

(٢) أخرجه الحاكم (١٥٢/٢)، وعنه البيهقي (١٧٩/٨)، وأحمد (١٨٠-١٧٩)، وأبي رافع (٨٦-٨٧)، وصححه الألباني في «الصحيح» (٢٤٥٩).

بالسود الأعظم إن كان السلطان يسمع منك، فأئته في بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك، وإن فدعيه، فإنك لست بأعلم منه^(١).

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال: سمعت أبا غالب يقول: لما أتي برؤوس الأزارقة فنصبت على درج دمشق، جاء أبو أمامة فلما رأهم دمعت عيناه فقال: «كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلوا تحت أديم السماء، وخير قتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء». قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام، قال: قلنا: أبرأيك قلت: هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: إني لجريء بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا اثنين ولا ثلاث قال: فعد مراراً^(٢).

وفي رواية عند ابن ماجه عن أبي أمامة يقول: «شر قتلوا قتلوا تحت أديم السماء وخير قتيل من قتلوا كلاب أهل النار» قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً، قلت: يا أبي أمامة هذا شيء تقوله؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ^(٣).

فإذا علمت النشأة والانتشار؛ فاعلم أن هؤلاء لهم وارثون في كل زمان إلى قيام الساعة يتصرفون بما يتصف به هؤلاء الخوارج الأول، وأنهم كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في عراضهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن سمع رسول الله ﷺ يقول: «ينشأ نساء يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع حتى يخرج في أغراضهم الدجال»^(٤).

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (١٩٤١٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» برقم (٢٢١٨٣).

(٣) سنن ابن ماجه (١٧٦) وحسنه العلامة الألباني في «المشكاة» (٣٥٥٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (١٧٤)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٥٥).

قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(١).
وهؤلاء جميعاً في كل زمان ومكان تجمعهم صفات واحدة وتأمل في قول النبي
صلى الله عليه وسلم: «يخرج في آخر الزمان»، فوصفهم بما وصف به أول الخارجين
كما مر معنا ويأتي أيضاً -إن شاء الله-.

ومن أهم الصفات التي تجمعهم: اتباعهم للمتشابه فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا
رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ مِنْهُ إِيَّاكَ مُحَمَّدٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَبِ
وَآخَرُ مُتَشَكِّهِتُ فَمَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبَغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ أَبْيَاعَةُ الْفِتْنَةِ وَأَبْيَاعَةُ تَأْوِيلِهِ
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِمَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رأَيْتُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا
تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سُمِّيُّوا اللَّهُ فَاحْذِرُوهُمْ»^(٢).

قال سعيد بن جبیر: «أما المتشابهات: فهن آی في القرآن يتشاربهن على الناس إذا
قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل من ادعى هذه الكلمة، كل فرقه يقرؤون آيات
من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، وما تتبع الحروريه من المتشابه قول
الله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [٤٤]، ويقرؤون معها:
﴿ شَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ ﴾ [١] [الأعراف: ١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق
قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون

(١) أخرجه الترمذى في «سننه» (٢١٨٨) وغيره، وصححه الألبانى.

(٢) أخرجه البخارى في «صحيحه» برقم (٤٢٧٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم (٢٦٦٥).

فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتاؤلون^(١) هذه الآية^(٢).

فانظر إلى هذا الوفاق العجيب من هؤلاء الخوارج في أول الأمة وفي آخرها، فما قاله ﷺ في ذي الحویصرة وفي أتباعه وأصحابه، هو هو ما قاله في خوارج آخر الزمان، وعليه فإن هؤلاء الخوارج تجمعهم صفات مشتركة في كل زمان ومكان، وإن من المهم جداً أن نبين ما هي الصفات المشتركة بين الخوارج قدّيماً وحديثاً؟ ومن المعين على ذلك معرفة مقالاتهم وآرائهم أوّلاً، وبالله التوفيق.



(١) قال الشاطبي في «الاعتراض» (٤٩/٢) ط: ابن الجوزي السعودية: «ويمكن أن يكون من خفي هذا الباب-الجهل بكلام العرب-: مذهب الخوارج في زعمهم أنه لا تحكيم للرجال؛ استدلالاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فإنه مبني على أن اللفظ ورد بصيغة العموم، فلا يتحقق تخصيص، فلذلك أعرضوا عن قول الله تعالى: ﴿فَابْعُثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلَهَا﴾، قوله: ﴿يَحَكُمُ بِهِ دَوَادِعُكُمْ﴾، وإلا فلو علموا تحقيقاً قاعدة العرب في أن العموم يراد به الخصوص؛ لم يسرعوا إلى الإنكار، ولقالوا في أنفسهم: لعل هذا العام مخصوص! فيتاؤلون. وفي الموضع وجه آخر مذكور في موضع غير هذا. وكثيراً ما يوقع الجهل بكلام العرب في مخاز لا يرضي بها عاقل، أعاذنا الله من الجهل والعمل به بفضلـه. فمثل هذه الاستدلالات لا يُعبأ بها، وتسقط مكالمة أصحابها».

(٢) أخرجه الأجري في «الشريعة» (٤٤).

مقالات الخوارج وأصلهم الذي اجتمعوا عليه

إن الخوارج على اختلاف مقالاتهم أجمعوا على أصل واحد وهو: كفر من حكم بغير ما أنزل الله ووجوب الخروج عليه^(١)، وأن قتاله أولى من قتال الكفار الأصليين. قال شيخ الإسلام بعد ذكر حديث الخوارج: «فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً، ثم يرتبون على الكفر أحکاماً ابتدعواها.

فهذه ثلاثة مقامات للخارجين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية وفي «الصحيحين» في حديث أبي سعيد: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأواثان؛ لئن أدركتهم لاقتلهم قتل عاد» وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة ونحوهم؛ فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة - لاعتقادهم أنهم مرتدون - أكثر مما يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره^(٢).

قال عبد القاهر البغدادي، بعد ذكر بعض الخوارج الذين لا يكفرون بالذنوب: «وفي هذا بيان خطأ الكعبي في حكايته عن جميع الخوارج تكفيir أصحاب الذنوب كلهم منهم ومن غيرهم، وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ما حكاه شيخنا أبو

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين»، (ص ٤٢٠، ١٦٧)، ت: محيي الدين عبد الحميد، و«الفرق بين الفرق» (ص ٥٥)، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٤٩٧).

الحسن رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ تَكْفِيرِهِمْ عَلَيْهَا وَعَنْهَا وَأَصْحَابِ الْجُمْلِ وَالْحَكَمِينَ وَمَنْ صَوَبَهَا أَوْ صَوَبَ أَحَدَهَا أَوْ رَضِيَ بِالْتَّحْكِيمِ»^(١).

قال أبو الحسن الأشعري: «جماع رأي الخوارج: أجمعوا الخوارج على إكفار عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ حَكَمَ...»^(٢).

فالعلة «التحكيم» «الحاكمية» لا على نفسه، والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدماً، وعليه من كفر بالحاكمية والحكم فهو خارجي وإن لم يكفر عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالعامل المشترك بين الخوارج جميعاً هو مسألة الحكم والتحكيم!

ولذلك تأمل أيها القارئ الليبيب في أن الخوارج كانوا قوماً من المسلمين لا فرق بينهم وبين إخوانهم بل كانوا يسمون بالقراء فلما جاءت قضية التحكيم كفروا بها وانحازوا إلى حررواء وخرجوا فصاروا بذلك خوارج وأنزل عليهم عليّ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحاديث الخوارج ولم يكن منهم حينها غير قضية التكفير بالتحكيم؛ فانتبه لهذا جيداً وتذكر ما مضى ذكره من أصل الأصول عند داعش! ومن سبقها من القطبيين.

وأما التكفير بالكبيرة فإن الخوارج قد اختلفوا في ذلك، فإن «النجدات»^(٣) من الخوارج لا يكفرون بالكبيرة! ولم يحكموا مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، إلا مع الإصرار فمن أصر فقد كفر، ومن لم يصر وإن زنى وسرق وشرب الخمر فمسلم، واعجب أن النجدات تعذر بالجهل أيضاً!^(٤)، والإباضية أيضاً لا تكفر مرتكب الكبيرة

(١) «الفرق بين الفرق» (ص ٥٥).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (ص ١٧٧).

(٣) انظر: «مقالات الإسلاميين»، (ص ١٦٨)، و«الفصل في الملل والنحل» (٤/١٤٥).

(٤) وهذا هو عين قول أبي إسحاق الحويني؛ فهو خارجي؛ يقول: «إن المصر مستحلٌ» فكفر المصر على الكبيرة كما كفرته النجدات، فهو من هذه الجهة من النجدات، ومن جهة أخرى هو من الخوارج القاعدة؛ حيث إنه يبيح على الحكام ويزين الخروج عليهم، ولا يباشره بنفسه!

(٥) قال الأشعري في مقالاته (ص ١٧٥): «وعذروا -أي: النجدات- بالجهلات إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل وقالوا: الدين أمران: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسleه فوتريم دماء

كفر ملة وإنما كفر نعمة^(١)، ومع ذلك كله فهم خوارج، لشيء واحد تكفيرهم الحاكم وخروجهم عليه.

وأما قتال المسلمين جمِيعاً واستحلال دمائهم، فليس الخوارج جمِيعاً على هذا الأصل، بل من الخوارج من يرى قتال السلطان خاصةً ومن رضي بحكمه؛ فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أعن عليهم أو طعن في دينهم أو صار عوناً للسلطان أو دليلاً له، ولا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال في السر حتى يبعث الحرب، وهم الحمزية، والميمونية من العجارة^(٢).

ومن الخوارج العجارة فرقة تسمى «الأخنسية» يتوقفون عن جميع مَنْ في دار

المسلمين وأموالهم وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة؛ فهذا واجب، وما سوى ذلك فالناس معدورون بجهالتهم حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحال فمن استحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما لعله حرام؛ فمعدور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه». اهـ. ففرقوا بين الأصول والفروع في باب التكفير ولعلهم سبقوا في هذه الضلالية المعتزلة.

وهنا لنا وفتنان:

الأولى: أن من يفرق بين الأصول والفروع أو التوحيد والأحكام ونحو ذلك في التكفير والعذر بالجهل سلفه الخوارج والمعزلة كالحازمي والجربوع ومن لف لفهمها.

الثانية: أن قول هاني السباعي - وهو من ضلال الخوارج اللاجئين - كعادة الخوارج دائمًا - إلى بلاد الكفار - في ردّه على أبي محمد العدناني محاولةً لبرئته جماعته من القول بعدم العذر بالجهل؛ لا ينفعه؛ إذ أصل الخوارج الأصيل الحاكمية والخروج، ولو زعموا العذر بالجهل.

(١) «مقالات الإسلاميين»، (ص ١٨٤)، و«الملل والنحل» (١٣٥/١).

(٢) «مقالات الإسلاميين»، (ص ١٧٧)، و«الملل والنحل» للشهرستاني، (١٢٩/١) ط: الحلبي، ولعلك تذكر ما قاله أبو عمر البغدادي الأمير الأول لتنظيم الدولة، وما ذكره في عقيدتهم، قال: «الحادي عشر: نرى وجوب قتال شرطة وجيش دولة الطاغوت والردة وما انبثق عنهم من مسميات كحمامة المنشآت النفطية وغيرها، ونرى وجوب هدم وإزالة أي مبني أو مؤسسة تبين لنا أن الطاغوت سيتخذها مقراً له».

َفَقِيهَةُ نَظِيمِ الدَّلَّةِ رَاعِثُ

التقية من متاحلي الإسلام، وأهل القبلة، إلا من قد عرروا منه إيماناً فيتولونه عليه، أو كفراً فيتبرؤون منه لأجله، ويحرمون الاغتيال والقتل في السر^(١).

ومنهم الإباضية «زعموا أن الدار -يعنون دار مخالفهم - دار توحيد، إلا عسكر السلطان؛ فإنه دار كفر...»^(٢).

وقالوا: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكمتهم جائزه، ومواريثهم حلال، وغنميه أموالهم من السلاح والكرا白衣 عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسببيهم في السر غيلة، إلا بعد نصب القتال، وإقامة الحجة^(٣).
ومن الخوارج «الصفريةُ الزيادية» أصحاب زياد بن الأصفهاني، خالفوا الأئزة، والنجدات، والإباضية^(٤) في أمور منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يسقطوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين

(١) «مقالات الإسلاميين»، (ص ١٨٠)، و«الملل والنحل» (١/١٣٢)، ولعلك تذكر بذلك جماعة شكري مصطفى «التكفير والهجرة»، أو «التوقف والتبيّن»، فحقاً لكل قوم وارت!

(٢) وعليه فلا يغتر بقول بعض خوارج العصر: لا تکفر سوی الجيش أو الجيش والشرطة ومن عاونهم؛ كالخارجي! محمد عبد المقصود المصري؛ مع أنه بارك الديمقراطية، والحكم بغير ما أنزل الله إيان حكم الإخوان لمصر -حرسها الله من كل مكره وسوء-، ولا يغرنك قول رئيس من رؤس الخوارج أبي عمر البغدادي، يقول: «عاشرًا: ونعتقد أن الديار إذا علتها شرائع الكفر وكانت الغلة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي ديار كفر، ولا يلزم هذا أن نکفر ساكني الديار، وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته؛ فإننا نرى كفر وردة جميع حكام تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي...».اهـ. ففاق الإباضية ضلالاً؛ إذ جعلت الإباضية الديار» «دار توحيد، إلا عسكر السلطان؛ فإنه دار كفر»، وهؤلاء جعلوها جميعاً ديار كفر!

(٣) «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص ١٨٥)، و«الملل والنحل» (١/١٣٤)؛ وعليه فلا اغترار بقول أبي عمر البغدادي في: «رابعًا:... لكن تکفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليله في النار موقف على ثبوت شروط التکفير وانتفاء موانعه».

(٤) وهذا الخلاف لم يخرجهم عن كونهم جميعاً خوارج! فالخلاف الدائر بين هذه الجماعات التکفيرية والفصائل الخارجية؛ كالإخوان والقطبيين والقاعدة والنصرة وداعش وغيرهم لا يخرجهم عن كونهم جميعاً خوارج.

وتکفیرهم وتخلیدهم في النار، وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد وقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا، والسرقة، والقذف، فيسمى زانِا، سارقاً، قاذفاً، لا كافراً مشركاً^(١)، وقالوا: الشرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان، وشرك هو عبادة الأوّثان، والکفر کفران^(٢)، کفر بإنكار النعمة، وكفر بإنكار الربوبية، والبراء براءاتان، براءة من أهل الحدود، سنة؛ وبراءة من أهل الجحود فريضة^(٣).

فالخوارج مع اجتماعهم واتفاقهم على أصل تکفیر الحكماء والخروج عليهم، فقد كان بينهم اختلافات، وكان بعضهم يطعن في بعض، ويرمى بعضهم بعضاً بالضلالة؛ تارةً وبالکفر تاراتٍ، وكانوا يخرجون في أماكن متفرقة، وكان لكل جماعة، أو (فرقة) منهم فكرها وأسمها الخاص بها وبيان ذلك كما يلي^(٤).

كانت الخوارج تجمعهم ضلالٌ واحدٌ تکفیرٌ علىٰ ومعاويةٌ والحكَّامين وَالْمُنْتَهَى ومن رضي بالتحکيم من أجل التحکيم كما مر ذكره، ولهذا سموا بالمحَّكمة، فإنهم لما رجعوا إلى الكوفة انحازوا إلى حروراء؛ كعادة الخوارج في الانحياز والبعد عن المسلمين في الأماكن النائية والبعيدة لاسيما الصحراري والجبال^(٥)، ثم رفعوا شعارهم

(١) ولذلك فإن محاولة أبي عمر البغدادي فيما ذكر من عقيدتهم أن ينجو بجماعته وتنظيمه من الاصناف بالخارجية، لم تفلح؛ ذلك أنه ليس من شرط في الخوارج أن يکفروا الزاني وشارب الخمر وأكل الriba ونحوه، وإنما الأصل الحاكمة والخروج كما سبق.

(٢) فقول الدواعش أو غيرهم من خوارج العصر أن الكفر کفران غير مخرج لهم عن دائرة الخوارج؛ طالما يقولون بالخروج على ولاة الجور ويکفرون بالحاكمية؛ فتدبر ذلك ولا تغفل عنه!

(٣) «الملل والنحل» (١٣٧/١)، و«الفرق بين الفرق» (ص ٧٠).

(٤) وانظره مفصلاً في كتب التواریخ، وكتب المقالات والفرق، وقد نقلنا منها ما تراه أعلاه.

(٥) ذكر ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» (٣١٦/٧) ط إحياء التراث: «اجتمع الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم خطبة بلغة زهدتهم في هذه الدنيا ورغبتهم في الآخرة والجنة، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها، إلى جانب هذا السواد إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن، منكرين لهذه الأحكام الجائرة». اهـ.

لا حكم إلا لله، ولهذا سموا الحرورية نسبةً إلى المكان، والمحكمة نسبة إلى مقالتهم، ثم فرقتهم الضلالات.

وأول من أحدث الخلاف بينهم نافع بن الأزرق والذي أحدثه البراءة من القاعدة^(١) والمحنة لمن قصد عسكره وإكفار من لم يهاجر إليه.

والازقة تقول: أن كل كبيرة كفر وأن الدار دار كفر يعنيون دار مخالفتهم وأن كل مرتكب معصية كبيرة ففي النار خالداً مخلداً، ويكررون على رضوان الله عليه في التحكيم، ويكررون الحكمين أباً موسى وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ويرون قتل الأطفال، وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير أهل عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ويحرمون قتل من انتهى إلى اليهود والنصارى أو إلى المجرم، وكانت

فتدرك هذا وأنت تراهم يعتزلون المجتمعات الآن في الجبال والصحراوات! ومن عاش منهم بين المسلمين؛ فإنه يعتزلهم شعورياً.

يقول سيدهم وقطبهم: «لقد كان الرجل... يشعر في اللحظة التي يجيئ فيها إلى الإسلام أنه يبدأ عهداً جديداً منفصلاً كل الانفصال عن حياته التي عاشها في الجاهلية. وكان يقف من كل ما عاهده في جاهليته موقف المستريب الشاك الخذر المتختوف الذي يحس أن كل هذا رجس لا يصلح للإسلام. وبهذا الإحساس كان يتلقى هدي الإسلام الجديد... كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماضي المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حاوله وروابطه الاجتماعية فهو قد انفصل نهائياً من بيته الجاهلي واتصل نهائياً ببيته الإسلامية، حتى ولو كان يأخذ من بعض المشركين ويعطي في عالم التجارة والتعامل اليومي، فالعزلة الشعورية شيء و التعامل شيء آخر... نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم كل ما حولنا جاهلية... تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم فنونهم وأدابهم، شرائعهم وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفه إسلامية، وتفكيراً إسلامياً... هو كذلك من صنع هذه الجاهلية». «معالج في الطريق» (ص ١٦-١٨).

(١) والقاعدة من الخوارج هم الذين يزبون الخروج بأستهم ولا يباشرون بسيوفهم، وقد شابت داعش في هذا الأزارقة حيث كفرت الإخوان ومن على شاكلتهم، وبرئت منهم، حيث تركوا الجهاد وقعدوا عن القتال وانخذلوا منهجاً أسموه (السلمية)، وهذا ما صرخ به أبو محمد العدناني في رده على أيمن الظواهري في كلمة بعنوان: «عذراً أمير القاعدة»، وكذلك في «السلمية دين من؟».

الأزارقة عقدت الأمر لقطري بن الفجاءة وكان قطري إذا خرج في السرايا استخلف رجلاً وكانت فيه فظاظة فشكك الأزارقة ذلك إليه فقال: لست أستخلفه بعد، ثم إنه خرج في سرية وأصبح الناس في العسكر فصلى بهم ذلك الرجل الفجر فقالوا القطري: ألم تزعم أنك لا تستخلفه؟ وعاتبوه فقال لهم: جئتموني كفارًا حلال دمائكم فقام صالح بن مخراق فلم يدع في القرآن موضع سجدة إلا قرأها وسجد ثم قال: أكفارًا ترانا؟ تب مما قلت فقال: يا هؤلاء إنما استفهمتكم^(١) فقالوا: لا بد من توبيتك فخلعوه وصارقطري إلى طبرستان فغلب عليها، وكان ما قالوا: ما كف أحد يده عن القتال مذأنزل الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ البسط إلا وهو كافر، وزعمت الأزارقة أن من قام في دار الكفر فكافر لا يسعه إلا الخروج.

ثم خرج نجدة بن عامر الحنفي من اليمامة في نفر من الناس، وأقبل إلى الأزارقة يريدهم فاستقبلهم نفر من أهل عسكر نافع وأخبروه ومن معه بأحداث نافع التي أحدها وأنهم برئوا منه وفارقوه عليها، وأمرروا نجدة بالمقام وبايته، وأكفروا من قال بإكفار الْقَعْدَةِ مِنْهُمْ عَنِ الْهُجْرَةِ إِلَيْهِمْ وَأَكْفَرُوا مِنْ قَالَ بِإِمامَةِ نَافعٍ.

فمكث نجدة زمانًا ثم إنه بعث بعثاً إلى أهل القطيف واستعمل عليهم ابنه فقتل وسبى وغنم، فأخذ ابن نجدة وأصحابه عدة من نسائهم فقوموا كل واحدة منهن بقيمة على أنفسهم، فنكحوهن قبل أن يقسمن وأكلوا من الغنائم قبل أن تقسم، فقال نجدة: لم يسعكم ما صنعتم فقالوا: لم نعلم أنه لا يسعنا فعذرهم نجدة بجهالتهم فتابعه على ذلك أصحابه وعذروها بالجهالات إذا أخطأ الرجل في حكم من الأحكام من جهة الجهل.

وقالوا: الدين أمران: أحدهما معرفة الله ومعرفة رسالته فوتحرير دماء المسلمين وأموالهم وتحrir الغصب، والإقرار بما جاء من عند الله جملة؛ فهذا واجب وما سوى

(١) وهذا منهج مشاهد من الخوارج حديثاً للنجاة من الورطات، أن يكذبوا كما فعل أبو محمد العدناني لما سقط في يد أبي بن الظواهر في مسألة تبعية الدولة لتنظيم القاعدة، وقد مضى بيانه أكثر من مرة.

ذلك فالناس معدورون بجهالته حتى تقوم عليهم الحجة في جميع الحالات؛ فمن استحل شيئاً من طريق الاجتهاد مما لعله محظوظ فمعدور على حسب ما يقول الفقهاء من أهل الاجتهاد فيه.

فخرج إلى الناس كتاب من توبته فافترق عليه أصحابه وخلعه أكثرهم وقالوا
له اختر لنا إماماً فاختار أبا فديك، وصار راشد الطوبيل مع أبي فديك يداً واحدة، فلما
استولى أبو فديك على اليمامة علم أن أصحاب نجدة إذا عادوا من غزوتهم أعادوا
نجدة إلى الإمارة فطلب نجدة ليقتلها فاختفى نجدة في دار بعض عاذريه يتضطر رجوع
عساكره الذين كان قد فرقهم في سواحل الشام ونواحي اليمن.

ونادى منادٍ أَبِي فديك: من دلنا علٰى نجدة فَلُهُ عشرة آلٰف درْهَم وأَي مَلْوَك
دلنا عَلَيْهِ فَهُوَ حِرٌ؛ فدللت عَلَيْهِ أَمَة لِلَّذِين كَانَ نجدة عِنْدَهُمْ فَأَنْفَذَ أَبُو فديك راشدًا
الطَّوَيل فِي عَسْكَرٍ إِلَيْهِ فَكَبِسَوهُ وَحَمَلُوا رَأْسَهُ إِلَى أَبِي فديك.

ثم إن أصحاب نجدة أنكروا ذلك على أبي فديك وتولوا نجدة وتبئروها من أبي فديك، وكتب أبو فديك إلى عطية بن الأسود وهو عامل نجدة بالجوير يخبره أنه أبصر ضلال نجدة فقتله وأنه أحق بالخلافة منه، فكتب عطية إلى أبي فديك أن يباعي له مَنْ قِبَلَهُ وأبى ذلك أبو فديك فبرئ كل واحد منها من صاحبه، وصارت الدار لأبي فديك وصاروا معه إلا من تولى نجدة.

فصاروا ثلاثة فرق: الفديكية أكفرت نجدة وصارت إلى أبي فديك كراشد الطويل وأبي بيحس وأبي الشمراخ وأتباعهم وفرقه عذرته فيما فعل وهم النجدات، وفرقه من النجدات بعدوا عن اليمامة وكأنوا بناحية البصرة شكوا فيما حکى من أحداث وهم العطوية.

ومن العطوية أصحاب عبد الكريم بن عجرد ويسمون العجارة وهم خمس عشرة فرقة: والفرقة الرابعة منهم الحمزية: يرون قتال السلطان خاصة ومن رضي بحکمه فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا إذا أعن عليهم أو طعن في دينهم أو صار عوناً للسلطان أو دليلاً له، وحکى زرقان أن العجارة أصحاب حمزة لا يرون قتل أهل القبلة ولا أخذ المال في السر حتى يبعث الحرب.

والفرقة الحادية عشرة من العجارة وهي الأولى من الثعالبة يدعون الأخنسية يتوقفون عن جميع من في دار التقى من منتظمي الإسلام وأهل القبلة إلا من قد عرفوا منه إيماناً فيتولونه عليه أو كفراً فيتبرؤون منه لأجله، ويحرمون الاغتيال والقتل في السر وأن يبدأ أحد من أهل البغي من أهل القبلة بقتال حتى يدعى إلا من عرفوه بعينه، فبرئت منهم الثعلبة وسموهم الأخنسية لأن الذي دعاهم إلى قوتهم رجل كان يقال له الأخنس، ومن الخوارج الصفرية أصحاب زياد بن الأصفر...

وأصل قول الخوارج إنها هو قول الأزارقة والإباضية والصفرية والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية فإنها تفرعوا من الصفرية، وجمهور الإباضية يزعمون أن مخالفاتهم من أهل الصلاة كفار وليسوا بمشركين حلال مناكمتهم ومواريثهم حلال غنية أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حرام ما وراء ذلك وحرام قتلهم وسبفهم في السر إلا من دعا إلى الشرك في دار التقى ودان به، وزعموا أن الدار -يعنون دار مخالفاتهم- دار توحيد إلا عسکر السلطان فإنه دار كفر يعني عندهم، وحرموا دماء مخالفاتهم حتى يدعوهم إلى دينهم.

فبرئت الخوارج منهم على ذلك، وقالوا: إن كل طاعة إيمان ودين وأن مرتكبي

الكبار موحدون وليسوا بمؤمنين، وقالت طائفة من البيهسيّة: إذا كفر الإمام كفرت الرعية وقالت: الدار دار شرك وأهلها جمِيعاً مشركون، وتركت الصلاة إلا خلف من تعرّف، وذهب إلى قتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلت القتل والسببي على كل حال، وقالت البيهسيّة: الناس مشركون بجهل الدين مشركون بمواقعة الذنوب.
ومن رجال الخوارج ممن لم يذكر أنه خرج ولا له مذهب يعرف به^(١) صالح

(١) وهم الخوارج القدعية أو قعد الخوارج؛ قال الحافظ في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/٢٣٢) ط/ الكتب العلمية: «الخوارج القدعية- بفتحتين، هم الذين يحسّنون لغيرهم الخروج على المسلمين، ولا يباشرون القتال... وقيل: القدعية لا يرون الحرب، وإن كانوا يزبونه». اهـ.
ومنهم الحسن بن صالح «عن زافر بن سليمان: أردت الحج، فقال لي الحسن بن صالح: إن لقيت أبا عبد الله سفيان الثوريّ بمكة، فأقرّه مني السلام، وقل: أنا على الأمر الأول؛ فلقيت سفيان في الطواف، فقلت: إن أخاك الحسن بن صالح يقرأ عليك السلام ويقول: أنا على الأمر الأول، قال: فما بال الجمعة، قلت: كان يترك الجمعة، ولا يراها خلف أئمة الجور بزعمه».

وعن أبي نعيم، قال: ذكر الحسن بن صالح عند الثوري، فقال: ذاك رجل يرى السيف على أمّة محمد ﷺ.
قال يوسف بن أسباط: كان الحسن بن حي يرى السيف». «سir أعلام النبلاء» للذهبيّ، ط/ الرسالة (٧/٣٦٣).

وكان زائدة يجلس في المسجد، يحدّر الناس من ابن حي، وأصحابه، قال: وكانوا يرون السيف.
قال أبو صالح الفراء: حكى يوسف بن أسباط عن وكيع شيئاً من أمر الفتنة، فقال: ذاك يشبه أستاذه.
يعني: الحسن بن حي؛ فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لم يا أحق، أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أئمّة الناس أن يعملوا بما أحدثوا، فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم كان أضر عليهم» «سir أعلام النبلاء» ط/ الرسالة (٧/٣٦٤).

تأمل في موقف السلف من ابن صالح في هجره والتحذير منه وجماعته؛ لأنّه يرى السيف على الأمّة؛ أي: الخروج، ولا يرى الصلاة خلف ولاة الجور؛ لتعلم الموقف السلفيّ من الخوارج وأهل البدع جيّعاً.
ولا تغفل عن هذا الأمر العظيم أن من زين الخروج ولم يباشره فهو خارجيّ وما أكثرهم في هذا الزمان،
وهم مخانث الخوارج وأخْبَثُ الخوارج روى أبو داود في مسائل أحد عن عبد الله بن محمد أنه قال:
«قعد الخوارج أخبث الخوارج» (ص ٣٦٢) مكتبة ابن تيمية- مصر.

هذا وإن بين الحسن بن صالح وبين سيد قطب مفاوز ومع ذلك يدافع عنه ويوازن له ولغيره أهل البدع، وقد كان يكفر المجتمعات ويحرّف الصفات إلى آخر ما أتى من ضلالات؛ ثم هو لا يصلّي الجمعة-

بن مسرح ودادود وكانا يتلاقيان ويحدثان مسائل يقع لها الخلاف بين الخوارج، ثم كانت لهما في آخر أيامهما خرجة ليست بالمشهورة.

وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراء، إلا أن الإباضية لا ترى اعتراف الناس بالسيف ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف... والسبب الذي له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم: لا حكم إلا لله. والكور التي يغلب عليها الخارجية: الجزيرة والموصل وعمان وحضرموت ونواح من نواحي المغرب ونواح من نواحي خراسان^(١).



كالحسن بن صالح - يقول علي عشماوي آخر قادة التنظيم السري في مذكراته (ص ٦٢): كان سيد قطب لا يصل إلى الجمعة، وقد علمت ذلك مصادفة حين ذهبت إليه دون موعد، وكانت بيننا مناقشة ومشادة حامية وأردت أن أهدى الموقف فقلت له: هيا إلى صلاة الجمعة، وقد فوجئت حينها قال لي أنه يرى فقهياً أن صلاة الجمعة تسقط إذ سقطت الخلافة، وأنه لا جمعة إلا بخلافة...، وانظر كلامنا عن الخلافة والإخوان من هذا الكتاب.

(١) انظر الكلام عن الخوارج وفروعهم ومقالاتهم في كل من: «مقالات الإسلاميين»، «الفرق بين الفرق»، الفصل بين «الملل والنحل» لابن حزم، «الملل والنحل» للشهرستاني.

الصفات التي تجمع الخوارج
قديماً وحديثاً مما مر من الأحاديث

إن للخوارج صفات اجتمعوا عليها واجتمعت عليهم قديماً وحديثاً منها:
أولاً : الجهل:

إن من الصفات التي يشتراك الخوارج قديماً وحديثاً في الاتصاف بها، هي صفة الجهل، وعدم وجود العلماء فيهم، ولذلك لما ذهب إليهم ابن عباس رض قال لهم: «جئتم من عند أصحاب رسول الله الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم، وليس فيكم منهم أحد»، أي: ليس فيكم عالم بكتاب الله، فهو لا يقرأ مع قراءتهم للقرآن إلا أنهم لا يفهونه ولذلك قال رض: «يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم»^(١).

قال الحافظ: «(لا يجاوز حناجرهم) قال الداودي يريد أنهم تعلقوا بشيء منه. قلت: إن كان مراده بالتعلق الحفظ فقط دون العلم بمدلوله فعسى أن يتم له مراده، وإنما فالذى فهمه الأئمة من السياق أن المراد أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتتجاوزه لا يصل إلى القلب وقد وقع في حديث حذيفة نحو حديث أبي سعيد من الزiyادة (لا يجاوز تراقيهم ولا تعيه قلوبهم)^(٢).

وعلم أن الجهد في سبيل الله مقرن بالعلم، ولذا قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَهُمْ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» [البقرة: ٢٤٧]، وانظر كيف قدم بسطة العلم على الجسم؛ لأن لا جهاد بلا علم، ولأن القوة العلمية في الجهاد مقدمة على

(١) «معناه أن قوماً ليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، بل المطلوب تعقله وتدبره بوقوعه في القلب» «شرح النووي على مسلم» (٥٠١/٦).
(٢) «فتح الباري» (٤٠٠١/٩).

القوة الجسدية^(١)، وأما هؤلاء فجهاز وهذا الجهل فيهم له عدة صور وأسباب، فمن ذلك:

أ/ عدم رضاهם بالسنة:

وهذا ظاهر مما مر معنا من الروايات كما في رواية أبي سعيد رض، قال: بعث علي صل إلى النبي صل بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الخنظلي، ثم المجاشعي، وعبيدة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بنى نبهان، وعلقمة بن علابة العامري، ثم أحد بنى كلاب، فغضبت قريش، والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعانا، قال: «إنما أتألفهم». فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: «من يطع الله إذا عصيت؟! أيأمني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟!».

فتتأمل كيف رضي أصحاب رسول الله بإجابته صل، ولم يرض كبير الخوارج، وهكذا الخوارج لا يرضون بسته صل فهي مناقضة تماماً لما هم عليه من البدعة، لاسيما في أصلهم الذي جمعهم وهو تكفير حكام المسلمين والخروج عليهم.

وجريدة أن تذكر لداعشي أو إخواني أو حزبي أحاديث السمع والطاعة لأئمة الجور، وعدم جواز الخروج عليهم إلا بالكفر البواح!، وانظر كيف يكون رد فعلهم أيقنون وغير رضون وغير جعون؟!

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهم [أي: الخوارج] خاصتان مشهورتان فارقوها بهما جماعة المسلمين وأئمتهم: أحدهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة وهذا هو الذي أظهره في وجه النبي صل حيث قال له ذو الخويصة التميمي: أعدل فإنك لم تعدل حتى قال له النبي صل: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبّت وخسرت إن لم أعدل». فقوله: «إنك لم تعدل» جعل منه لفعل النبي صل سفهًا وتَرْكَ عدْلٍ وقوله: «أعدل» أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة

(١) مستفاد من كلام للشيخ أبي محمد خالد عبد الرحمن المصري - حفظه الله -.

التي لا تصلح، وهذا الوصف تشتراك فيه البدع المخالفلة للسنة فقاتلها لابد أن يثبت ما نفته السنة وينفي ما أثبتته السنة ويحسن ما قبحه السنة أو يقبح ما حسنت السنة وإن لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل؛ لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة.

والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجروا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تختلف -بزعمهم- ظاهر القرآن.

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتبعونهم في الحقيقة على هذا؛ فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتباعوه كما يحكي عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدق^(١) وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة: إما برد النقل؛ وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن، وإنما فهم ليسوا متبعين ولا مؤمنين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن^(٢).

(١) وهو ما أخرج البخاري ومسلم في «صححيهما» عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال عبد الله: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدق، قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطنه أمه وأربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضعة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فیؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشققي أو سعيد، ثم ينفح فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بيته وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بيته وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة» فقال عمرو بن عبيد: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكتبه، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته أو قال: لما أحبتته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا» «تاريخ الإسلام» وفيات (١٤١-٦٦٠ / ص ٨٣٢-٩٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» ط الرسالة (٦/٤٠١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩١/٩٧).

ثم ذكر الخاصة الثانية لهم وهي التكفير بغير مكفر واشترك معهم فيها - كما ذكر - جمهور الرافضلة وغيرهم، وسيأتي بيان ذلك - إن شاء الله - في مبحث لماذا داعش من الخارج؟.

ب/ قتالهم الصحابة:

إذ من البداية أن الصحابة رضي الله عنه هم أولو العلم والفهم، وعليه فمن قاتلهم فهم أولو الجهل والعي، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِنُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا حَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَاتُلُوكُمْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَاتَلُوكُمْ أَفَلَا يَرَوْكُمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَتَبْعَثُ أَهْوَاهَهُمْ ۖ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْكُمْ زَادُهُمْ هُدًى وَأَنَّهُمْ تَقْرَئُونَهُمْ ۚ ۷﴾ [محمد: ١٦، ١٧]، فوصف أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم ورضي عنهم بأنهم أوتوا العلم.

وقال سبحانه مخاطباً الصحابة: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]، وعليه فمن وافقهم فقد اهتدى ومن خالفهم فقد ضل وغوى؛ فكيف بمن قاتلهم، فإن لم يكونوا أهل هداية وعلم فهم أهل غواية وجهل. ومن تدبر خطاب القرآن للصحابه رضي الله عنه وما وصفهم به من العلم والحكمة والهدى وما زکاهم به؛ علم أن خالفهم هو الجاهل الغشوم الضال؛ فكيف بمن نصب لهم الحروب واستباح دماءهم وأعراضهم.

قد يقول قائل: إن خوارج اليوم لا يقعون في الصحابة.

نقول: من يقول ذلك لا يعي أن الطعن في منهاجهم والطعن فيهم سواء، إن لم يكن أشد، ولا شك أن هؤلاء بمخالفتهم منهاج الصحابة، واستقلالهم بفهم القرآن دون فهمهم مع زعمهم أنهم أهل الحق والطائفة المتصورة، قادحون في الصحابة ومنهاجهم، كالذين يتمدحون في النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً ونهاراً مع كونهم على البدع، بل على الزندقة فليس ذلك بنافع لهم، فكذلك هؤلاء، وانظر ما مضى من طعن سيدهم وقطبهم وعمود فسطاط فكرهم وعقيدتهم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وَجَرْبَ أَنْ تَذَكِّرَ لَوْاْحِدٍ مِّنْهُمْ آثارَ الصَّحَابَةِ فِي آيَاتِ التَّكْفِيرِ الَّتِي يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهَا، وَانْظُرْ كَيْفَ يَقَابِلُهَا وَلَا يَرْضِي بِهَا وَلَا يَسْلِمُ لَهَا!

ج / قتال الصحابة نَعِيَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلخُواْرَجِ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ:

كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ مَرْفُوعًا: «إِنْ مَنْكُمْ مَنْ يَقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ» فَقَدْ شَبَهَ قتالَ الْخُواْرَجِ عَلَى التَّأْوِيلِ بِقتالِ الْكُفَّارِ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْكُفَّارُ أَهْلُ جَهَلٍ وَضَلَالٍ؛ وَلَذَا سُمِّيَ رَأْسَهُمْ بِأَبِي جَهَلٍ، وَقَتالَ النَّبِيُّ عَلَى التَّنْزِيلِ كَمَا قَاتَلَ حَقَ لِبَاطِلٍ، فَقَتالَ عَلَيْهِ عَلَى التَّأْوِيلِ قَتالَ حَقَ لِبَاطِلٍ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِنْ مَنْهَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَعْلِيمِ الصَّحَابَةِ وَإِرْشَادِهِمْ، أَنْ يَرْبِطَ مَا يَشَاهِدُونَهُ وَاقِعًا وَحْسَّا بِمَا يَرِيدُ أَنْ يَرْشِدُهُمْ إِلَيْهِ^(١)؛ وَلَذَلِكَ فَلَا شَكَ أَنْ ثَمَةَ عَلَاقَةٍ بَيْنِ خَصْفِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّعْلِ وَبَيْنِ قَتالِهِ لِلْخُواْرَجِ عَلَى التَّأْوِيلِ، فَالنَّعْلُ رَمْزٌ لِلْأَثْرِ، وَالْخَصْفُ الْأَهْتَمَامُ بِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَدُعْوَةً، وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْفَرَقَةُ النَّاجِيَةُ وَالْطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ وَهُمُ أَهْلُ الْأَثْرِ عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ فَقَالَ: «أَنَا وَالَّذِينَ مَعِي، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ عَلَى الْأَثْرِ» ثُمَّ كَانَهُ رَفَضَ مِنْ

(١) كَمَا في قَصَّةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي فَقَدَتْ طَفْلَهَا، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدَمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبِيٌّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِّنَ السَّبِيِّ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ، أَخْذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِيَطْنَاهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قَلَنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَلَا تَطْرَحُهُ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بُولَدَهَا». مُتَفَقُ عَلَيْهِ.

وَكَمَا في وَصْفِهِ الدِّنِيَا بِجَيْفَةِ جَدِيِّ أَسْكَ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَالِسَوقِ دَخَلَّاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَّةِ، وَالنَّاسُ كَنْفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدِيِّ أَسْكَ مِيتًا، فَتَنَوَّلَهُ فَأَخْذَ بِأَذْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بَدْرَهُمْ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنْهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نُصْنِعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتَحْبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْنًا فِيهِ، لَأَنَّهُ أَسْكَ، فَكَيْفَ وَهُوَ مِيتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لِلَّدِنِيَا أَهُونُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ» رواه مسلم (٢٩٥٧).

وَغَيْرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِّنْ تَأْمِلِ أَحَادِيثِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

^(١) بقى .

أو أن إصلاح على بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ للنعل كإصلاحه لفساد الخوارج، وهو ينبع عن حقيقة هؤلاء، وقدرهم الوضيع!^(٢)

د/ ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين:

ومن جهلهم أنهم ينزلون آيات نزلت في الكافرين على المؤمنين كما قال ابن عمر: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»^(٣).

فعن يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفي رأي من رأي الخوارج^(٤)، فخرجا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة، فإذا جابر ابن عبد الله يحدث القوم،جالس إلى سارية، عن رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنمين، قال: فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلَ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرا القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ -يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط، ومَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ، -قال: وأخاف ألا أكون أحفظ ذاك - قال: غير أنه

(١) أخرجه أحمد في «المسندي» (٢/ ٧٩٢ و ٧٩٣)، وحسنه الألباني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في «الصحيححة» (٩٣٨١).

(٢) ولذلك في حديث الافتراق قال: «خذوا النعل بالتعل».

(٣) ذكره البخاري معلقاً مجزوماً به في باب «قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم».

(٤) ولا تغفل عن هذه الفائدة أخي الكريم، فإن للخوارج آراء مختلفة وهم فرق متعددة، اختلفوا على ماقاتل وأراء وجمعهم أصل واحد كما سبق هو التكفير بالحكم (الحاكمية)، ولا يزال أهل البدع في شناق وافتراق؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْنَدُوا وَإِنْ تَوَلُّو فَإِنَّهُمْ فِي شَقَاقٍ فَسَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْمَكِيلُ﴾ [البقرة: ٧٣١]، فمن تولى عن منهاج الصحابة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقد شاققهم وفارقهم، ثم هم بعد ذلك أنفسهم في شناق واحتلال وافتراق.

قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: -يعني- فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد^(١).

وذكر ابن كثير في «تفسيره» عن ابن أبي حاتم بسنده إلى يزيد الفقير قال: «جلست إلى جابر بن عبد الله، وهو يحدث، فحدث أن أنساً يخرجون من النار -قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك، فغضبت وقلت: ما أعجب من الناس، ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد! تزعمون أن الله يخرج ناساً من النار، والله يقول: ﴿يُرِيدُونَكَ أَنْ يَخْرُجُوكُمْ مِّنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، فانتهني أصحابه، وكان أحلمهم فقال: دعوا الرجل، إنما ذلك للكفار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ، مَعَكُهُ لِيَقْتَدُوا بِهِ، مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [٢٧] أما تقرأ القرآن؟ قلت: بل قد جمعته قال: أليس الله يقول: ﴿وَمَنْ أَلَّى فَتَهَجَّدَ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فهو ذلك المقام، فإن الله يحتبس أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء، لا يكلمهم، فإذا أراد أن يخرجهم أخر جهنم، قال: فلم أعد بعد ذلك إلى أن أكذب به^(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه: «يخرج الله قوماً من النار فيدخلهم الجنة» فقال له رجل: إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَكَ أَنْ يَخْرُجُوكُمْ مِّنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَرِيجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [٣٧] فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عاماً هذه للكافار اقرأوا ما قبلها ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآتْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ، مَعَكُهُ لِيَقْتَدُوا بِهِ، مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا نُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٣٨] يُريدونَكَ أن

(١) آخر جه مسلم في «صحيحه» برقم (١٩١).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٠١) ط: طيبة.

يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَرِيجٍ مِّنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٧﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧] هذه
للكفار»^(١).

وعن طلق بن حبيب، قال: كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبد الله، فقرأت عليه كل آية ذكرها الله تعالى فيها خلود أهل النار، فقال: يا طلق، أترأك أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسنة رسول الله ﷺ؟ فاتضعت له، فقلت: لا والله، بل أنت أقرأ لكتاب الله مني، وأعلم بسته مني، قال: فإن الذي قرأته أهله هم المشركون، ولكنْ قومٌ أصابوا ذنوبًا، فعذبوا بها، ثم أخرجوا، صُمّتَ - وأهوى بيديه إلى أذنيه - إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرجون من النار»، ونحن نقرأ ما تقرأ^(٢).

وعن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبعنا الحرقات من جهينة، فأدرك رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوق في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنما قاها خوفاً من السلاح، قال: «أفلا شفقت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟» فما زال يكررها على حتى تمنيت أن أسلمت يومئذ، قال: فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة، قال: قال رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُنَّ الَّذِينَ كَثُرُواٰ﴾ [الأنفال: ٣٩]؟ فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة، وأنت وأصحابك ت يريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة^(٣).

وعن سعيد بن جبير، قال: «خرج علينا عبد الله بن عمر، فرجعوا أن يحدثنا

(١) صحيح ابن حبان (٤٤٧)، وصححه الألباني - رحمهما الله - في «الصحيحة» (٥٠٣).

(٢) «مسند» أحمد ط / الرسالة برقم (٤٣٥٤١) ورواه ابن حبان (٩/٣٨٢). وانظر: «صحيح الأدب المفرد» (ص ٥٠٣).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (٦٩).

حديّاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينُ كُلُّهُمْ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] فقال: هل تدري ما الفتنة، ثكلتك أمك؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك»^(١).

وعن عمران بن الحصين قال: أتى نافع بن الأزرق وأصحابه فقالوا: هلكت يا عمران، قال: ما هلكت^(٢). قالوا: بلى، قال: ما الذي أهلكني؟ قالوا: قال الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينُ كُلُّهُمْ لِلَّهِ﴾، قال: قد قاتلناهم حتى نفيناهم فكان الدين كله لله، إن شئتم حدثكم حديّاً سمعته من رسول الله ﷺ، قالوا: وأنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم شهدت رسول الله ﷺ وقد بعث جيشاً من المسلمين إلى المشركين فلما لقوهم قاتلوهم قتالاً شديداً، فمنحوم أكتافهم فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح، فلما غشيه قال: أشهد أن لا إله إلا الله إني مسلم، فطعنه فقتله فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «وما الذي صنعت؟» مرة أو مرتين، فأخبره بالذي صنع، فقال له رسول الله ﷺ: «فهلا شفقت عن بطنه فعلمت ما في قلبه!» قال: يا رسول الله لو شفقت ببطنه لكنت أعلم ما في قلبه، قال: «فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه» قال: فسكت عنه رسول الله ﷺ فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات فدفناه، فأصبح على

(١) أخرجه البخاري في «صحيحة» برقم (٥٩٠٧).

(٢) وهذا منهج الأنبياء في الرد على السفهاء الأغبياء! كما قال الله عن نوح عليه الصلاة والسلام: «قَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ قَالَ يَقُولُ لَهُمْ لَيْسَ إِنَّمَا فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف: ١٦٠٦].

وقال عن هود عليه الصلاة والسلام: «قَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٦﴾ قَالَ يَقُولُ لَهُمْ لَيْسَ إِنَّمَا فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف: ٦٧، ٦٨]، وهذه من الدروس التي علينا أن نتأسى بها من منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما اتسى الصحابة رض.

ظهر الأرض، فقالوا: لعل عدوا نبشه، فدفناه ثم أمرنا غلامانا يحرسونه، فأصبح على ظهر الأرض، قلنا: لعل الغلامان نعسوه فدفناه ثم حرسته بأنفسنا، فأصبح على ظهر الأرض فألقيناه في بعض تلك الشعاب... فأخبر النبي ﷺ فقال: «إن الأرض لتقبل من هو شر منه، ولكن الله أحب أن يريكم تعظيم حرمة لا إله إلا الله»^(١).

وعن ابن أبي زيد: «أنه جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، قال له: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قال: بل! قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا بن أبي زيد، إن هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا! إنه رجل من الخوارج! فقال: رددوه عليّ، فلما جاءه قال: هل تدرى فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنما نزلت في أهل الكتاب، اذهب، ولا تضعها على غير حدّها»^(٢).

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن أبي زيد، عن علي قال: «أتاه رجل من الخوارج فقال له: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾. أليس كذلك؟ قال: نعم، فانصرف عنه ثم قال له علي: «ارجع ارجع، أي قل: إنما نزلت في أهل الكتاب وهم الذين عدلوا بربهم، يعني أهل الكتاب»^(٣).

قال سعيد بن جبیر: «أما المتشابهات: فهن آیٰ في القرآن يتشاربهن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يصل من ضل من ادعى هذه الكلمة، كل فرقه يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، وما تتبع الحروفية من المتشابه قوله

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٣)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه الطبری في «جامع البيان» (١١/٣٥٢) برقم (٥٤٠٣١)، ط: شاکر.

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/٦٢١).

الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)، ويقرؤون معها: ﴿شَّاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِبْرَاهِيمَ يَعْدُلُونَ﴾ (١)، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهو لاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية﴾.

هـ/ يحسبون القرآن لهم وهو عليهم:

كما في حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً: «يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم»، وهذا من عظيم جهلهم، وأظهر الأمثلة على ذلك ما مر من استدلالاتهم بالآيات في غير محلها لاسيما قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونُ فَتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينُ كُلُّهُمْ لِلَّهِ﴾، فظنوا أنها لهم على الصحابة، فكانت للصحابة عليهم! وأيضاً الآية التي هي عباد مذهبهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٤)، وهم من أبعد الناس عن حكم الله، ومن أكثرهم مخالفته لشرع الله تعالى، لاسيما في دماء المسلمين و«لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»^(١).

وقد قالوا العلي: «فحكمت في دين الله، ولا حكم إلا لله... فقال: أصحابكم الذين خرجوا بينهم وبينهم كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥] فامة محمد عليه السلام أعظم حرمة من امرأة ورجل».

وفي مناظرتهم لابن عباس وقولهم: «جعل الحكم إلى الرجال وقال الله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فقال ابن عباس: قد جعل الله الحكم من أمره إلى الرجال في ربع درهم في الأربن، وفي المرأة وزوجها: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم».

(١) آخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤).

(٢) آخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٢٦٨٦).

و/أحداث الأسنان:

فإن فتنة الخوارج إنما تروج على الشباب الصغار الأغرار؛ فهم وقد فتنتهم، وحطب بدعتهم؛ وانظر جيداً متاماً في وجوه أتباع القاعدة وداعش والإخوان إلى آخر صنوف الخوارج اليوم تجدهم من الشبيبة حديثة أعمارهم؛ كما في حديث ابن مسعود مرفوعاً: «قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام»، أي: غالبهم وفيهم من شيوخ الضلالة ما فيهم! وقد يحمل على جميعهم على أن يكون «الحدث الذي لم يستكمل الأمر بعد، وإن كان ابن ثمانين سنة»^(١).

أو كما قال العظيمين -رحمه الله تعالى-: «لَكُنْ هُؤُلَاءِ سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَإِنْ كَانُوا كَبَارَ السِّنِّ»^(٢).

وقال العيني: «أحداث الأسنان جمع حدث بفتحتين وهو صغير السن وقال ابن الأثير: حداثة السن كنایة عن الشباب وأول العمر... والحديث الجديد من كل شيء ويطلق على الصغير بهذا الاعتبار والمراد بالأسنان العمر يعني أنهم شباب»^(٣).

قال السندي: «قوله: «أحداث الأسنان» أي: صغار الأسنان، فإن حداثة السن مُحُلٌ للفساد عادة»^(٤).

وهؤلاء أشباه ما يكون بقول وهب بن منبه رحمه الله: «كان فيبني إسرائيل رجال أحداث الأسنان، قد قرؤوا الكتاب وعلموا علماً، وأنهم طلبو بقراءتهم الشرف والمال، وأنهم ابتدعوا أخذوا بها الشرف والمال في الدنيا فضلوا وأضلوا كثيراً»^(٥) وصدق من قال: «الشباب مظنة الجهل، ومطية الذنوب»^(٦)؛ لأن الحدث أبداً

(١) «الاعتصام» للشاطبي (١٧٤/٢).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٩٥١/٥).

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤٢/٦٨).

(٤) «حاشية السندي على النسائي» (٩١١/٧).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٦٢٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٤٤١/١).

(٦) انظر: «التمثيل والمحاضرة» للشعابي (٢٨٣).

أو في غالب الأمر غرّ لم يتحنك، ولم يرتضى في صناعة رياضة تبلغه مبالغ الراسخين الأقدام في تلك الصناعة، ولذلك قالوا في المثل:

وابن البوون إذا ما لز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقد ترى فيهم من يظهر كثرة العبادة والزهادة ونحو ذلك؛ فلا يغرنك؛ وقد مضى معنا في حديث أنس رض: «كان فينا شاب ذو زهد وعبادة» فهو شاب حديث السن ويظهر العبادة فقال النبي صل: «إني أرى على وجهه سفعة من الشيطان».

ز/ سفهاء الأحلام:

وكذلك مما شهدت به النصوص الشرعية على الخوارج - وهو من أعلام النبوة حيث صدقه الواقع في القديم والحديث - سفاهة عقولهم ورداءة أحلامهم.

قال ابن حجر: «قوله سفهاء الأحلام» جمع حلم بكسر أوله، والمراد به العقل، والمعنى: أن عقولهم ردية قال النووي^(١) يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل^(٢).

وقال العيني^(٣): «قوله: «سفهاء الأحلام» أي: ضعفاء العقول، والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل».

وقال أيضًا: «قوله: سفهاء الأحلام يعني: عقولهم ردية، والأحلام جمع حلم بكسر الحاء وكأنه من الحلم بمعنى الأناء والتثبت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء^(٤)».

وقال القاري: «سفهاء الأحلام» أي: ضعفاء العقول والسفه في الأصل الخفة والطيش وسفة فلان رأيه إذا كان مضطرباً لا استقامة فيه، والأحلام العقول واحدها حلم بالكسر^(٥).

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٢١/٧٨٢).

(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٦١/٤٤١).

(٣) السابق (٤٢/٦٨).

(٤) «مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح» (٦/١١٣٢).

وهو لاءٌ أشبه ما يكون بما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما آنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ضاف ضيف رجلاً منبني إسرائيل وفي داره كلبة مجحٌ^(١) ، فقالت الكلبة: والله لا أنبع ضيف أهلي، قال: فعوى جرأوها في بطنها قال: قيل: ما هذا؟ قال: فأوحى الله عَزَّ وَجَلَّ إلى رجل منهم: هذا مثل أمّة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها أحلامها»^(٢).

ولله در الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- بوب: باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَّا كُلُّ أُمَّتِي عَلَى يَدِي أَعْيَلُمَةٍ سُفَهَاءَ»^(٣). وأطلق ولم يقييد مع أن الحديث: «هَلَّكَةٌ أُمَّتِي عَلَى يَدِي عُلْمَةٌ مِّنْ قُرَيْشٍ»، وذلك -والله أعلم- لأن العلة واحدة وهي صغر السن وسفه العقول سواء كانوا من قريش أو من غيرها.

ومن نظر إلى الدواعش والقاعدة وغيرها من الخوارج نظرة عجل! لا أقول متفحصة وجد مصداق ذلك؛ بل شهد شاهد من أهلها على ذلك يقول الخارجي أبو قنادة الفلسطيني: «وما فعلته جماعة (الدولة) هو إذهاب للخلاف الجاري بينها وبين خصومها على قيادة جماعات الجهاد -أي جماعة القاعدة- إلى الدم الصريح وإعطاء هذا السفك للدم الحرام صفة الشرعية حيث سنجده فقه (البغاة) كما أعلن الجاهل المركب العدناني^(٤) في بيانه هذا، حيث حذر من شق عصا الطاعة، وأن حكمها الدم والقتل، بل سنجده كلاًّ أهل النار يكفرون بالخالف لإمامهم وأميرهم كما فعل أشياعهم القدماء وجماعة (الخلافة)، وسيكون هذا في هؤلاء كذلك، وإن كان مثل هذه الأمور لا تَظَهُرُ رأسًا بل تتسلل تباعًا كما رأينا منهم ذلك قبل إعلان الخلافة؛

(١) مجح: أي حامل وقرب وقت ولادتها.

(٢) أحمد (٢/٠٧١) برقم (٨٨٥٦) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) «صحيح البخاري» (٩/٧٤).

(٤) وصدق وهو كذوب «كثير الكذب على الشرع وينسب إليه ما ليس منه»؛ وإذا كان هذا حال المتحدث الرسمي فكيف بالرعاع الأتباع؟!

إذ كان خلافهم مع جبهة النصرة على الإمارة والقيادة ثم تحول تباعاً إلى التكفير واستحلال الدماء، ومن قرأ تاريخ الجماعات فلن يتعجب من تلبيس الأهواء أدلة الشرع والدين فهذا أسهل ما يأتيه هؤلاء»^(١).

ح / ضعف فقههم في الدين:

وكذلك من صفاتهم قدّيماً وحديثاً عدم الفقه في الدين لقول النبي ﷺ: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، فلا يفقهون كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «لأنهم كانوا يتأولونه بغير علم بالسنة المبينة، فكانوا قد حرموا فهمه والأجر على تلاوته، فهذا والله أعلم معنى قوله: «لا يجاوز حناجرهم»، يقول: لا ينتفعون بقراءاته، كما لا ينتفع الآكل والشارب من المأكول والمشروب بما لا يجاوز حنجرته»^(٢).

وقال أيضاً: «وأما قوله: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» فمعناه: أنهم لم ينتفعوا بقراءاته إذ تأولوه على غير سبيل السنة المبينة له وإنما حملهم على جهل السنة ومعاداتها وتکفيرهم السلف ومن سلك سبيلهم وردهم لشهادتهم وروياتهم، تأولوا القرآن بآرائهم فضلوا وأضلوا فلم ينتفعوا به ولا حصلوا من تلاوته إلا على ما يحصل عليه الماضي الذي يبلغ ولا يجاوز ما في فيه من الطعام حنجرته»^(٣)

وقال الشاطبي رحمه الله: «يعني: أنهم لم يتفقروا فيه، فهو في أستتهم لا في قلوبهم»^(٤).

وقال أيضاً: «فإنهم أخذوا أنفسهم بقراءة القرآن وإقرائه حتى ابتدعوا فيه ثم لم يتفقروا فيه، ولا عرفوا مقاصده، ولذلك اطروحوا كتب العلماء وسموها كتب الرأي

(١) «ثياب الخليفة» (ص ٨).

(٢) «التمهيد» (٢٢ / ٣٢٣).

(٣) «الاستذكار» (٢ / ٩٩٤).

(٤) «الاعتصام» للشاطبي (٢ / ١٧٤).

وخرقوها ومزقوها أدماها، مع أن الفقهاء هم الذين بینوا في كتبهم معانی الكتاب والسنة على الوجه الذي ينبغي، وأخذوا في قتال أهل الإسلام بتأنويل فاسد، زعموا عليهم أنهم مجسمون وأنهم غير موحدين، وتركوا الانفراد بقتال أهل الكفر من النصارى المجاورين لهم وغيرهم^(١).

وشهد شاهد من الخوارج على خوارج داعش:

يقول الخارجي أبو قتادة الفلسطيني: «إن ما أراده البغدادي إن كان هو صاحب الأمر حقاً في هذا التنظيم -مع أني في شك من ذلك- فإن الكثير من الإشارات تدل أن الرجل حاله مع غيره كحال محمد بن عبد الله القحطاني (المهدي المزعوم) مع جهیان^(٢)، حيث الضعف النفسي الذي يحقق سلاسة القيادة لمثل العدناني وغيره من وصلني عنهم هذه الأخبار ومعانيها، أقول إن ما أراده البغدادي بإعلان الخلافة قطع الطريق على الخلاف الشديد على إمرة الجهاد في بلاد الشام الواقع بينهم وبين جماعة النصرة، وخاصة بعد أن تبيّن كذب دعواهم أن لا بيعة في أنعقادهم للدكتور أيمن، والبغدادي في حالة سبات شتوي لا يقدر على الإجابة والرد، إذ يقوم بدلاً عنه من يتقن الشتم والرجم، بل خلت الجماعة من طالب علم شرعياً له ملكة الحديث بالشرع في هذا الباب، فإن خرج بعضهم فتحدث أتنى بالمصائب والفواقر، فلم يبق إلا علو الصوت والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء»^(٣).

وقال أيضاً: «وأهل الإسلام اليوم فيهم الكثير من يظن أن هناك الكثير من

(١) السابق (١٥٩ / ٣).

(٢) قال العلامة الألباني -رحمه الله- : «... جماعة (جهیان) السعودي الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (٤٠٠٤) هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض اليسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنته بعد أن سفكوا كثيراً من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرهم» سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥ / ٨٧٢).

(٣) «ثياب الخليفة» (ص ٨).

الإسلام الذي يُمكّن أن نكتشفه ولم يكتشفه الأوائل، وهي نزعة سرت إلى المجاهدين من التيار السلفي الجديد^(١)، وهذا يشكل انقطاعاً عن العلم بشقيه المقوء والمسموع، أما المقوء فهو القديم وأما المسموع فهو الجديد، وبهذا دخل الدخن على التيار الجهادي؛ وحيث بيتهُ الجهاد هي القتل والقتال فإن الصوت المرتفع الغالب في هذه البيئات إن خلت من العلماء هو صوت الغلو، ومن عاش تجربة الجزائر علم هذا يقيناً، واليوم نراه في صوت العدناني وأمثاله^(٢).

ط / لا يوجد فيهم علماء:

لأثر ابن عباس رضي الله عنهما قال لهم: «جيئكم من عند أصحاب رسول الله الذين نزل عليهم القرآن وهم أعلم به منكم، وليس فيكم منهم أحد»؛ أي: ليس فيكم عالم بكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلم.

وبعد قول **الخارججي** أبي قتادة الفلسطيني: «والبغدادي في حالة سبات شتوى لا يقدر على الإجابة والرد؛ إذ يقوم بدلاً عنه من يتقن الشتم والرجم، بل خلت الجماعة من طالب علم شرعى له ملكة الحديث بالشرع في هذا الباب، فإن خرج بعضهم فتحدث أتى بالمصائب والغواقو، فلم يبق إلا علو الصوت والنذارة والتهديد بالقتل وسفك الدماء»^(٣).

والعلماء هم البدور التي يضيء الله تعالى بها الطريق لعباده فمن ابتعد عنهم و
 ﴿أَنْهَا إِلَهٌ هُوَ إِنَّهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَّحَمَّ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرَهُ غَشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال النبي صلوات الله عليه وسلم: «... وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على

(١) وهذه من أعظم كذباتهم التي يروجون بها بدعهم وضلالاتهم، وهي أشد خطورة من زعم الأشاعرة أنهم أهل السنة، ولا يزال أهل الباطل ينسبون أنفسهم للحق وأهله؛ وكفى الباطل قبحاً أن يتبرأ منه أهله، وكفى الحق شرفاً أن يتنسب إليه من ليس أهله!

(٢) «ثياب الخليفة» (ص ١٠).

(٣) «ثياب الخليفة» (ص ٨).

سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

قال أبو الحسن المباركفورى: «وإن فضل العالم» المراد به من غالب عليه الاشتغال بالعلم على عبادته النافلة. «على العابد» المراد به من غالب عبادته على الاشتغال بالعلم «فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» شبه العابد بالكواكب؛ لأن كمال العبادة ونورها لا يتعدى منه على غيره، وشبه العالم بالقمر الذى يتعدى نوره ويستضيء به وجه الأرض؛ لأن كمال العلم ونوره يتعدى إلى غيره فيستضيء بنوره المتلقى عن النبي ﷺ الذي هو شمس العلم والدين، وإنما قيده بليلة البدر لكمال إضاءة القمر فيها وانمائه الكواكب في شعاعها^(١).

ي / يقابلون النصوص بآرائهم وعقولهم:

كما فعل كبيرهم وجدهم الأول ذو الخويصة التمييزي لما قبل فعل النبي ﷺ بعقله ورأيه فقال: اعدل! وبهذا كان يعرفهم الصحابة ﷺ فعن معاذة: «أن امرأة سألت عائشة فقالت: ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة؟ فقالت: أحرروريه أنت؟ قالت: لست بحروريه، ولكنني أسأله، قالت: كان يصيغنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

أ / يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه:

ل الحديث عمرو بن العاص مرفوعاً: «سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه»^(٢)، فإن هذا التعمق والتتكلف بما لم يكلفو به كان سبباً في جهلهم وخروجهم من الدين، قال الحافظ: «عن أنس: ذكر لي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن فيكم قوماً يدأبون ويعملون حتى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم»

(١) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصايب» (١/٨١٣).

(٢) قال الميسمى ٦/٨٢٢: رواه أحمد والطبراني باختصار ورجالاً أحمداً ثقاتاً، وقال الألباني: إسناده جيد كما في ظلال الجنة حديث رقم (٤٠٣٩).

ومن طريق حفص بن أخي أنس عن عميه بلفظ «يتعمدون في الدين» وفي حديث بن عباس عند الطبراني في قصة مناظرته للخوارج قال: «فأتيتهم فدخلت على قوم لم أر أشد اجتهادا منهم أيديهم كأنها ثفن الإبل ووجوههم معلمة من آثار السجود» وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس أنه ذكر عنده الخوارج واجتهادهم في العبادة فقال: «ليسوا أشد اجتهادا من الرهبان»^(١).

ل/ يسفكون الدم الحرام:

قال رسول الله ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دمًا حراماً»^(٣).

وعنه رضي الله عنه: أنه قال: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حلها»^(٤).

ومن طائف جهلهم:

أن فرقة منهم اسمها النجدات أتباع نجدة بن عامر بعد أن أحدث نجدة هذا أموراً و منها أن عذر أتباعه بالجهالات استتابه أكثر أتباعه من إحداثه، و قالوا له: اخرج إلى المسجد وَتب من إحداثك ففعل ذلك ثم ان قوماً منْهُم ندموا على استتابته و انضموا إلى العاذرين له و قالوا له أنت الإمام و لك الإجتهاد ولم يكن لنا أن نستتبك فتب من توبتك واستتب الذين استتابوك و إلا نابذناك ففعل ذلك فافترق عليه أصحابه و خلعه أكثرهم، و قالوا له: اختر لنا إماماً^(٥).

(١) فتح الباري لابن حجر (٢١/٩٨٢).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٤٣٣)، (١٥٣٤)، و مسلم برقم (٤٦٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد، والبخاري (٢٦٨٦).

(٤) رواه البخاري (٣٦٨٦).

(٥) «مقالات الإسلاميين»، (ص ٤٧١: ٦٧١)، و «الفرق بين الفرق»، (ص ٩٦).

ومن طريف جهلهم ما وقع مع شعيب - وإليه تنسب الشعيبة من الخوارج - ورجل من الخوارج اسمه ميمون - وإليه تنسب الميمونية من الخوارج - وكان السبب في ذلك: أنه كان لم伊مون على شعيب مال فتقاضاه فقال له شعيب: أعطيكه إن شاء الله فقال له ميمون: قد شاء الله ذلك الساعة فقال شعيب: لو كان قد شاء ذلك لم أستطع ألا أعطيكه فقال ميمون قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به، فقد شاءه وما لم يشاً لم يأمر به فافترقت العجارة عند ذلك فتبع قوم شعيباً وتبع آخرُونَ ميموناً وكتبوا في ذلك إلى عبد الكريم بن عجرد وهو يومئذ في حبس السلطان فكتب في جوابهم؛ إنما نقول: ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن ولا نلحق بالله سوءاً فوصل الجواب إليهم بعد موته ابن عجرد وادعى ميمون أنه قال بقوله لأنّه قال لا نلحق بالله سوءاً، وقال شعيب: بل قال بقولي لأنّه قال: نقول ما شاء الله كان وما لم يشاً لم يكن، فتولوا جميعاً عبد الكريم وبرئ بعضهم من بعض^(١).

ومن طريف جهلهم أيضاً أن عبد الكريم بن عجرد وكان الإمام إلى أن خالفه ثعلبة في حكم الأطفال فلما اختلفا في ذلك كفر ابن عجرد وصار ثعلبة إماماً، والسبب في اختلافهما: أن رجلاً من العجارة خطب إلى ثعلبة بنته فقال له: بين مهرها فأرسل الخطاب امرأة إلى أم تلك البنّت يسأّلها: هل بلغت البنّت، فإن كانت قد بلغت ووصفت الإسلام على الشرط الذي تعتبره العجارة لم يبال كم كان مهرها فقلّت أمها: هي مسلمة في الولاية بلغت أم لم تبلغ فأخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد وثعلبة بن مشكان فاختار عبد الكريم البراءة من الأطفال قبل البلوغ وقال ثعلبة: تحن على ولايتهم صغاراً وكباراً إلى أن يبين لنا من هم إنكار للحق فلما اختلفا في ذلك برئ كل واحد منهمما من صاحبه وصار أتباع كل واحد منهمما فرقاً^(٢).

(١) «مقالات الإسلاميين»، (ص ٨٧١)، و«الفرق بين الفرق» (ص ٤٧).

(٢) «مقالات الإسلاميين»، (ص ٠٩١)، و«الفرق بين الفرق»، (ص ٠٨).

ثانياً: لبس الحق بالباطل:

ومن صفات الخوارج قديماً وحديثاً، لبس الحق بالباطل، فإن جدهم وشيخهم الأول ذا الخويصرة التمييزي أظهر فتنته بمال في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعوته إلى العدل والتقوى!

وهذه صفة لازمة لهم جميعاً، ولكل أهل البدع أنهم يلبسون الحق بالباطل، ولذلك لما خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: «لا حكم إلا لله» فقال علي لهم: «كلمة حق أريد بها باطل»، وهذه الصفة فيهم لها عدة صور فمن ذلك:

أ/ يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء:

كما في حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء»، فهم في دعوتهم يوهمون الناس أنهم منه ينطلقون، وعنه يصدرون، وليسوا منه في شيء، وقد مضى كثير من ذلك.

ب/ يقولون من قول خير البرية:

ومن تمويههم ولبسهم الحق بالباطل، أنهم «يقولون من قول خير البرية» كما في حديث علي مرفوعاً، وبهذا يوهمون الناس أنهم من أتباعه رسول الله، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إذ الباطل المحض لا يقبل بحال»^(١).

وقال أيضاً: «وأكثر ما ينفق بين المسلمين ما فيه حق وباطل إذ الباطل؛ المحض لا يقى بينهم، وذلك يتضمن التحالف على غير ما أمر الله به والتبدل لدين الله بما لبس من الحق بالباطل، وهذه حال اليهود والنصارى وسائر أهل الضلال فإنهم عدوا عما أمرهم الله باتباعه فليسوا بباطل ابتدعواه بدلوا به دين الله وتحالفوا على ذلك الذى ابتدعواه»^(٢)

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/١٥).

(٢) «جامع الرسائل» لابن تيمية - ت: رشاد سالم (٢/٧١٣).

ج/ ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين:

كما في أثر ابن عمر: «انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»^(١).

وعن ابن أبي زيد: «أنه جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١]، قال له: أليس الذين كفروا بربهم يعدلون؟ قال: بل! قال: وانصرف عنه الرجل، فقال له رجل من القوم: يا بن أبي زيد، إن هذا قد أراد تفسير هذه غير هذا! إنه رجل من الخوارج! فقال: ردوه على، فلما جاءه قال: هل تدرى فيمن نزلت هذه الآية؟ قال: لا! قال: إنها نزلت في أهل الكتاب، اذهب، ولا تضعها على غير حدتها»^(٢).

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن ابن أبي زيد، عن علي قال: «أتاه رجل من الخوارج فقال له: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١]. أليس كذلك؟ قال: نعم، فانصرف عنه ثم قال له علي: ارجع ارجع، أي: قل: إنما نزلت في أهل الكتاب وهم الذين عدلوا بربهم، يعني أهل الكتاب»^(٣).

وهذا كله من تلبيسهم ولبسهم الحق بالباطل.

د/ يتبعون المتشابه من القرآن «يؤمنون بمحكمه ويصلون عند متشابهه»:

والخوارج يتبعون المتشابه من القرآن، ولا يردونه إلى المحكم، وفي ذلك أثر أبي أمامة في تفسير قوله: «فَمَآمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَبِيعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ أَبْتَغَاهُ الْفَسَنَةُ وَأَبْتَغَاهُ تَأْوِيلَهُ»^(٤) قال: هم الخوارج».

وعن طاوس قال: «ذكر لابن عباس الخوارج وما يصيغ لهم عند قراءة القرآن،

(١) ذكره البخاري معلقاً مجزوحاً به في باب «قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم».

(٢) رواه الطبراني في «جامع البيان» (١١/ ٣٥٢) برقم (٥٤٠٣١)، ط: شاكر.

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٦٢٠).

(٤) أخرجه أحمد في «المسندي» (٩٥٢٢٢) (٤/ ٦٢٠).

قال: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عن متشابهه، وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ^(١)
وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَهُدِّي إِلَيْهِمْ^(٢)﴾ [آل عمران: ٧].

وقال سعيد بن جبير: «أما المتشابهات: فهن آئي في القرآن يتشاربن على الناس إذا قرؤوهن، من أجل ذلك يضل من ضل من ادعى هذه الكلمة، كل فرقه يقرؤون آيات من القرآن، ويزعمون أنها لهم أصابوا بها الهدى، وما تتبع الحروريه من المتشابه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَهُ يَحْكُمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ^(٣)﴾، ويقرؤون معها: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ^(٤)﴾ [الأنعام: ١]، فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه فقد أشرك؛ فهو لاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون مارأيت؛ لأنهم يتأولون هذه الآية^(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ مَا يَدْعُوكَ مَعْلُومًا هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخُرُ مُتَشَبِّهِتِ^(٦) فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهُ بِهِ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَهُدِّي إِلَيْهِمْ^(٧)﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يَهُدِّي إِلَيْهِمْ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ^(٨)». قال: «فَإِذَا رأيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمِّيَ اللَّهُ فَاحْذِرُوهُمْ^(٩)».

وصفات الخوارج في الأحاديث كثيرة جداً ولكن هذه أظهرها، وهي مما يتعلّق ببحثنا أصالة والله الموفق.



(١) «الشريعة» للأجري (١/٤٤١). و«المصنف» لابن أبي شيبة (٧/٦٥٥). (٢٠٩٧٣).

(٢) آخرجه الآجري في «الشريعة» (٤٤).

(٣) قال: «فاحذروهم» ولم يقل: فاحذروا بدعهم كما يقول أهل التمييع.

(٤) آخرجه البخاري في «صحيحه»، برقم (٣٧٢٤)، ومسلم في «صحيحه»، برقم (٥٦٦٢).

لماذا «داعش» من الخوارج؟

لقد بَيَّنَ كثِيرًا أثناء هذا البحث لماذا داعش من الخوارج، ولكنَّه متناثر في صفحات البحث، مما قد يغيب عن بعض القراء ولذلك نجمل ما فصلناه من قبْلٍ في أسبابِ كون داعش قرْنًا من قرونِ الخوارج في هذا العصر، لاسيما وكثير من الناس يسأل: كيف تكون داعش خوارج ولم يخرجوا إلا على الكافرين من الروافض والنصيرية فكيف يكونون من الخوارج؟

الجواب:

كلَّ أهل البدع خوارج كما كان أَيُوب السختياني يسمى أصحاب البدع: خوارج، ويقول: «الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف»^(١).

ولذلك كان يستدل بأحاديث الخوارج على أهل البدع جميًعا؛ فعن سلام بن أبي مطیع قال: «قال سعيد لأَيُوب: يا أبا بكر، إنَّ عمرو بن عبيد قد رجع عن قوله، قال سلام: وكان الناس قد قالوا ذلك تلك الأيام إنَّه قد رجع قال أَيُوب: إنه لم يرجع قال: بل إنه قد رجع قال: إنه لم يرجع، قالها غير مرَّة ثم قال أَيُوب: أما سمعت إلى قوله يعني في الحديث: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه» إنه لا يرجع أبداً».

وعمرُو بن عبيِّد من أهل الاعتزاز كما جاء في السنة عن سلام بن أبي مطیع قال: «كنت أمشي مع أَيُوب في جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن

(١) انظر: «الشريعة» للأجري (٧٥٠٢).

عبيد في الاعتراف، ثم تركوا رأيه ذلك وفارقواه قال: فقال لي أئوب من غير أن أسأله:
لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه»^(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما
هم عليه من العبادة والزهاده أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم وقتلهم
علي بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلوات الله عليه وذلك لخروجهم عن سنته النبي
وشرعه»^(٢).

وقال رحمه الله بعد ذكر حديث الخوارج: «فهؤلاء أصل ضلالهم: اعتقادهم في
أئمة المهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالون وهذا مأخذ
الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا،
ثم يرتبون على الكفر أحکاماً ابتدعواها.

فهذه ثلاثة مقامات للخارجين من الحرورية والرافضة ونحوهم، في كل مقام
تركوا بعض أصول دين الإسلام حتى مرقوا منه كما مرق السهم من الرمية.

وفي «الصحيحين» في حديث أبي سعيد: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون
أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لاقتلتهم قتل عاد» وهذا نعت سائر الخارجين كالرافضة
ونحوهم؛ فإنهم يستحلون دماء أهل القبلة - لاعتقادهم أنهم مرتدون - أكثر مما
يستحلون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدين؛ لأن المرتد شر من غيره»^(٣). اهـ.

وهؤلاء إنما اختصوا بذلك الاسم لقرب العهد، ولا يمنع ذلك جريانه على
غيرهم.

كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى -: «وهذه النصوص المتواترة عن
النبي صلوات الله عليه في الخارج قد أدخل فيها العلماء لفظاً أو معنى من كان في معناهم من أهل

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (٢/٨٣٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/٣٧٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٨٢/٧٩٤).

الأهواء الخارجين عن شريعة رسول الله ﷺ وجماعة المسلمين؛ بل بعض هؤلاء شر من الخوارج الحرورية؛ مثل الخرمية والقرامطة والنصيرية وكل من اعتقد في بشر أنه إله أو في غير الأنبياء أنهنبي وقاتل على ذلك المسلمين: فهو شر من الخوارج الحرورية.

والنبي ﷺ إنما ذكر الخوارج الحرورية لأنهم أول صنف من أهل البدع

خرجوا بعده؛ بل أولهم خرج في حياته؛ فذكرهم لقربهم من زمانه كما خص الله ورسوله أشياء بالذكر لوقعها في ذلك الزمان مثل قوله: ﴿وَلَا نَقْتُلُو أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِلَّا لَقِيَ﴾ [الإسراء: ٣١]. وقوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ونحو ذلك، ومثل تعين النبي ﷺ قبائل من الأنصار وتخصيصه أسلم وغفار وجهينة وتميّزا وأسدًا وغطfan وغيرهم بأحكام؛ لمعان قامت بهم وكل من وجدت فيه تلك المعان الحق بهم؛ لأن التخصيص بالذكر لم يكن لاختصاصهم بالحكم؛ بل لحاجة المخاطبين إذ ذاك إلى تعينهم؛ هذا إذا لم تكن الفاظه شاملة لهم^(١).

وقال ﷺ: «ولهم [أي: الخوارج] خاصتان مشهورتان فارقوها بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهره في وجه النبي ﷺ؛ حيث قال له ذو الخويصة التمييزي: «اعدل فإنك لم تعدل» حتى قال له النبي ﷺ: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقدر خبرت وخسرت إن لم أعدل». فقوله: «إنك لم تعدل» جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهًا وترك عدلاً وقوله: «اعدل» أمر له بها اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح.

وهذا الوصف تشتراك فيه البدع المخالف للسنة فقاتلها لابد أن يثبت ما نفته السنة، وينفي ما أثبتته السنة، ويحسن ما قبحته السنة ويقبح ما حسنت السنة، وإلا لم

(١) «مجموع الفتاوى» (٨٢/٦٧٤).

يُكَن بِدُعَةٍ، وَهَذَا الْقَدْرُ قَدْ يَقُولُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ خَطَأً فِي بَعْضِ الْمَسَائلِ؛ لَكِنْ أَهْلُ الْبَدْعِ يُخَالِفُونَ السُّنَّةَ الظَّاهِرَةَ الْمَعْلُومَةَ.

وَالْخَوارِجُ جُوَزُوا عَلَى الرَّسُولِ نَفْسَهُ أَنْ يَجُورُ وَيُضَلِّلُ فِي سَنَتِهِ وَلَمْ يَوْجِبُوا طَاعَتَهُ وَمَتَابِعَتَهُ، وَإِنَّا صَدَقْنَا فِيهَا بِلِغَةِ الْقُرْآنِ دُونَ مَا شَرَعَهُ مِنَ السُّنَّةِ الَّتِي تَخَالَفُ بِزَعْمِهِمْ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ.

وَغَالِبُ أَهْلِ الْبَدْعِ غَيْرُ الْخَوارِجِ يَتَابِعُونَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى هَذَا؛ فَإِنَّهُمْ يَرَوُنُ أَنَّ الرَّسُولَ لَوْ قَالَ بِخَلَافِ مَقَالَتِهِمْ لَمَا اتَّبَعُوهُ، كَمَا يَحْكُمُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي حَدِيثِ الْصَادِقِ الْمَصْدُوقِ وَإِنَّا يَدْفَعُونَ عَنْ نَفْوِهِمُ الْحَجَةَ: إِمَّا بِرُدِ النَّقلِ؛ وَإِمَّا بِتَأْوِيلِ الْمَنْقُولِ، فَيَطْعَنُونَ تَارِيَةً فِي الْإِسْنَادِ وَتَارِيَةً فِي الْمُتَّنَّ، وَإِلَّا فَهُمْ لَيْسُوا مُتَّبِعِينَ وَلَا مُؤْمِنِينَ بِحَقِيقَةِ السُّنَّةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الرَّسُولُ بَلْ وَلَا بِحَقِيقَةِ الْقُرْآنِ.

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أَنَّهُمْ يَكْفِرُونَ بِالذُّنُوبِ وَالسَّيَّئَاتِ، وَيَرْتَبُ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ بِالذُّنُوبِ اسْتِحْلَالُ دَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَنَّ دَارَ الْإِسْلَامِ دَارُ حَرْبٍ وَدارُهُمْ هِيَ دَارُ الْإِيمَانِ، وَكَذَلِكَ يَقُولُ جَمِيعُ الرَّافِضَةِ؛ وَجَمِيعُ الْمُعَتَزَّلَةِ؛ وَالْجَهَمِيَّةِ؛ وَطَائِفَةٌ مِنْ غَلَّةِ الْمُتَّسِّبَةِ إِلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفَقَهِ وَمُتَكَلِّمِهِمْ، فَهَذَا أَصْلُ الْبَدْعِ الَّتِي ثَبَّتَ بِنَصِّ سَنَةِ الرَّسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ السَّلْفِ أَنَّهَا بَدْعَةٌ وَهُوَ جَعْلُ الْعَفْوِ سَيِّئَةً وَجَعْلُ السَّيِّئَةِ كُفْرًا.

فَيُنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذِرَ مِنْ هَذِينَ الْأَصْلِينِ الْخَبِيْثَيْنِ، وَمَا يَتَوَلَّهُمْ مِنْ بَغْضٍ الْمُسْلِمِينَ وَذَمِّهِمْ وَلَعْنِهِمْ وَاسْتِحْلَالِ دَمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَهَذَا الْأَصْلَانُ هُما خَلَافُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَمَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ فَيَأْتِي بِهِ أَوْ شَرَعَتْهُ فَهُوَ مُبِتَدِعٌ خَارِجٌ عَنِ السُّنَّةِ، وَمَنْ كَفَرَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا رَأَاهُ ذَنْبًا سَوَاءً كَانَ دِينًا أَوْ لَمْ يَكُنْ دِينًا، وَعَامَلَهُمْ مَعَالَةَ الْكُفَّارِ فَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، وَعَامَةُ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ إِنَّهَا تَنْشَأُ مِنْ هَذِينَ الْأَصْلِينِ^(١).

وَكُلُّ هَذَا يَنْطِبِقُ تَامًا الْأَنْطِبَاقُ عَلَى دَاعِشَ، وَلَوْ لَمْ يَحْمِلُوا السَّلَاحَ إِلَّا عَلَى

(١) «مُجْمُوعُ الْفَتاوَى» (٩١/٢٧).

الرافضة، بل ولو لم يحملوه أصلًا، فلا تغفل عن الخوارج القعدة الذين سبق بيان حاهم، وهم: الذين يزينون الخروج على الحكام ولا يباشرونه بأنفسهم، وداعش لم تزین الخروج فحسب بل كفرت جميع الحكام في كل البلاد المسلمة، وأتباعهم في كل بلد يكفرون حكامهم ويخرجون عليهم، وما يحدث من تفجيرات واغتيالات في سيناء ليس عنا بعيد، فلكل ما سبق كانت داعش من الخوارج.

وإليك إجماله، فنقول:

أولاً: اتفاقهم على أصل واحد وهو التكفير بالحكم، أو ما أسموه هم بالحاكمية^(١)، وقد سُموا قدريًا بالمحكمة، وهذا الأصل يجمع الخوارج في كل زمان ومكان، فإذا رأيت الرجل يكفر بهذا الذنب فاعلم أنه خارجي، وإن زعم أنه لا يكفر بالذنوب، ولو قال: إن الكفر كفران أكبر وأصغر، فإن أعظم علامة وأصل أصل عند الخوارج التكfir بمسألة الحكم كما مضى في مبحث «مقالات الخوارج».

ثانيًا: لا يحكمون بما أنزل الله، وهذا من عجيب حال الخوارج، فإنهما يكفرون من لم يحكم بما أنزل الله من غير تفصيل، ثم هم أنفسهم لا يحكمون بما أنزل الله، وذاك أنهم أصلًا ضلوا في فهم «ما أنزل الله» فحصروه في الحدود، وهذا غلط عظيم.

والصواب: أن ما أنزل الله هو كل ما جاء به رسول الله فريضة ونفلاً، عبادة وعملًا، عقيدة وخلقًا، وأما الخوارج فإنهم يخالفون في العقيدة والمنهج فيحكمون فيها غير ما جاء عن رسول الله ﷺ فتراهما يقرؤن التعديلية الخزبية، وما يسمى بالجماعات الإسلامية، وغير ذلك من مخالفاتهم في المعتقد والمنهج، وقد مر منه الكثير!

ثالثًا: خروجهم من المشرق! وهذا من أعلام نبوته ﷺ؛ فإنه أخبر أولاً أن الخوارج الأول الذين خرجوا على الصحابة يخرجون من المشرق، وقد كان ما أخبر

(١) قال جامع المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشیخ حماد بن محمد الانصاری (١/٧٤): «وسمعته يقول: كلمة الحاكمية بدعة أصلها من المستشرقين تلقفها منهم بعض الناس».

عنه ﷺ، وأخبره ﷺ عن الفتنة عموماً عبر الزمان تأتي من المشرق عموماً ومن العراق خصوصاً؛ كما جاء عن يسir بن عمرو قال: دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الحرورية، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله ﷺ: «يذكر قوماً يخرجون من ها هنا - وأشار بيده نحو العراق - يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعت لا أزيدك عليه»^(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(٢).

فخرج تنظيم داعش ومن قبله تنظيم القاعدة وكان مخرجهم واحداً وهو المشرق اتفاقاً مع مكان خروج أسلافهم^(٣)، ولا عجب فقد أخبر عن ذلك ﷺ.

رابعاً: الانزال عن المجتمعات المسلمة بعد تكفيها، كذا فعل الخوارج قدّيماً، فقد كفروا الصحابة ثم انزلوا إلى حررراء، وكذلك فعل تنظيم داعش ومن قبله تنظيم القاعدة، فقد كفروا المسلمين واعتبروا أن جميع الديار ديار كفر إلا من ديارهم! ثم انزلوا عنها وعن أهلها! في الجبال والصحاري!

خامساً: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وذلك أنهم يكفرون من لم يكفره الله ورسوله من المسلمين، ويحكمون عليهم بأنهم مرتدون، ثم يقولون: قتال المرتد أوجب من قتال اليهود والنصارى، فيقتلون المسلم ويدعون الكافر! وهذا ما فعلته الخوارج قدّيماً، وهو ما تفعله داعش وأتباعها حديثاً.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٧٧٩٥١)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) أخرجه الترمذى في «سننه» (٨٨١٢)، وغيره، وصححه الألبانى.

(٣) وأعلم أن بعض الفتنة قد لا تخرج من المشرق، ولكن هذا من باب العارض النادر الذي لا يندرج تحت العموم.

سادساً: اتباع المتشابه من القرآن، فكما استدللت الخوارج الأول بآيات من القرآن هن من المتشابهات كآيات الحكم، واتبعوا ذلك؛ فعلت خوارج العصر من داعش وغيرها، وهذه صفة عامة لكل من خالف منهاج النبوة ولذلك قال فيهم رب العالمين: «**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ مِنْهُ إِنَّمَا تُحَكِّمُتُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَبِ وَأُخْرُ مُتَشَدِّهِتُ** فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَرَبٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ أَيْغَاءَ الْقِسْنَةِ وَأَيْغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَهُ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَدْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» [آل عمران: ٧]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا تَشَبَّهُ الْجِنُّ بِمَا لَدُنْهُمْ فَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ الْمُؤْمِنُونَ

الذين سمي الله فاحذروهم».

سابعاً: كثرة الاختلافات والانشقاقات، فقد رأيت كيف اختلفت الخوارج قدّيماً إلى قعدة، وأزارقة، وعجارة... إلخ، فقد انقسم وارثو ضلامهم حديثاً إلى إخوان ثم إلى جهاديين -بزعمهم- ثم تنظيم القاعدة ثم تنظيم الدولة داعش ولا زالت الانشقاقات والاختلافات بينهم «**فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زِبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدُنْهُمْ فَرِحُونَ**» [٥٣] [المؤمنون: ٥٤].

ثامناً: اتخاذهم الشعارات البراقة يخدعون بها الناس، يقولون الحق يريدون به أبطل الباطل كما قالـتـ الخوارج قدّيماً: «لا حكم إلا لله»، كذلك قالت داعش: نريد أن نطبق حكم الله، نريد أن نقيم خلافة رسول الله، ولكنـهمـ كما قال ﷺ: «يقولون الحق بالـسـنـتمـ لا يجوز هذا، منهمـ، وأشارـإـلىـ حلـقهــ منـأـبغـضـ خـلـقـ اللهـ إـلـيـهـ».

تاسعاً: حداثة سنـهمـ وقلة علمـهمـ وانتشارـالـجهـلـ بينـهمـ وعدم وجودـعلمـاءـ فيـهمـ، وكلـذلكـ وجدـفيـ الخـوارـجـ قدـيـماـ كماـ مرـ، وهوـأـكـدـ فيـ الخـوارـجـ حـديثـاـ، فإـنـهمـ هـمـ السـفـهـاءـ أحـلـاماـ، الحـدـثـاءـ أـسـنـانـاـ، ووـجـودـ العـلـمـاءـ فيـهمـ كـولـوجـ الجـملـ منـ سمـ الـخـيـاطـ، وإـلاـ لـتـرـكـهـمـ، وـتـبـرـأـ منـ شـنـاعـاتـهـمـ؛ وـقـدـ سـبـقـ النـقـلـ عـنـهـمـ بأـقـلـامـهـمـ وـاعـتـرـافـاتـهـمـ بـعـدـ وجودـ عـلـمـاءـ فيـهمـ!

عاشرًا: يسفكون الدم الحرام، وذلك لجهلهم وقبح منهجهم وسوء معتقدهم، فيكرون المسلم ثم يستحلون منه ما يستحلون من الكافر، ويزعمون أنهم مجاهدون وشرط الجهاد العلم، وهذا دأب الخوارج من قديم، ولذلك قال فيهم علي عليه السلام: «إِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرَّ النَّاسِ» أي: لا يتحاشون من بر ولا فاجر، ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى! ولا حربٍ ولا غيره وهذا ما يفتون به الآن ويقررونه بين جنودهم ويفعلونه بتفجيراتهم.

الحادي عشر: زعمهم أن ديارهم وحدهم هي دار الإيمان، وديار غيرهم هي دار الكفر والطغيان، وهذا من أصول الخوارج في كل زمان كما قال شيخ الإسلام في بيان حال الخوارج: «الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة؛ وجمهور المعتزلة؛ والجهمية؛ وطائفة من غالة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم، فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفراً^(١).

وبيهذا تعلم أن داعش هم قرن الخوارج في هذا العصر، وقد تبين ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، فإذا علمت أنهم خوارج؛ فعليك أن تعلم ماذا يبني على كونهم خوارج؟!



(١) «مجموع الفتاوى» (٩١/٢٧).

ماذا ينبيي على معرفة كون داعش من الخوارج

إذا ثبت - وقد ثبت - أن داعش هي قرن الخوارج في هذا العصر، فإنه ينبيي على ذلك عدة أمور ينبغي معرفتها من ذلك:

أولاً: أنهم أهل بدعة وفرقة، وأنهم فرقة مارقة مخالفة لمنهج النبوة، وبهذا تعلم كذبهم وضلالهم وانحرافهم في زعمهم أنهم الخلافة الراشدة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ أنها تكون في آخر الزمان، وقد سبق بيانه كثيراً أثناء البحث.

ثانياً: وجوب توبتهم ورجوعهم إلى السنة والجماعة؛ فإن شأن البدعة والفرقة خطير وعاقبتها وخيمة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(١) ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٢) [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

وعن علي رَوَاعْتُهُ أنه سُئل عن هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(١) قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا^(٢) قال: «لا أظن إلا إن الخوارج منهم».

وقال الطبرى رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَعْدَ ذِكْرِ أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ: «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، أَنْ يَقَالُ: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ عَنِّي بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(١) كُلُّ عَامِلٍ أَعْمَالًا يُحْسِبُهُ فِيهِ مَصِيبَةً، وَأَنَّهُ اللَّهُ بِفَعْلِهِ ذَلِكَ مَطِيعٌ مَرْضٍ، وَهُوَ بِفَعْلِهِ ذَلِكَ اللَّهُ مَسْخَطٌ...»^(٣).

وإن الخوارج وأهل البدع جيئاً يشملهم قول النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مر على شرب ومن شرب لم يظماً أبداً، ليりدن على أقوام أعرفهم

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/٣٩٣٢) برقم (١٠٠٣١).

(٢) «تفسير الطبرى» (٨١/٧٢١).

ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا
بعده؟ فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي^(١).

والأدلة كتاباً وسنة كثيرة في بيان خطر البدعة على أهلها في الدنيا والآخرة؛ فلم

يرضى العبد لنفسه السوء وخاتمة السوء؟!

إن باب التوبة مفتوح ما لم يغرغرا^(٢) العبد، وما لم تطلع الشمس من مغربها^(٣)؛
فالتبوية التوبة يا من تريد الحق، وأما أهل الأهواء منهم فقد قال عَزَّ ذِيَّلَهُ: «يمرقون من
الدين... ثم لا يعودون فيه»، فأهل الأهواء لا يوفقون للتوبة لتركهم الحق بعد أن
عرفوه، نعوذ بالله من الهوى وأهله.

ثالثاً: أنهم أخطر وأضر على المسلمين من اليهود والنصارى؛ فعن أبي ذر، قال:
قال رسول الله عَزَّ ذِيَّلَهُ: «إن بعدي من أمتي -أو سيكون بعدي من أمتي- قوم يقرؤون
القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم
لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخلية»^(٤)، فتأمل في وصفه عَزَّ ذِيَّلَهُ لهم بأنهم شر الخلق
والخلية.

وقال ابن الجوزي رَحْمَةُ اللَّهِ: «قال أبو الوفاء علي بن عقيل الفقيه: قال شيخنا
الحمداني: مبتدعة الإسلام والوضاعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين
قصدوا إفساد الدين من الخارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل؛ فهم كأهل
بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالمحاصرين من الخارج، فالدخلاء يفتحون

(١) متفق عليه.

(٢) عن ابن عمر، عن النبي عَزَّ ذِيَّلَهُ قال: «إن الله -تبارك وتعالى- يقبل توبه العبد ما لم يغرغرا». رواه ابن ماجه
والترمذى وحسنه الألبانى فى «المشکاة» (٣٤٣٢ و ٩٤٤٢).

(٣) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله عَزَّ ذِيَّلَهُ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه». رواه مسلم (٣٠٧٢).

(٤) رواه مسلم (٧٦٠١) باب: الخوارج شر الخلق والخلية.

الحسن؛ فهم شر على الإسلام من غير الملايين له»^(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيف التي سلت على أهل القبلة من ينتسبون إليها، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين من ينتسبون إلى أهل القبلة إنما هو من الطوائف المتسبة إليهم؛ فهم أشد ضرراً على الدين وأهله»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فهم أعظم ضرراً على الإسلام وأهله من أولئك! لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هدم قواعده وقلع أساسه وهم يتوهون ويجهلون أنهم ينصرونه»^(٣).

رابعاً: وجوب التحذير منهم ومن أتباعهم، وبطلان شبهة السكوت عنهم بزعم أن الكلام فيهم إضعاف للمجاهدين في سبيل الله - زعموا - وهي شبهة باطلة؛ لأن الخوارج لا يجاهدون في سبيل الله إنما يستحلون دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم بزعم أنهم مرتدون، وأن قتالهم أو جب من قتال اليهود والنصارى؛ وقد مر علينا أنهم أضر على المسلمين من اليهود والنصارى ومن المقرر «أن الضرر يزال» وفي الحديث «لا ضرر ولا ضرار».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»^(٤).

وقال رحمه الله: «... فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، وقد نبهنا على بعض

(١) «الموضوعات» (١/١٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨٢/٩٧٤).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/١٢٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٨٢/٢٣٢).

ما به يعرف معناها وأنه باطل، والواجب إنكارها؛ فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى، الذي لا يضل به المسلمون، لاسيما وأقوال هؤلاء شر من أقوال اليهود والنصارى^(١).

خامسًا: بطلان دعوى وجوب إعانتهم لأنهم يقاتلون الروافض والكافر، فإن الخوارج كما قال عنهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، وعليه فهو لاء إعانتهم إعانته على هدم الدين وقتل المسلمين، ولعموم لعنه لكل من أعاذه أو نصر محدثاً^(٢).

وقد سبق ذكر حديث أنس بن مالك وتأمل فيه كيف أمر بقتل من صفاته كيت وكيت ومنها «قوته في الجهاد» قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: كان فينا شاب ذو عبادة وزهد، «وفي رواية: فذروا له من قوته في الجهاد والاجتهاد في العبادة»، «وفي رواية: رجل حسن السمت ذكروا من أمره أمراً حسناً» فوصفناه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ، وسمينا باسمه، فلم يعرفه، فبيانا نحن كذلك إذ أقبل، فقلنا: يا رسول الله هو ذا، فقال: «إني لأرى على وجهه سفعة من الشيطان» فجاء فسلم على القوم، فردو السلام، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: «أجعلت في نفسك أن ليس في القوم أحد خير منك؟» قال: نعم، ثم ولى، فدخل المسجد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: «من يقتل الرجل؟» فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، فدخل المسجد، فوجده يصلى فقال أبو بكر: وجدته يصلى، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، فقال «من يقتل الرجل؟» فقال عمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: أنا يا رسول الله فدخل المسجد فوجده ساجداً، فقال: «أقتل رجلاً يصلى وقد نهانا عن ضرب المصلين» فجاء، فقال له النبي: «مه يا عمر» قال وجدته ساجداً، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين، وفي رواية: أنه قال لكل من أبي بكر وعمر «اجلس فلست بصاحبه» ثم قال: «من يقتل الرجل؟» فقال علي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: أنا، فقال: «أنت تقتله إن وجدته»، فذهب علي فجاء فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: «مه يا علي» قال:

(١) «مجموع الفتاوى» (٩٥٣/٢).

(٢) قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ: «... ولعن الله من آوى محدثاً». رواه مسلم (٨٧٩١).

وَجَدْتَهُ قَدْ خَرَجَ، فَقَالَ: «أَمَا إِنْكَ لَوْ قَتَلْتَهُ لَكَانَ أَوْلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ، وَمَا اخْتَلَفَ مِنْ أُمَّتِي
اثْنَانِ»^(١).

فَلَمْ يُسْكِنْ عَنْهُ عَزَّلَهُ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ كُونِهِ ذُو نِكَايَةٍ بِالْعُدُوِّ وَاجْتِهَادٍ وَإِنَّمَا أَمْرٌ بِقتْلِهِ، تَنْقِيَةٌ
لِلصَّفِ؛ إِذَا لَمْ يَكُونْ النَّصْرُ مَعَ الدِّخْلَاءِ، حَتَّى يَطْهُرَ الصَّفِّ مِنْهُمْ.

وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «مِنْ أَعْنَانِ صَاحِبِ الْبَدْعَةِ فَقَدْ أَعْنَانَ عَلَى هَدْمِ
الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ اسْتَخْفَ بِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَزَّلَهُ اللَّهُ عَنْهُ^(٢)».

سَادِسًا: عَدْمُ الْاَغْتِرَارِ بِمَا قَدْ يَظْهَرُونَهُ مِنْ صَلَاحٍ ظَاهِرٍ كَأَسْلَافِهِمُ الْمَاضِينَ؛
لَأَنَّ هَذَا هُوَ الشَّرَكُ الَّذِي يَصِيدُونَ بِهِ الْأَغْرَارَ الْأَغْرَارَ مِنَ الشَّيْبَةِ الصَّغَارِ، وَهَذِهِ مَا
يُؤْسِفُ لَهُ حَقًّا! أَنْ يَتَشَرَّشُ الْمَنْهَاجُ الْخَارِجِيُّ بَيْنَ الشَّابِّ الْمُتَحَمِّسِ لِلَّدِينِ فَضْلًا عَنْ أَنْ
يَكُونُوا سَلَفِيِّينَ -زَعْمَوَا!

وَقَدْ حَذَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْاَغْتِرَارِ عَمومًا فَقَالَ: «يَحْقِرُ أَهْدِكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ
صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَرْوَقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ» فَكَمَا
لَا يَغْتَرُ بِصَلَاتِهِمْ وَبِصِيَامِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكِ؛ فَلَا يَغْتَرُ بِهَا يَظْهَرُونَهُ مِنْ حَسْنِ مَعْتَقَدِهِ أَوْ
إِنْتِسَابِهِ إِلَى السَّلْفِيَّةِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَذَبَةُ أَدْعِيَاءِ!

سَابِعًا: أَنَّهُمْ قَرْنٌ مَقْطُوْعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَاجِلًا أَمْ آجِلًا لِلْخَبَرِ الَّذِي مَرَ «كُلُّمَا
خَرَجَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قَطْعٌ» وَلِعُومَمِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا الْأَرْبَدُ فَيَذَهَّبُ جُفَاءً وَمَمَّا مَيَّنَفَ النَّاسَ
فَمَمَّكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ أَمَّا ثَالِثًا﴾ [الرَّعد: ١٧] فَرِيدُ الدُّوَاعِشِ ذَاهِبٌ جُفَاءً
-إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى- وَلَا يَبْقَى إِلَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ؛ وَهُمْ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الْفَرَقَةِ

(١) الْأَجْرِيُ فِي «الشَّرِيعَةِ» (٥٠)، و«مَعْجمُ ابْنِ الْمَقْرَبِ» (١١٤)، و«الْأَحَادِيثُ الْمُخْتَارَةُ» لِلضِّيَاءِ الْمَقْدِسِيِّ (٩٩٤٢).

وَقَالَ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ»، وَعِنْ أَبِي نَعِيمَ فِي «الْحَلِيلِ» (٣/٥٩)، وَالْبَزَارُ (كَشْفُ الْأَسْتَارِ ١٥٨١)، وَانْظُرْ:
«مَجْمُوعُ الزَّوَائِدِ» (٩٩٣٠١، ٩٩٤٠١، ١٠٤٥١).

(٢) «شَرْحُ السَّنَةِ» لِلْبَرْبَارِيِّ، (ص ٩٣١).

الناجية والطائفه المنصورة؛ قال رسول الله ﷺ «لا تزال طائفه من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيمة فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» فأهل السنة باقون ظاهرون على الحق حتى يقاتلو مع مسيح الهداي المسيح ابن مريم؛ وأما الخوارج فكلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج آخرهم مع مسيح الضلاله المسيح الدجال.
ما يجب علينا تجاه الخوارج:

إذا تبين لك ما سبق فلا بد من التحذير من منهج الخوارج مهما اختلف اسمه أو تنوعت صوره، فيجب التحذير من الإخوان والقطبيين والقاعدة والدواعش والنصرة وغيرهم مثل ما يسمى كذباً وزوراً بالدعوة السلفية بالأسكندرية، ومن دافع عنهم أو رضي منهجهم كمحمد حسان وأبي إسحاق الحويبي و محمد حسين يعقوب ومصطفى العدوي وأحمد النقيب وعبد الرحمن عبد الخالق والعريفي والقرني والعودة والحوالى وأفرادهم ومن لف لهم، وهذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمرنا به -كُلٌ على قدر استطاعته ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها- وهو من علامات خيرية هذه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَآتُوا إِمَانَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانُوا خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهو سبب فلاحها؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

و هو من أعظم أسباب نصرها؛ قال سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُمَّ مَنِ يَصْرُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَلَّهُ عَنِّيْبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١، ٤٠].

وهذا الأمر -الذي يزهد فيه أهل البدع جيئاً في القديم وفي الحديث- ألا وهو التحذير من البدع وأهلها من أعظم القرب والأعمال الصالحة، وإن لم نقم بهذا

الواجب أفراداً وجماعات خرقت السفينة وغرقت بأهلها، ولا ت حين مندم !
فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مثُلُ القائم عَلَى حدودِ اللهِ
وَالوَاقِعُ فِيهَا، كَمِثُلِ قومٍ اسْتَهْمَوْا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَهُمْ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ
أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ
أَنَا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِنْ مِنْ فَوْقَنَا، إِنَّ يَتَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلْكَوْا جَمِيعاً،
وَإِنْ أَخْذُوْا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجُوا، وَنَجُوا جَمِيعاً» ^(١).

وببناء على ما سبق:

فيجب التعاون بين الدعاة على محاربة منهج الخوارج من خلال الخطاب
والدروس والندوات والرسائل الصغيرة والكبيرة، وجميع وسائل الدعوة المقرءة
والمسموعة، ونشر ذلك كله عبر شتى الوسائل المباحة المتاحة.

- * وكذلك يجب التعاون بين الإخوة في التحذير من منهج الخوارج؛ كل على
قدر علمه لاسيما بالدعوة الفردية كل في محيط بيته.
- * ويجب هجر أتباعهم وتحذير الناس منهم.
- * ويجب التعاون ما بين دول الأمة الإسلامية على الإصلاح - حتى يجمعهم الله
على كلمة سواء - وذلك من وجوه:

- العمل على تطبيق شرع الله تعالى.
- نشر العدل والإحسان ورفع الظلم.
- محاربة الفكر التكفيري بنشر كتب أهل السنة.
- التوعية بالمحاضرات ضد هذا الفكر.
- العناية بطبع كتب أهل السنة والجماعة ونشرها.
- عدم طباعة ونشر كتب الخوارج مثل حسن البنا وسيد قطب ومحمد قطب
وسفر الحوالي ومناع القطان وعائض القرني وغيرهم.

(١) رواه البخاري (٣٤١٢).

نسأله رب العالمين أن يوفق ولاة أمور المسلمين لم يحب ويرضى وأن يلهمهم
رشدهم ويرزقهم البطانة الصالحة إنه ولي ذلك القادر عليه.



الوقاية من فكر الخوارج والدعاشر

أيها الكيس النجيب، والفطن الليب -بعد هذا التجوال في غابات الخوارج، ومستنقعات الدعاشر عقيدة وتأريخا- يجب علينا جميعاً نتعاون فيما بيننا على محاربة عقيدة الهدم بعقيدة البناء!، ومحاربة منهج الدم بمنهج النجاء، ما كان عليه سيد الأنبياء صلى الله وسلام عليه وعلى آله وصحبه النجباء؛ قال الإمام مالك: "السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تحلف عنها غرق".

وقد مر معنا قوله صلى الله عليه وسلم: "قد تركتكم على البيضاء، ليلاها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضواً عليها بالنواجد".
فلا بد من سلوك سبيل النجاة؛ أما من يسلك سبل الهمكة فلا يلوم من إلا نفسه ولا يقول حينئذ: أني؟!، وكيف؟!.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليأس !!

إن القضاء على هذا المرض الخطير يكون بتتجفيف منابعه الفكرية -من دعاء الفتنة والتکفير والخروج، وما إلى ذلك؛ من أفسدوا شباب الأمة، وأوردوهم المهالك- وهذا واجب حتمي؛ لا على المجتمعات فقط بل وعلى الأسر والأفراد كذلك!.

فجهات المسؤولية ثلاثة: "الفرد، والأسرة، والمجتمع".

أولاً: المسؤولية الفردية:

فعلى كل فرد منا أن يلزم خمساً هي: العلم والتعلم، والتمسك بالجماعة والبعد عن الحزبية، لزوم العلانية واجتناب السرية، البعد عن دعوة التکفير والتفجير ومُبغضة

الأوطان، وأخيراً التجدد للحق وعدم الاغترار بزخارف الباطل.

١- العلم والتعلم:

إن العلم هو النور الذي يبده الله به ظلمات الجهلة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنْ أَنَّهُ نُورٌ وَّكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [١٥] يهدى به الله من أتَى بِرَضْوَانَكُمْ سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ يَادِنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُّسْتَقِيمٍ [المائدة: ١٥ - ١٦]، ولذلك كان فريضة على كل مسلم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم^(١)، ومن أعرض عنه سلك سبل الضلال فهلك وأهلك؛ ولذلك وجدنا عامة من خرجوا على الصحابة رضي الله عنهم وكفروهم من الجهلة قليل العلم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام كما مر معنا، ومر معنا أن علياً رضي الله عنه حاجتهم بالعلم، وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما، وغيرهما من السلف الصالحين، فعليك بطلب العلم على منهاج السلف الصالح ففيه السلامة والحكمة في الأمور كلها.

٢- التمسك بالجماعة والبعد عن الحزبية:

إن التمسك بالجماعة هو الحصن والعصمة التي علق الله رب العالمين عليها السلامة والقوة كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْرَعُوا فَنَفَّشُوا وَتَدْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحذر سبحانه من الفرقة والتحزب فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [٣٢]، ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَهُمْ فَرَحُونَ﴾ [الروم: ٣٢-٣١]، وببرء سبحانه نبيه أن يكون من فرقوا دينهم وكانوا شيئاً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ مُمْكِنٌ لِّيُتَبَعُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الدُّثُبُ الْقَاسِيَةَ»^(٢)، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً في ذم الفرقة والتحزب

(١) حسنة الألباني في المشكاة برقم (٨١٢).

(٢) حسنة الألباني في المشكاة برقم (٧٦٠١).

بصورة عامة وبيان أنها سبب لظهور هذه الضياع الضاربة، فقال صلى الله عليه وسلم: «يخرجون على حين فرقة من الناس»^(١)، فعليك بالجماعة وإياك والفرقة في أمور دينك كلها، فلتكن صلاتك مع الناس وصيامك مع الناس... إلى آخر ذلك.

٣- لزوم العلانية واجتناب السرية:

إن العلانية نجاة، وإن السرية هلاكة^(٢)، وما حاك في صدر العبد وخالف أن يطلع عليه الناس فهو الإثم! كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الإثم ما حاك في صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس»^(٣)، ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الأمر لما يترب عليه من مفاسد ومخاطر فقال: «عليك بالعلانية وإياك والسر»^(٤)، وأخرج أبو داود في الزهد عن عمر رضي الله عنه، قال لرجل: «عَلَيْكَ بِالْعَلَانِيَةِ وَإِيَّاكَ الْسَّرِّ، وَإِيَّاكَ وَكُلُّ شَيْءٍ يُسْتَحْيِي مِنْهُ»^(٥)، وأخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: «إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا يَتَنَاجَوْنَ فِي دِينِهِمْ بِشَيْءٍ دُونَ الْعَامَةِ فَاعْلَمْ أَنَّهُمْ عَلَى تَأْسِيسِ ضَلَالٍ»^(٦)، وعامة من غرر به من الشباب كان في السراديب المظلمة بعيداً عن أعين أهل النصح والإرشاد من أهل الاستقامة، فإن العلانية تبعث على التصحيح والتنوير، وأما السرية فتبعد على التكفير والتفجير.

٤- البعد عن دعاة التكفير والتفجير ومبغضه الأوطان:

لقد مر علينا خطورة التكفير وما يؤدي إليه من تفجير وتدمير، ولقد بغض دعاة التكفير أو طان المسلمين إلى نفوس الشباب المغرر بهم؛ فهانت عليهم أوطانهم ومن في أوطانهم، «وهل الوطن إلا حفنة من تراب عفن» كما يقول سيد قطب!، مع أن حب

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٦٣)، ومسلم برقم (٤٦٠١).

(٢) أي في أمور الناس العامة، وليس في عبادة العبد لربه سبحانه وتعالى.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (٣٥٥٢).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم: (٥٧٠١)، وجود إسناده الألباني ثمة.

(٥) الزهد برقم (٩٨).

(٦) جامع بين العلم وفضله برقم (٤٧٧١).

الأوطان فطرة مركوزة في النفوس لا نفوس البشر و فقط بل ونفوس الحيوان والطير، فكيف إذا كانت أوطانا مسلمة وديارا للتوحيد، فعليك بمحاجنة أهل الأفكار السوداء المغرمين بالأشلاء والدماء قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخْوُصُونَ فِي إِيمَانِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(١) الأنعام: ٦٨، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلوات الله عليه وسلم هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ مِنْهُ مَا يَأْتِي مُحْكَمًّا هُنَّ أُمُّ الْكِتَبِ وَآخُرُ مُتَشَبِّهَاتٍ فَامَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْعٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُولُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ اَمَّا بَعْدَ كُلُّ مَنْ عِنْدِنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا اُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشبه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم»^(٢).

٥- التجرد للحق وعدم الاغترار بزخارف الباطل:

إن من أكبر الأسباب المعينة على الوقاية من أي فكر ضال عموما ومن فكر الخوارج خصوصا، هو التجرد للحق طلبا للنجاة في الدنيا والآخرة، وعدم الاغترار بزخارف الباطل، فإن اتباع الهوى يهوي بصاحبها في الهوة السحيقة، وإن اقتداء الحق يعلو به إلى الغايات المنيفة الشريفة، وإن التعصب للأشخاص أو الأفكار أو المناهج من أسباب الردى، ومحاجنة الهدى؛ فابحث عن الحق تجده عند من اتبع سبيل المؤمنين، وإياك أن تحسبه عند شهرة أو كثرة، أو تعرفه ببذل وتصحية، أو بإظهار زهد وعبادة. فما كانت الشهرة دليلا على الحق بل إن أهل السنة غرباء كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «بِدَأَ الْإِسْلَامَ غَرِيبًا وَسِعَوْدَ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ فَطَوْبَى لِلْغَرَبَاءِ». قيل من الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»^(٣)، قال العلامة الشيخ التويجري -رحمه الله-: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ لَا تَعْظِمُ أَقْدَارُهُمْ وَيَعْتَدُ بِأَقْوَاهُمْ بِمَجْرِدِ التَّفْخِيمِ لَهُمْ وَالْتَّنْوِيهِ بِذِكْرِهِمْ، وَإِنَّمَا يَعْتَدُونَ بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ وَاجْتِنَابِ الْبَاطِلِ»، فمن قال منهم بم يوافق الكتاب والسنة فقوله مقبول، ولو كان خامل الذكر عند الناس.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحة» برقم (٣٧٢٤)، ومسلم في «صحيحة» برقم (٥٦٦٢).

(٢) صحيح مسلم (٤٣٣). وزيادة من الغرباء في مسنن أحمد (٦٩٣٦١).

ومن قال بما يخالف الكتاب والسنة فقوله مردود، ولو كان مشهوراً بين الناس»^(١).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام - رحمه الله -: «كثير من المشهورين بالمشيخة في هذه الأزمان قد يكون فيهم من الجهل والضلالة والمعاصي والذنوب وما يمنع شهادة الناس لهم بذلك، بل قد يكون فيهم المنافق، كما أن فيهم من هو من أولياء الله المتقيين وعباد الله الصالحين وحزب الله المفلحين، كما أن غير المشايخ فيهم هؤلاء وهؤلاء في الجنة التجار وال فلاحون وغيرهم من هذه الأصناف». ^(٢).

وما كانت العبرة بالكثرة، وإنما العبرة بموافقة الحق، بل إنك لا تجد الكثرة مذكورة في القرآن إلا ذمًا، وتجد القلة تذكر مدحًا، قال جل وعلا: ﴿ وَإِنْ تُطِعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَلْظَانَ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾^(٣)؛ لأن أكثر من في الأرض من أهل الضلال والغواية، يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾^(٤) ، ومدح الله رب العالمين القلة: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عَبَادِي الشَّكُورُ ﴾^(٥)، واعلم أن الحق لا يعرف بالرجال، وإنما يعرف الرجال باتباعهم الحق، وقال عبد الله بن إسحاق - رحمه الله -: «كان عبد الله بن الحسن^(٦) يكثر الجلوس إلى ربيعة، فتذاكرروا يوماً السنن فقال رجل كان في المجلس: ليس العمل على هذا. فقال عبد الله: أرأيت إن كثر الجهال، حتى يكونوا هم الحكام أفهم الحجة على السنة؟ قال ربيعة: أشهد أن هذا كلام أبناء الأنبياء»^(٧).

كثرة التضحيات والبذل لا يدل على الحق، وقد يبذل المرء ما يبذله من الأموال

(١) فصل الخطاب في الرد على أبي تراب، ص: ٤٦٢.

(٢) بجموع الفتاوى (١١ / ٩١٥ - ١٢٥).

(٣) الأنعام: ٦١١.

(٤) يوسف: ٦٠١.

(٥) سباء: ٣١.

(٦) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٧) الفقيه والمتفقه (١ / ٠٨٣).

والأنفس ظناً أنه في سبيل الرحمن، وهو في حقيقة أمره خالص للشيطان، فهذا عبد الرحمن بن ملجم—قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه—لقد صحي تضحية عظيمة بنفسه ولقد أودي في ذلك إيذاء شديداً، فثبتت على باطله ثباتاً عجياً^(١)، حتى أنه قطع يده فلم يجزع وظل يذكر الله عز وجل، ثم قطعت رجله فلم يجزع وظل يذكر الله عز وجل، فكحلت عيناه بمسار محمي فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عنك بمملوک عرض وجعل يقرأ ﴿أَفَرَا يَأْسِرَ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى أتى على آخر السورة وعيناه تسيلان، فلما أمر أن يقطع لسانه جزع، فقيل له: قطعنا يدك ورجلك وسمينا عينيك يا عدو الله فلم تخزع فلما صرنا إلى لسانك جزعت؟! . قال: ما ذاك من جزع إلا أني أكره أن أكون في الدنيا فواقا لا أذكر الله فأخرجوا لسانه فقطعوه^(٢).

فتأمل—رحمني الله وإياك—في هذا الثبات العجيب، وذاك البذل الغريب، فهل هو معنٍ عن صاحبه شيئاً؟!، فإن منَّ الله عليك وأظهر لك خطأ هذا الاعتقاد، فسله سبحانه أن ينجيك من هذا الوهم الذي يعلق الحق على أناس لأنهم:

وما كانت كثرة العبادة وحدها دليلاً على الحق، أو برهاناً على العلم، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعبد، وفضل الأول على الثاني فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»^(٣). فليست ثمة تلازم بين العبادة والعلم، وإنما فاضل بينهما النبي—صلى الله عليه وسلم—، ولقد كان الخوارج—وهم كلام أهل النار—من أشد الناس عبادة حتى قال النبي لأصحابه: «يحرق أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامهم إلى صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من

(١) فاعلم أنه ليس الشأن أن تكون ثابتة حتى يكون ما أنت ثابت عليه محض الحق، واحذر من الدعاء بمجرد الثبات فقد تكون على ضلاله فتدعوا الله أن يثبتك عليها فتصير بذلك داعياً على نفسك، وإنما قيده بالثبات على الحق، وقد كانت هذه سنة نبينا إذ يقول: «اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك» فاللهم اهدنا إلى الحق وثبتنا عليه.

(٢) تاريخ دمشق (٢٤ / ٥٠٦٥).

(٣) رواه الترمذى (٩٠٦٢)، وصححه الشيخ—رحمه الله—.

الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد»^(١)، وقد كان مخاطبا خير الناس من صحابته وفيهم عمر -رضوان الله عليه- فتأمل كثرة عبادة الخوارج حتى يقرر الصحابة صلاتهم، فهل أغنت عنهم شيئاً لما فسد منهاجم وخراب اعتقادهم؟!، قال البربهاري -رحمه الله-: «وإذا رأيت الرجل مجتهدا في العبادة متقدساً محترقاً بالعبادة صاحب هو فلا تجلس معه، ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق، فإني لا آمن أن تستحل طريقة فتهلك معه»^(٢).

فالعبرة بصحة المعتقد وسلامة المنهج ولا يدل عليهما كثرة العبادة، بل إن كثرة العبادة ما لم يصحبها علم واتباع ضل صاحبها بلا شك، وما حال رهبانبني إسرائيل منك بعيد، فضلاً عما مر معنا من حال الخوارج وما وصفهم به ابن عباس رضي الله عنها من زهادة وعبادة بل وحدث عن زهد عمرو بن عبيد ثم حدث عن بدعته وضلالته ولا حرج! فقد كان من رؤوس أهل البدع المضللين وكان زاهداً عابداً حتى قيل فيه:

كلكم يمشي رويد

كلكم يطلب صيد

إلا عمرو بن عبيد

فلا تحسين كل زاهد على حق، فكثير من الزهاد أول ما زهدوا زهدوا في سنة محمد صلى الله عليه وسلم، فإياك وزخارف الباطل ما ذكرنا لك.

وهذه النقاط في المسؤولية الفردية هي اللبنات التي تتكون منها جدران المجتمعات = المسؤولية الأسرية؛ والتي بدورها يتكون منها بناء المجتمع = المسؤولية المجتمعية؛ فهذه اللبنات = المسؤولية الفردية معنا في كل شيء بعد فتنبه!!.

(١) صحيح البخاري رقم (٠٨٨٦).

(٢) شرح السنة، ص: ٣٦.

ثانياً: المسؤولية الأسرية:

لقد أمر الله رب العالمين المؤمنين في كتابه فقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوَّاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوَّدُهَا أَنَّاسٌ وَالْجِنَّاتُ﴾ التحرير: ٦، فواجب على كل عبد مؤمن أن يحسن نفسه ويقيها ما يكون سبباً في دخوله النار وكذلك هو واجب عليه في أهله وولده قال الإمام الطبرى -رحمه الله- في جامع البيان ت شاكر (٤٩١ / ٢٣): «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿فُؤَانَفْسَكُمْ﴾ يقول: علموا بعضكم بعضاً ما تقوون به من تعلمونه النار، وتدعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله.

وقوله: ﴿وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ يقول: «وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار».

ويقول العالمة السعدي في تفسيرها: «ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امثلاً ونفيه اجتناباً، والتوبة عنها يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل [والأولاد] ، بتاديهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم من هو تحت ولايته وتصرفه».

وقال صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه. فعلى كل أسرة، وعلى كل أب وأم، رعاية من ولاهم الله أمرهم ومتابعتهم مع من يخرجون، وأين يذهبون، وعند من يتعلمون ويحفظون القرآن، ومن يهافهم، وأي قناة يشاهدون، وعلى أي موقع الشبكة يتربدون، مع تمهيد البيئة الصالحة بأن يكون البيت متالفاً يقوم على مبدأ الصراحة والوضوح والمحاورة والباحثة بأن يناقش الوالد أو الوالدة الأبناء ويرشدتهم وينصحهم؛ فينشئون على هذه الطريقة السوية، ول يكن في البيت مكتبة دينية بها فضلاً عن القرآن كتب سنن النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد السلف الصالحين، وغيرها من كتب الفقه في الدين، وحذا لو كان هناك مجلس ولو

أسبوعي في قراءة شيء من ذلك تجتمع عليه أفراد الأسرة ولا ننسى أن نذكر بأهمية وخطورة القنوات التي دخلت أكثر البيوت، بأن تحظر وتحذر القنوات الفاسدة وأن تعمل القنوات الراسدة.

ومما تجدر الإشارة إليه خطأ كثير من ولاة الأمور وربات المنازل، من أنهم إذا ما رأوا أولادهم ظهرت عليهم بوادر التنسك أو ما يعرف بالالتزام، سارعوا إلى محاربته وبطريقة خاطئة مما يبعث الأبناء على تصديق دعوة التكفير من أن المجتمع مجتمع كفري جاهلي يحارب الدين لا سيما في التنسك الظاهر من لحية وقصير ثياب وجلباب ونقاب، وكان عليهم أن يفرحوا بذلك، وأما خوفهم وحذرهم فليكن بما في أفكارهم وعقولهم، فعليهم حينئذ أن يشجعوهم على ما أتوا من خير وأن يحذرؤهم مما وقعوا فيه من شر.

ثالثاً: المسؤولية المجتمعية:

إن المسؤولية المجتمعية عامل رئيس ومؤثر جداً في وقاية المجتمعات من الأفكار الفاسدة والأراء الكاسدة لا سيما الفكر الخارجي التكفيري، ومحاوره كثيرة ترجع في الأساس إلى ثلاث:

الإرشاد الديني مثلاً في الأوقاف، والمؤسسة الدينية=الأزهر.

الإعلام بجميع صوره المقرءة والمسموعة والمشاهدة.

الجيش والقوات المسلحة.

١- الإرشاد الديني:

فإنه واجب على العلماء والدعاة تصحيح مفاهيم الناس، وانتشالهم من الضلالة إلى المدى، فهذه وظيفتهم وهي خير وظيفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ ولذلك وجب على الخطباء والوعاظ في الأوقاف تعليم الناس معتقداتهم الصحيحة وما كان عليه النبي صل الله عليه وسلم وأصحابه قوله وعملاً، وتحذيرهم من كل ما يخالف ذلك سواء من فكر الخوارج التكفيريين أو غيرهم من أهل الضلاله والبدعة،

ومن هنا نعلم أن أهل السنة والجماعة هم أقدر الناس على محاربة الأفكار الرديئة بها هم عليه من الطريقة المرضية، والسبيل السوية، ولقد كان الواقع خير دليل وشاهد!، ولذلك وجب فتح وفسح الطريق لهم على كل منبر في مسجد أو غيره من منابر الكلمة المسنودة، والمكتوبة؛ ليقولوا كلمة الحق، وأما أن يكون الأمر على الصد بأن يحاربوا مع كونهم من أحرص الناس على البناء وسلامة البلاد والعباد؛ فهذا هو العجب العجاب!!.

وعلى أهل الإرشاد الديني جميعاً، لا سيما الرسميين منهم أن يعلموا، ويعلّموا أن المداهنة في الدين لا تزيد الطين إلا بلة، وأنهم يزيدون أفكار الشباب المغرر بهم احتقاناً وسوداوية، لا سيما عندما يداهون في صلب معتقد المسلمين^(١)، كالمداهنة في وحدانية الله عز وجل، كأمر الاعتقاد في كفر النصارى بل والبوذيين أيضاً!! فضلاً عن غيرهم، وليعلموا أن نشر المعتقد الصحيح بوضوح ليس معناه قتل هؤلاء طالما لم يكونوا محاربين فإن كانوا محاربين فإن كل شريعة سماوية أو وضعية لا تقول إلا بمحاربة المحارب والدفاع عن النفس والمال والعرض، ولا يفهم من ذلك أنت لا نقول بجهاد الطلب الذي يكون مع من يحاربون دعوة الإسلام ويعملون نشرها؛ فعاد الأمر إلى المحاربة دفعاً وطلبًا.

وأما سوء فهم البعض كالتكفيريين للمنهج الصحيح منهج السلف الصالح لا يحمل على تشويه وإنكاره وإخفائه؛ بل يحمل على إظهاره ونشره، وبيان ضوابطه ردًا عليهم وتصحيحاً لهم فيعم الحق ويزهق الباطل!.

-٢- الإعلام:

فإن الإعلام منذ قديم من أكبر وسائل تغيير المفاهيم سواء بالحق أو بالباطل، والواجب على القائمين على الإعلام بوسائله المختلفة أن يغيروا المفاهيم بالحق لا

(١) وانظر في ذلك رسالة شيخنا المفضل عادل السيد حفظه الله بعنوان «نفي الدسائس في تحريم تفجير الكنائس».

بضده؛ فإن في الأول بناء المجتمعات وتنميتها وفي الآخر هدمها وتدميرها، ولقد كان الواقع خير برهان على ذلك؛ فإن كثيرا من الإعلاميين ولا نقول: كلهم!، كانوا من أسباب نشر الفكر التكفيري سواء مباشرة أو غير مباشرة، فاما المباشرة ظاهرة في كثير من قنوات التكفير ومواقع التدمير والتفجير، وأما غير المباشرة فالقنوات العلمانية، وأفراخهم؛ فإنها الإرهاب بالتسبيب، أو هم النافحون في كير التكفير؛ ليزداد اشتعالا؛ فهما وجهان لعملة واحدة^(١).

ولقد فصل هذا الأمر وجلاه شيخنا فضيلة الشيخ الأزهري السلفي الدكتور

محمد سعيد رسلان حفظه الله؛ فقال :

«فَمِنَ الْحَقَائِقِ الثَّانِيَةِ وَالْأُصُولِ الْمُسْتَقْرَةِ أَنَّ الْمُغَالَةَ فِي مُحَاوِرَةِ انحرافٍ تُولِّدُ انحرافاً آخر، وَمِنَ الْحَقَائِقِ الثَّانِيَةِ أَيْضًا أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَحَارِبُونَ التَّطَرُّفَ وَيَوْجِهُونَ الْإِرْهَابَ هُمْ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ ازْدِيادِ اشْتِعالِ نَارَةٍ وَمِنْ أَكْبَرِ الْعَامِلِينَ عَلَى تَوْهِيجِ أَوَارِهِ، لَا شَكَّ أَنَّ مِضْرَارَ حَفِظِهَا اللَّهُ تَعَالَى وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبٍ ضَرُّوسٌ، وَلَا شَكَّ أَيْضًا أَنَّ أَكْثَرَ الَّذِينَ يَتَصَدُّونَ لِلْخَائِضِينَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ بِلِسَانِهِ أَوْ بِبَيَانِهِ لَا يَفْهَمُونَ حَقِيقَةَ تِلْكَ الْحَرْبِ، وَلَا يَعْرِفُونَ طِبِيعَةَ الْمُعْرَكَةِ؛ إِنَّ الْحَرْبَ الَّتِي يُشَعِّلُ نَارَهَا التَّكْفِيرِيُونَ حَرْبٌ عَقْدِيَّةٌ، حَرْبٌ عَقِيْدَةٌ مُسْتَقْرَةٌ فِي أَنْفُسِهُؤُلَاءِ، تَدَفَّعُهُمْ تِلْكَ الْعَقِيْدَةُ إِلَى التَّضْسِيْحَةِ بِالدُّنْيَا تَارَةً وَإِلَى الْجُهُودِ بِالنَّفْسِ لِطَلَبِ الشَّهَادَةِ تَارَةً آخِرَّ، إِنَّهُمْ يُصَدِّرُونَ جَيْعًا عَنْ عَقِيْدَةِ رَاسِخَةٍ بِتَكْفِيرِ خَصْوَصِهِمْ وَرَدَّةَ مُخَالِفِهِمْ، وَهِيَ الْعَقِيْدَةُ الَّتِي تُبَرِّرُ لَهُمْ قَتْلَ الْمَرْضِيِّ فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ وَاستَهْدَافَ رَكَابِ الْقَطَارَاتِ وَالْاعْتَدَاءَ عَلَى الْأَبْرَيَاءِ فِي الْمَدَارِسِ وَالْمَعَاهِدِ وَالْكَلِيَّاتِ؛ وَالسُّؤَالُ الْآنُ: كَيْفَ حَوْرَبْ هَذَا الْانحراف؟! وَالجَوابُ: خَرَجَ أَقْوَامٌ مِنَ الْعَلَمَانِيِّينَ وَالْحَدَائِيْنَ وَالضَّائِعِينَ الْمَمْرُورِيِّينَ مِنَ الْإِعْلَامِيِّينَ وَالصَّحَافِيِّينَ خَرَجُوا إِلَيْهِمْ ثَوَابَ الدِّينِ، فَطَعَنُوا فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ

(١) واستمع في ذلك لخطبة ماتعة لشيخنا عادل السيد حفظه الله على موقعه بعنوان : «داعش ، والبحيري وجهان لعملة واحدة».

الله عنهم ورمواهم بالعظام ووصموهم بالكباير، وأنكروا السنة واستهانوا بالكتاب، ووصفوا الأئمة الأربعه أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد بالنصابين الأربعه، ورموا البخاري ومسلما وعلماء الحديث والفقه بالكذب والخيانة، وتطاول بعضهم على الله جل وعلا، وعلى القرآن المجيد، إلى غير ذلك مما يتعذر به أولئك في خرائب الإعلام من مسموع ومنظور ومقروء، وهم مع ذلك يدعون أنهم يحاربون التطرف ويواجهون الإرهاب، وهم في الحقيقة من أعظم أسباب ازدياد الإرهاب وتتجذر.

(إِنَّكَ لَنْ تُزَوِّلِ الرَّجُلَ عَنْ شَيْءٍ هُوَ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ) إنها كلمة قالها أشجع عبد القيس رضي الله عنه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأقره عليها ومدحه، مع أن الدين المذكور في قول الأشجع المراد به ما كان عليه قومه من الكفر، ومع ذلك فإنك لن تزول الرجل عن شيء هو أشد عليه من دينه ولو كان كفرا.

إن العلمانيين والحداثيين وغيرهم من أهل الغرض وأصحاب المرض يعتقدون أن الفرصة التي أتيحت لهم سيؤدي استغلالهم لها إلى تغيير دين الإسلام في قلوب المصريين وعقولهم إلى دين المستشرقين وغيرهم، ويعتقدون أن المسلمين في مصر سيقبلون منهم الطعن في ثوابت دينهم وأصول اعتقادهم، ويعتقد هؤلاء أن البداءة والشتم والاستطالة في أعراض الصحابة رضي الله عنهم وعلماء الإسلام رحمهم الله ستقابل بالاستحسان لأنها تجديد وتنوير، وهم في هذا كله مخدوعون واهمون، وهم بذلك كله يعطون الحجّة بعد الحجّة للذين يخوضون حربا عقائدية من التكفيريين، فيذبحون ويحرقون ويقتلون ويفجرون وينسفون وهم يقولون: ما ازدنا في المرتدّين إلا بصيرة وإنّا لعلى الحقّ المبين.

إن هؤلاء العلمانيين والحداثيين وكذلك من لف لفّهم من أصحاب الغرض والمرض والهوى والزيغ، هؤلاء جميعا عبء على القيادة لأنهم يُبدون بأقوالهم وأعمالهم وتوجهاتهم ومسالكِهم أنهم يحاربون الدين وأنهم لا يريدون للإسلام في مصر أن تقوم له قائمة، يريدون حصاره حتى يصيّر إلى المحارب وحتما يُحبس في المساجد وفي

الزوايا والتكايا، بحيث لا يشاركُ بأمرٍ ولا حُكم في شأنِ مِن الشّؤون؛ إنَّ هؤلاء بها يأتون وما يدعُون، وما يأخذون وما يذْرُون عبءً على القيادة لأنَّ القيادة تريد لهذا البلد الدين والتقدم للوطن حتى يرقى إلى مَصافِّ الأمم الكبرى والدول العظمى بإعمالِ العقل الصحيح في مجالات الحياة مِن أجل استكناهُ أسرارِ المادة وَمِن أجل تطوير الحياة والارتقاء بها وَمِن أجل ألا تكون عالةً على غيرنا في ميدانِ مِن الميادين، وكلُّ ذلك يكون مؤسساً على دينِ الإسلام العظيم، فهم لا يُنكرون سُنَّة ولا يحاربونها ولا يهاجمون الأئمة ولا يقرون ضدهم وإنما يريدون الإسلام الذي جاء به محمد صلَّى الله عليه وآلِه وسلم، ولا شكَّ أنَّ به تَرْقَى الأمم، ويعلو كعبها في الرُّقي والنَّهوض والتقدم، ولكنَّ هؤلاء يعطون الحُجَّة لِلتُّكَفِيرِيين مِن أجلِ تكثيرِ الحَاكِمِ والمحَكُومِ على السواء، ومن أجلِ أن يُحْكَمَ على المجتمعِ كُلُّه من رأسه إلى ذُنُوبِه بالرِّدَّة عن دينِ الإسلام العظيم، وحينئذٍ تُستباحُ الْحُرُّمَات مِن الدِّماء والأعراضِ والأموال، هؤلاء عبء، هؤلاء خونة.

إنَّ مُقاومةَ التطرفِ في الفِكرِ بالتطوُّرِ في الفِكرِ لا يزيدُ المُتطوَّرَ إِلا تطرفاً، ولَا المُعتقدُ اعتقاداً خاطئاً إِلا ثابتاً وتصلباً؛ إنَّ تركَ الَّذِينَ يتكلَّمونَ في الدين بغيرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا سُلْطَانٍ مُنِيرٍ، إنَّ تركَهم تهديدٌ للأمنِ القومي المصري في صَمِيمِه، وهو أَكْبَرُ مُقْوِضٍ لِدُعائِمِ وأركانِ الدُّولَةِ المصرية، وهو أَعْظَمُ حُجَّاجِ التُّكَفِيرِيين في اقناعِ الشَّبابِ بالمصيرِ إِلَيْهِمْ وَالانضمامِ إلى صفوفِهم، لأنَّهم يستغلُونَ حماسَةَ الشَّبابِ الدينية، فيقولون لهم هؤلاء مُرتدون وقد وجَبَ عليكم القِتالُ وجوباً عينياً، فينبغي عليكم أنْ تُنضموا إلينا لأنَّا نُجاهِدُ في سبيلِ الله؛ مِنْ أَكْبَرِ حُجَّاجِ هؤلاء على هؤلاء ما يأتي به أولئك مِنْ خبطٍ بلا عِلْمٍ وَلَا وَعِيٍّ وَلَا مَعْرِفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ مُنِيرٍ في ثوابتِ الأُمَّةِ، في دينِ الإسلام العظيم، غَرَضُهم معروضٌ، ومن كان متابعاً في النصفِ الأولِ مِنِ التسعينيات مِنِ القرنِ الماضي، مَنْ كان متابعاً لِمَا يكتبه فرج فودة ومحمد سعيد العشماوي وغيرِ هؤلاء مِنَ العلمانيين وَمِنَ انضم إِلَيْهم مِنَ الْحَدَائِقِ وكانت لهُ ذاكرةٌ

القطط بعض ما قال أولئك يجد هؤلاء أعني: الفرقـةـ الحـادـثـةـ الآـنـ تـرـدـ كـلـامـ هـؤـلـاءـ أوـ أولـئـكـ حـذـوـ النـعـلـ بـالـنـعـلـ، يـقـتـصـونـ آـثـارـهـمـ وـيـنـطـقـونـ بـكـلـامـهـمـ بـلـ زـيـادـةـ وـلـ نـقـصـانـ؛ فـكـانـ مـاـذاـ؟ـ فـكـانـ مـاـ تـرـوـنـ وـالـلـهـ الـمـسـتـعـانـ.

إنَّ المَغَالَةَ فِي مُعَالَجَةِ انْحِرَافٍ تُولِّدُ انْحِرَافًا آخَرَ؛ إِذَا كَانَتِ الجَمَاعَاتُ التِي تُكَفِّرُ وَتُنَجِّرُ وَتُحْرِقُ تَخْوِضُ فِي اعْتِقَادِهَا حَرْبًا عَقَائِدِيًّا تَسْتَحْلِ بِهَا الدِّمَاءُ وَالْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ، أَفْتَقَابِلُ هَذِهِ الْحَرْبُ الْعَقَائِدِيُّّ بِالْاعْتِدَاءِ عَلَى ثَوَابِ الدِّينِ وَالتَّحَلُّلِ مِنِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَنْعَاتِيِّ مِنْ قِيَودِ الْقِيمِ الْنَّبِيلَةِ بِحُجَّةِ مُحَارِبَةِ التَّطْرُفِ وَالْتَّصْدِيِّ لِلْإِرْهَابِ؟! ، وَمَنِ الَّذِي أَعْطَى أَوْلَئِكَ إِلَيْهِنَّ بِأَنْ يَقُولُوا مَا قَالُوا؟! ، هُؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَصَلًا وَلَا مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَهُمْ يَعْبِيُونَ عَلَى كُلِّ مَنْ تَكَلَّمُ فِي الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُ مَأْذُونًا لَهُ فِي الْكَلَامِ بِالْدِينِ، وَلَكِنْ هُؤُلَاءِ يَتَكَلَّمُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيَقُولُ قَاتِلُهُمْ: عَنْدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ بِأَبِيهِ هُوَ وَأَمِي وَنَفْسِي، يَقُولُ: مُحَمَّدُ الْقُرْآنُ وَمُحَمَّدُ السُّنَّةُ؛ وَيَقُولُ بِجَهْلٍ فَاضِحٍ وَخُبُثٍ ظَاهِرٍ: مَا هِي الصُّورَةُ الْحَقَّةُ مِنْ هَاتِيْنِ الصُّورَتَيْنِ؟ ، وَلَا تَفَاوَتَ بَيْنِ الصُّورَتَيْنِ وَلَكِنْ هُؤُلَاءِ لَا يَعْلَمُونَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا يَصْنَعُهُ وَيَقُولُهُ الْعُلَمَاءُ وَالْحَدَّائِيْنَ وَأَكْثَرُ الْاعْلَامِيْنَ وَأَغْلُبُ الْفَنَانِيْنَ؛ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا يَقُولُونَهُ وَيَصْنَعُونَهُ تَطْرُفًا وَإِرْهَابًا فَكُرِيَّا فَمَا هُوَ التَّطْرُفُ وَالْإِرْهَابُ إِذْنَ؟!

إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ الْعَظِيمِيِّ لِلَّدِينِ وَالْوَطَنِيِّ أَنْ يَتَصَدِّي لِلْإِرْهَابِيِّينَ وَالْمَتَطَرِّفِيِّينَ مَنْ لَا يَفْهَمُ طَبِيعَةَ الْمَعرِكَةِ مَعَهُمْ، وَلَا يَعْيَيْ حَقِيقَةَ الْمَواجهَةِ لَهُمْ، إِنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ الْعَظِيمِيِّ لِلَّدِينِ وَالْوَطَنِيِّ أَنْ يُعَضَّ الْطَرْفُ عَنِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يُذْهِبُوا صِدَاعًا فَإِذَا هُمْ قَدْ أَخْدُثُوا جُذَاماً، إِنَّ عَلاجَ هُؤُلَاءِ لِظَاهِرَةِ التَّطْرُفِ وَالْإِرْهَابِ يَزِيدُ الدَّاءَ وَيُبَعِّدُ عَنِ الْمَرِيضِ الدَّوَاءِ وَيُوَسِّعُهُ مِنْ أَسْبَابِ الشَّفَاءِ؛ وَأَقُولُ لَهُؤُلَاءِ لَا تَتَكَلَّمُوا فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تُعْطُوا التَّكَفِيرِيِّينَ الْحُجَّاجَ وَالْبَرَاهِيْنَ الَّتِي يَصْطَادُونَ بِهَا الشَّبَابَ وَالصِّبِيَّةَ وَالْأَغْرَازَ وَالْمَفْتُونَ، وَيَدْفَعُونَ بِهَا فِي وَجْهِهِمْ مَنْ يُقِيمُونَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّاجَ وَيُفَنِّدُونَ مَا لَدِيهِمْ مِنْ

ال شبّهات والأضاليل، وليعلم العلمانيون والحداثيون والمنحرفون من كُل فئةً وقبيل أنَّ دينَ الإسلام العظيم بثوابتهِ وبمبادئهِ وأحكامهِ وعلمائهِ ورجالهِ راسخٌ في نفوسِ المصريين وعقولهم رسوخُ الجبال، ودائِرٌ في عروقِ المصريين دُورانَ الدِماء، فليعلموا أنَّهم لَنْ يَصْرُوا المسلمين إلَّا أذى، ولَنْ يَلْغُوا مِنْ إيمانِهم وعقيدتهم ما يَلْغُ مِنْ العينِ القَدَّى...»

هذه الفِرقَةُ الْجَدِيدَةُ التي هي وبَالْأَكْثَر على قيادةِ هذه الأُمَّةِ المصرية، لأنَّ التَّكْفِيرِيِّينَ يقولون هذه الرَّنْدَقَةُ وهذه الْهَرْطَقَةُ وهذا الانْتِفَاعُ مِنْ قِيُودِ الدِينِ وهذا الخروجُ على ثوابتهِ إنما يُمَرِّرُ بِمَعْرِفَةِ القيادةِ وهي قادرَةٌ عَلَى وَأَدْهِ حَيْثُ هُوَ، وَعَلَى كَيْبِيَّهِ حَيْثُ يَكُونُ، فَيَقُولُونَ سُكُوتُهُمْ عَلَيْهِ رِضَا بِهِ، وَمَنْ رِضَى بِالْكُفْرِ كَفَرَ؛ فَيَسْتَلُوْنَ مِنْ الْمَضَاجِعِ الْأَغْمَارِ الْأَغْرَارِ الَّذِينَ يَتَدَشَّرُونَ تَحْتَ الْأَغْطِيَةِ فِي بِرْوَدَةِ اللَّيلِ وَفِي ظَلَامِهِ، يَعْبَثُ الْعَابِثُ مِنْهُمْ عَلَى مَوْاقِعِ التَّوَاصُلِ الإِجْتِمَاعِيِّ فَيَسْتَلُوْنَهُمْ لِيُهَا جَرَوْا هَاهُنَا وَهَنَالِكَ مِنْ أَجْلِ نُصْرَةِ دِينِ اللهِ وَمُحَارِبَةِ الْمُرْتَدِينَ.

هذه الفِرقَةُ أَخْبَثُ الفِرقَ في مصر، وهي الظَّاهِيرَ الفَعَالُ لِلتَّكْفِيرِيِّينَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَأَنَّهُمْ يَصْدُرُونَ مِنْ نَبْعِ وَاحِدٍ، مِنْ حَمَاءٍ وَاحِدَةٍ آسِنَةٍ نَيْتَةٍ...»^(١).

٣- الجيش:

والجيش محور رئيس في محاربة حَمَلةِ الأَسْلَحةِ الْعُورَاءِ^(٢)، ومستبيحي القتل، والدماء، فالقوة لا تقوم لها إلَّا القوة، وآخر الدواء الكي، ولذلك نصَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا الْعَلاجِ النَّاجِعِ، وَالدَّوَاءِ النَّاجِحِ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَيْسَ أَنَا أَدْرِكُتُهُمْ قَتَلْتُهُمْ قَتْلَ عَادِ» متفقٌ عَلَيْهِ، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ، أَوْ قَتَلُوهُ» كَمَا عَنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ مَتَوَاتِرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مِنْهَا الْكَثِيرُ بِفَضْلِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَيَكْفِي

(١) «هؤلاء يساندون التَّكْفِيرَ وَالْإِرْهَابَ» خطبة جمعة على موقعه حفظه الله.

(٢) كَمَا فِي الْحَدِيثِ : «يَقْتَلُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَيُتَرَكُونَ أَهْلَ الْأُوثَانِ» !!.

في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا تَكُلُوا عَنِ الْعَمَلِ» رواه مسلم وغيره.

فعلى جنودنا البواسل تعلم ذلك؛ فيكون حمل السلاح في الدفاع عن الوطن ضد الأشرار الفجار تعبداً وتديناً يتقرب به الجندي إلى الله جل وعلا، فيستحضر النية الصالحة في قتال الخوارج، ولا ترتعش يمينه في الرزود عن حياض الوطن وال المسلمين، وكيف لا وقد أمره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعليه أن يدفع عن نفسه وسوسة شيطان يقول له: كيف تقاتلهم وهم يجأرون «الله أكبر» ويرفعون راية «لا إله إلا الله».

نقول: كما قال علي رضي الله عنه: «كلمة حق أريد بها باطل»، وقد سبق معنا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك و فعل الصحابة وهو كافٍ في الباب، فضلاً عما يعلم من خطورة أمرهم وفداحة ضررهم، فنقول: إن لم يقتلوا؛ قتلوا، وإن لم يُبادوا أبادوا، ولم يبقوا لا أحضر ولا يابس، والواقع المشاهد خير دليل وشاهد وبالصوت والصورة!، لا يتورعون عن قتل النساء والأطفال فضلاً عن غيرهما!، وإلى الله المشتكى، والله الموعظ!!.

وأخيراً فعلى كل واحد منا أن يقوم بدوره الواجب عليه، وأن يعلم أن المسؤولية عظيمة، وأن التخلّي عنها كاللتولي يوم الزحف، وأن العاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة فيكفي ضرراً لذلك تمهد لهم التربة في أوطان المسلمين للاحتلال والتدخل السافر من الدول المعادية للإسلام والمسلمين، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



ملحق: فتاوى العلماء
في تنظيم الدولة داعش

وكي يطمئن قلبك أيها القارئ الفطن فإليك فتاوى العلماء الربانيين الذين ورثوا العلم كابرًا عن كابر في أولئك الأصحاب أعني تنظيم الدولة «داعش» مع العلم أن كل فتاوى العلماء في الجماعات التكفيرية أو التي تسمى نفسها جهادية تعد فتاوى في الفرقة الداعشية الخارجية وأخواتها كتنظيم القاعدة وجبهة النصرة ونحوها؛ حيث إنهم على منهج واحد ومعتقد واحد وما حدث من خلاف آخر لا يفرق بينهم في الحكم، وإليك فتاوى العلماء:

الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

قال رحمه الله: «... ونصيحتي للمسعرى والفقىء وابن لادن وجميع من يسلك سبيلهم أن يدعوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقووا الله ويخذلوا نقمته وغضبه، وأن يعودوا إلى رشدتهم، وأن يتوبوا إلى الله مما سلف منهم...».

وهذا الكلام من العلامة الإمام ابن باز رحمه الله هو واضح وصريح في بيان ضلال هؤلاء وأنهم ليسوا على الطريق الصحيح، وإذا كان ذلك في كبارهم وإمامهم الذي يعتز به هؤلاء الدواعش ويعتبرونه إمامهم في سبيلهم؛ فهو فيهم لزاماً، لاسيما وقد نص الشيخ رحمه الله على جميع من يسلك سبيلهم وطريقهم الوخيم، فنسأله أن يهدىهم وأن يتمثل من أراد الحق منهم لهذه النصيحة العظيمة من هذه الإمام الكبير.

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله -:

السؤال: أبو عبد الله من العراق ابْتُلُوا هناك بتنظيم داعش ويُسأَلُ عن حكم

قتالهم؟

الجواب: الذي يظهر والله أعلم أن هذه الفتنة فئة باغية ظالمة معنديه سفاكة للدماء متهدكة للأعراض نهابة للأموال، هؤلاء فئة طاغية ضارة مؤذية، فالبلاد التي وقعت بأيديهم ألحقو بهم الضرر حتى بعض الصحف نشرت أن هناك انتهاكاً للأعراض وسيبي للنساء ويعهن كأنهن [كلمة غير واضحة] ومعاملة المسلمين كأنهم كفار، هذه الفتنة لا شك في أنها فئة خاطئة ليست على صواب، فإذا قاتلت المسلمين فإن على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم ويقاتلوهم حتى يخلصوا المسلمين من شرهم فإنهم شرًا وبلاء نسأل الله العافية شرًا وبلاء لا خير فيهم، فإنهم خرجوا بالقتل وقتل -أعوذ بالله- فيه تمثيل وبشاشة وتشويه لأعضائه وصورة بشعة تشمئز منها النفوس وتقشعر منها الجلود أمور خطيرة على ما ينقل في وسائل الإعلام أمور خطيرة جدًا وسيئة نسأل الله السلامة.

الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله -:

السؤال: هناك بعض الجماعات التي تتكلم باسم الإسلام والإسلام منها براء، وترفع راية الجهاد في سبيل الله وشعار الدفاع عنه ثم هي تسيء للإسلام أبلغ الإساءة، وذلك بما أظهروه من سفك للدماء وانتهاك للحرمات وتروع للامنين وتفرق لوحدة الصفة صفة الأمة حديثكم حول ذلك:

الجواب: الحمد لله؛ الجهاد هو سلام الإسلام والجهاد والهجرة من أفضل الأفعال في الإسلام، ولكن الجهاد من صلاحيات ولـي الأمر ولـي أمر المسلمين هو الذي يأمر به وهو الذي ينفذه وهو الذي يشرف عليه بنفسه أو يقيم من يقوم مقامه في ذلك وهذا مذكور في كتب العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة قالوا: «الجهاد ماض مع كل إمام بـراً كان أو فاجرًا حتى تقوم الساعة» فهذا هو الجهاد المشروع أما سفك الدماء ومعصية ولـي الأمر فهذا مذهب الخوارج وهذا من الإفساد في الأرض، هذا إفساد وليس بجهاد نسأل الله العافية وأن يهدي ضال المسلمين لمعرفة الحق والعمل به، نعم.

السائل: يا شيخ بعض الشباب قد يخدع بالشعارات البراقة بهذه الجماعات المفسدة وقد يسارع بالانضمام إليها ويخرج على ولاة الأمر وينبذهم العداوة، ما توجيه الشيخ صالح؟

جواب الشيخ: هؤلاء الذين هذا وصفهم قد حذر منهم الرسول ﷺ قد حذر منهم أئمة الإسلام، وأن الواجب مناصحة من يقبل النصيحة منهم ومن لا يقبل النصيحة فإن ولي الأمر يكف شره عن المسلمين بما يتخذه من إجراء رادع لهؤلاء وأمثالهم، الدين لابد له من حماية البلاد بلاد المسلمين لابد لها من حماية المسلمين كلهم رجال أمن وكلهم مسؤولون عن حماية هذا الدين وحماية بلاد المسلمين وحرماتهم فلا يجوز السكوت عن هؤلاء أو أن بعضهم يمدح هؤلاء ويثنى عليهم، وهذا من باب الجهل أو من باب مشاركتهم، فمن مدحهم وأثنى عليهم وبرأفعا لهم فإن حكمه حكمهم، نعم.

السائل: شيخ صالح: ما لا شك فيه أن الشباب بما عندهم من حماسة وعاطفة جياشة هم الهدف الأول لهذه الجماعات المنحرفة والمتشدد، ماذا تنصحون من هذا المنبر الشباب للحد من تلك الجماعات المغرضة والتکفیرية؟

جواب الشيخ: أنا أنصح الشباب بطلب العلم الشرعي على العلماء حتى يعرفوا منهجه هؤلاء ومنهج غيرهم فلا خروج من ذلك إلا بالعلم النافع، عليهم أن يتعلموا على أيدي العلماء، وهذا الجهاد مذكور في كتب العقيدة ضوابطه وشروطه ومن يقيمه ليس الأمر فوضي.

والشباب لا شك أنهم عرضة للمضللين وأصحاب الأفكار الهدامة؛ لأن الشباب عندهم حماس وعندتهم عاطفة وتأثير وليس عندهم حكمة ومعرفة بالأمور، فعليهم أن يرجعوا إلى أهل العلم وعليهم أن يلزموا السمع والطاعة لولي الأمر، لما أخبر النبي ﷺ حذيفة بكثرة الفتنة ودعاة الضلال دعاء على أبواب جهنم من أجا بهم إليها قذفوه فيها قال: فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك قال: «تلزم جماعة

ال المسلمين وإمامهم لأن هذا منجاة من هذه الفتنة لزوم الجماعة والسمع والطاعة قد قال ﷺ: «إِنَّمَا مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيِّرُهُ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسُنْنَةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي» لما طلبوا منه الوصية كأنها وصية مودع فأوصنا يا رسول الله قال: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَىِ اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأْمُرُ عَلَيْكُمْ بِعْدِهِ، فَإِنَّمَا مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ فَسَيِّرُهُ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنْتِي وَسُنْنَةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمْسَكُوا بِهِ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ» فلا نجاة إلا بلزوم جماعة المسلمين وإمام المسلمين ولزوم الكتاب والسنة، وهذا إنما يرجع فيه إلى أهل العلم الراسخين في العلم الذين يبيّنون للناس الطريق الصحيح من الطريق الضال والخطأ.

السؤال: يقول حينما نحذر بعض شبابنا وأبناءنا من تنظيم «داعش» الخارجي يقولون: إن أعمامهم جهاد في سبيل الله قال: ورأينهم ينشرون في بعض المقاطع كتاب التوحيد وأنهم يقيمون الحدود ويلزمون النساء بالحجاب يهدمون الأضرحة فكيف نرد على هذه الشبه؟

جواب الشيخ: نرد على هذه الشبه بأن جماعة داعش أو غيرها ينظر في منهاجها وأنها تسير على ما عليه جماعة المسلمين ولا تخالفهم، ولا تخرج على ولاة الأمور، وإنما تكون مع جماعة المسلمين ولا يكونون لهم وحدة وجماعة منفردة.

الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله -

السؤال: يقول: شيخنا الفاضل بعض الناس يقول عن الدولة الإسلامية الموجودة الآن أنهم خوارج فهل هذا صحيح؟

الجواب: لا شك، صفاتهم وأفعالهم هي أفعال الخوارج، يقال عنها الدولة الداعشية، لا ينبغي أن يقال لها إسلامية يقال داعشية هذا الاسم المناسب لها، الدولة الإسلامية تذبح الناس بالسكاكين؟! وتفسد وتقتل هذا ليس من الإسلام في شيء. اهـ.

وله حفظه الله مقال بعنوان: «فتنة خلافة داعش العراقية المزعومة» يقول فيها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد ولد في العراق قبل عدة سنوات فرقه أطلقت على نفسها دولة الإسلام بالعراق والشام، واشتهر ذكرها بأربعة حروف هي الحروف الأوائل لهذه الدولة المزعومة فيقال لها: «داعش»، وقد تعاقب على زعماتها -كما ذكر ذلك بعض المتابعين لحدثها وأحداثها- عدد يقال للواحد منهم: أبو فلان الغلاني أو أبو فلان ابن فلان، كنية معها نسبة إلى بلد أو قبيلة كما هو شأن المجاهيل المستررين بالكتنى والأنساب.

وبعد مضي مدة على الحرب التي وقعت في سوريا بين النظام والمقاتلين له دخل أعداد من هذه الفرقة غير مقاتلين للنظام، لكنهم يقاتلون أهل السنة المناوئين للنظام ويفتكرون بهم، وقد اشتهر أن قتلهم من يريدون قتلهم يكون بالسكاكين الذي هو من أبشع وأنكى ما يكون في قتل الأدميين.

وفي أوائل شهر رمضان الحالي حولوا تسمية فرقتهم إلى اسم «الخلافة الإسلامية»، وخطب خليفتهم الذي أطلق عليه أبو بكر البغدادي في جامع في الموصل، وما قاله في خطبته: «فَقَدْ وُلِّيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ»، وقد صدق في أنه ليس بخيرهم؛ لأن قتل من يقتلونه بالسكاكين إن كان بأمره أو بعلمه وإقراره فهو شرهم؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هَذِهِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْوَرِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةِ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا». رواه مسلم (٦٨٠٤).

وهذه الجملة التي قالها في خطبته قد قالها أول خليفة في الإسلام بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه وهو خير هذه الأمة التي هي خير الأمم، قالها تواضعًا وهو يعلم والصحابية يعلمون أنه خيرهم للأدلة الدالة على ذلك من كلام

رسول الله ﷺ، ومن الخير لهذه الفرقـة أن تراجع نفسها وتشوب إلى رشدـها قبل أن تكون دولـتها في مهب الرياح كـشأن مـثيلـتها التي سـبقـتها في مختلف العـصـورـ. وما يـؤـسـفـ لهـ: أن فـتـنةـ هـذـهـ الـخـلـافـةـ المـزـعـومـةـ التـيـ لـوـدـتـ قـبـلـ أـيـامـ لـقـيـتـ قـبـوـلاـ عندـ بـعـضـ صـغـارـ الشـيـابـ فيـ بـلـدـ الـحـرـمـينـ أـظـهـرـهـمـ فـرـحـهـمـ وـسـرـورـهـمـ بـهـاـ كـمـاـ يـفـرـحـ الـظـلـمـانـ بـالـسـرـابـ، وـفـيـهـمـ مـنـ زـعـمـ مـبـاـيـعـةـ هـذـاـ الـخـلـيفـةـ الـمـجـهـولـ!ـ وـكـيـفـ يـرـجـيـ خـيـرـ مـنـ اـبـتـلـواـ بـالـتـكـفـيرـ وـالـتـقـتـيلـ بـأـشـعـنـ الـقـتـلـ وـأـفـظـعـهـ؟ـ وـالـوـاجـبـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ الشـيـابـ أـنـ يـرـبـئـواـ بـأـنـفـسـهـمـ عـنـ الـأـنـسـيـاقـ وـرـاءـ نـعـيـقـ كـلـ نـاعـقـ، وـأـنـ يـكـوـنـ الرـجـوـعـ فـيـ كـلـ الـتـصـرـفـاتـ إـلـىـ ماـ جـاءـ عـنـ اللـهـ يـعـجـلـ وـعـنـ رـسـوـلـهـ يـعـلـيـ؛ـ لـأـنـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـمـةـ وـالـسـلـامـةـ وـالـنـجـاهـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ، وـأـنـ يـرـجـعـواـ إـلـىـ الـعـلـمـاءـ النـاصـحـينـ لـهـمـ وـلـلـمـسـلـمـينـ.

وـمـنـ أـمـثـلـةـ سـلـامـةـ مـنـ فـكـرـ فـيـ ضـلـالـ بـسـبـبـ رـجـوـعـهـ إـلـىـ أـهـلـ الـعـلـمـ مـاـ رـوـاهـ مـسـلـمـ فـيـ «ـصـحـيـحـهـ» (١٩١) عـنـ يـزـيدـ الـفـقـيرـ قـالـ: «ـكـنـتـ قـدـ شـغـفـنـيـ رـأـيـ مـنـ رـأـيـ الـخـوارـجـ، فـخـرـجـنـاـ فـيـ عـصـابـةـ ذـوـيـ عـدـدـ نـرـيـدـ أـنـ نـحـجـ، ثـمـ نـخـرـجـ عـلـىـ النـاسـ، قـالـ: فـمـرـنـاـ عـلـىـ الـمـدـيـنـةـ فـإـذـاـ جـابـرـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ يـحـدـثـ الـقـوـمــ.ـ جـالـسـ إـلـىـ سـارـيـةـ عـنـ رـسـوـلـهـ يـعـلـيـ، قـالـ: فـإـذـاـ هوـ قـدـ ذـكـرـ الـجـهـنـمـيـنـ، قـالـ: فـقـلـتـ لـهـ: يـاـ صـاحـبـ رـسـوـلـهـ!ـ مـاـ هـذـاـ الـذـيـ تـحـدـثـونـ؟ـ وـالـلـهـ يـقـوـلـ: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلَ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وـ﴿كُلَّمَا أَرَادُواْ أَنْ يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمِّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الـحـجـ: ٢٢]، فـمـاـ هـذـاـ الـذـيـ تـقـولـونـ؟ـ قـالـ: فـقـالـ: أـتـقـرـأـ الـقـرـآنـ؟ـ قـلـتـ: نـعـمـ!ـ قـالـ: فـهـلـ سـمـعـتـ بـمـقـامـ مـحـمـدـ يـعـلـيـ، يـعـنيـ الـذـيـ يـبـعـثـ فـيـهـ؟ـ قـلـتـ: نـعـمـ!ـ قـالـ: فـإـنـهـ مـقـامـ مـحـمـدـ يـعـلـيـ الـمـحـمـودـ الـذـيـ يـخـرـجـ اللـهـ بـهـ مـنـ يـخـرـجـ، قـالـ: ثـمـ نـعـتـ وـضـعـ الـصـرـاطـ وـمـرـ النـاسـ عـلـيـهـ، قـالـ: وـأـخـافـ أـلـاـ أـكـوـنـ أـحـفـظـ ذـاكـ، قـالـ: غـيرـ أـنـهـ قـدـ زـعـمـ أـنـ قـوـمـاـ يـخـرـجـونـ مـنـ النـارـ بـعـدـ أـنـ يـكـوـنـواـ فـيـهـاـ، قـالـ: يـعـنيـ: فـيـخـرـجـونـ كـأـهـمـ عـيـدانـ السـمـاسـمـ، قـالـ: فـيـدـخـلـوـنـ نـهـرـاـ مـنـ أـنـهـارـ الـجـنـةـ فـيـغـتـسـلـوـنـ فـيـهـ، فـيـخـرـجـونـ كـأـهـمـ الـقـراـطـيـسـ، فـرـجـعـنـاـ، قـلـنـاـ: وـيـحـكـمـ!ـ أـتـرـوـنـ الشـيـخـ يـكـذـبـ عـلـىـ رـسـوـلـهـ يـعـلـيـ؟ـ فـرـجـعـنـاـ، فـلـاـ وـالـلـهـ!ـ مـاـ خـرـجـ مـنـاـ غـيـرـ رـجـلـ وـاحـدـ، أـوـ كـمـاـ قـالـ أـبـوـ نـعـيمـ».ـ وـأـبـوـ نـعـيمـ هـوـ

الفضل بن دكين هو أحد رجال الإسناد.

وهو يدل على أن هذه العصابة ابتليت بالإعجاب برأي الخوارج في تكبير مرتكب الكبيرة وتخليله في النار، وأنهم بلقائهم جابرًا رض وبيانه لهم صاروا إلى ما أرشدهم إليه، وتركوا الباطل الذي فهموه، وأنهم عدلوا عن الخروج الذي همُوا به بعد الحجّ، وهذه من أعظم الفوائد التي يستفيد بها المسلم برجوعه إلى أهل العلم.

ويدل لخطورة الغلو في الدين والانحراف عن الحق ومجانبة ما كان عليه أهل السنة والجماعة قوله صل من حديث حذيفة رض: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَا الْقُرْآنَ، حَتَّى إِذَا رُؤِيَتْ بِهِجَتَهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رَدِئًا لِلْإِسْلَامِ، انْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسِيفِ وَرَمَاهُ بِالشَّرْكِ»، قلت: يا نبي الله! أئمها أولى بالشرك: الرامي أو المرمي؟ قال: «بل الرامي» رواه البخاري في «التاريخ» وأبو يعلى وابن حبان والبزار، انظر «الصحيفة» للألباني (٣٢٠١).

وحادثة السن مظنة سوء الفهم، يدل ذلك ما رواه البخاري في «صحيفة» (٤٤٩٥) بإسناده إلى هشام بن عروة، عن أبيه أنّه قال: «قلت لعائشة زوج النبي صل وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فما أرى على أحد شيئاً ألا يطوف بهما، فقالت عائشة: كلام! لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار، كانوا يهلكون لمنا، وكانت مناة حذو قديد، وكانوا يتحرّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صل عن ذلك، فأنزل الله صل ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

وعروة بن الزبير من خيار التابعين، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة في عصر التابعين، قد مهد لعدره في خطئه في الفهم بكونه في ذلك الوقت الذي سُأله فيه حديث السن، وهو واضح في أنّ حادثة السن مظنة سوء الفهم، وأنّ الرجوع إلى أهل العلم

في الخير والسلامة.

وفي «صحيح البخاري» (٧١٥٢) عن جندب بن عبد الله قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَنَّ منَ الْإِنْسَانِ بِطْنُهُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَلَا يَأْكُلْ إِلَّا طَيْبًا فَلِيَفْعُلُ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَلَا يَحْالِ بينَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمَلْءِ كَفٍّ مِنْ دَمْ هِرَاقَهُ فَلِيَفْعُلُ»، قال الحافظ في الفتح (١٣٠ / ١٣٠): «وَوَقَعَ مَرْفُوعًا عَنْ الطَّبْرَانِيِّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ الْحَسْنِ، عَنْ جَنْدَبٍ، وَلِفَظِهِ: (تَعْلَمُونَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَحُولُنَّ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ يَرَاهَا مَلْءُ كَفٍّ دَمًّا مِنْ مُسْلِمٍ أَهْرَاقَهُ بِغَيْرِ حَلَّهُ)، وَهَذَا لَوْلَمْ يَرِدْ مَصْرَحًا بِرَفْعِهِ لِكَانَ فِي حُكْمِ الْمَرْفُوعِ؛ لَأَنَّهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ، وَهُوَ وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِقَتْلِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ».

وهذه الأحاديث والأثار هي بعض ما أورده في رسالة «بأي عقل ودين يكون التفجير والتدمير جهاداً؟! ويحكم أفيقوا يا شباب»، وفيها آيات عديدة وأحاديث وأثار كثيرة في تحريم قتل الإنسان نفسه وقتله لغيره بغير حق، وقد طبعت هذه الرسالة مفردة في عام (١٤٢٤هـ)، وطبعت سنة (١٤٢٨هـ) مع رسالة أخرى بعنوان: «بذل النصح والتذكير لبقاء المفتونين بالتكفير والتفجير» ضمن «مجموع كتبى ورسائلى» (٦/٢٢٥-٢٧٩).

وعلى هؤلاء الشباب الذين انساقوا وراء نعيق هذه الفرقـة أن يراجعوا أنفسهم ويشوّبوا إلى رشدهم، وألا يفكـر أحدـ منهم باللحوق بها فيخرجـون من الحياة بالأحزـمة النـاسـفةـ التي يـلبـسـونـ إـيـاهـاـ أوـ بـذـبحـ بالـسـكـاكـينـ الـذـيـ هوـ مـيـزةـ هـذـهـ الفـرقـةـ، وـعـلـيـهـمـ أـنـ يـلـزـمـواـ السـمعـ وـالـطـاعـةـ لـلـدـوـلـةـ السـعـوـدـيـةـ الـتـيـ عـاـشـواـ وـعـاـشـ آـبـاؤـهـمـ وـأـجـادـهـمـ فـيـ ولاـيـتهاـ بـأـمـانـ، فـهـيـ بـحـقـ أـمـثـلـ دـوـلـ الـعـالـمـ وـخـيـرـهـاـ عـلـىـ مـاـ فـيـهـاـ مـنـ قـصـورـ مـنـ أـعـظـمـ أـسـبـابـ فـتـنـةـ التـغـرـيبـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـبـلـادـ الـذـيـ يـلـهـثـونـ وـرـاءـ تـقـلـيدـ الغـربـ فـيـ كـلـ مـاـ فـيـهـ مـضـرـةـ.

وأسائل الله تباركه أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يهدي شبابهم من

البين والبنات إلى كل خير، وأن يحفظ بلاد الحرمين حكمة وشعباً من كل سوء، وأن يوفقها لكل خير، وأن يقيها شر الأشرار وكيد الفجار، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه». اهـ.

الشيخ صالح السحيمي - حفظه الله -:

السؤال: أحسن الله إليكم يقول - الأخ لعله جديد على الدرس ^(١) - يقول: أليس الجماعة المقاتلة في العراق والشام - أقول ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية - أليست هي الطائفة المنصورة؟ يقول: بشهادة المسلمين وكذا حكام الغرب.

الجواب: أنا لا أستحسن تسميتها بالدولة الإسلامية لأنها لا تطبق الإسلام، وإنما تذبح المسلمين وتذبح المسلمين وتقتلهم، وهي مسخرة من قبل أعداء الإسلام حتى بعض الغرب الذين يضربونها هم يغذونها من الداخل، سواء كانوا يشعرون، أو لا يشعرون تلك طوائف خارجة على المسلمين وهم يطبقون طريقة أشنع من طريقة الخوارج القدامي، فهم لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة، وقد قتلوا من المسلمين أكثر مما قتلوا من الكفار، مع أننا لا نجيز قتل الكفار بهذه الطريقة، لكن لو أنك أحصيتك من قتلوه من أهل السنة في العراق والشام لوجدت أنهم قتلوا أكثر مما قتل في بعض على أيدي بعض الضالين فعلينا أن نحذر من هذه التسميات ومن هذه الألقاب

مما يزهدني في أرض أندلس أسماء معتقد فيها ومعتمد

أسماء مملكة في غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

فعلينا أن نتقي الله تعالى وأن نحذر من مبادعة هذه الجماعات الشاذة.

وأية شهادة التي يعول عليها السائل؟ أهل الأهواء وأهل البدع يشهد بعضهم البعض، أما شهادة الغرب فهي غير مقبولة أبداً؛ لأن الغرب هم الذين أنشأهم أصلاً، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، فإنهم لما رأوا أن المسلمين أهل السنة كادوا

(١) يقول القارئ هذا الكلام لأن من المتقرر عند طلاب الشيخ - حفظه الله - أن داعش خوارج، ولا شك في ذلك.

يتتصرون في الشام على ذلكم الطاغية عمدوا فأرسلوا تلك الداعش إلى بلاد الشام، فأصبحوا يذبحون المسلمين، بدأوا بال المسلمين وشغلهم في العراق على المسلمين، وعلى غير المسلمين وعلى الجميع يعني من قتل من أئمة المساجد في العراق على أيدي هؤلاء الداعش، أكثر مما قتله الغرب أو الرافضة هذا أمر مسلم ومعرف ولا يجادل فيه إلا من يجهل حقيقة هؤلاء الناس ومن لا فرقان عنده يفرق به بين الحق والباطل، هل تقتيل المسلمين بدعوى أنهم مرتدون ومن أجل أنهم ليسوا على منهجهم الخارجي الباطني الداعشي الفلسفي بل وأقول الغربي المجنون من الغرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، هم لما عجزوا عن تنفيذ أجندتهم في بعض البلاد الإسلامية لجئوا إلى البلاد التي فيها فوضى والتي تعيش الآن ثمار الصقيع الغربي المسمى بالربيع العربي فأصبحوا يستغلون على هذه الأوتار يذبحون الآن المسلمين، في كل مكان في ليبيا والعراق واليمن والشام وفي كل مكان.

بل العكس هم تركوا الآن الذي كان المسلمين يردون أن يتخلصوا منه الذي يذبح المسلمين ويقتلهم الآن هو سلم مبسوط مرتاح لأن ما يسمى بداعش أراحوه في تقتل المسلمين، وفي تفريق كلمتهم.

وما من شك أن هؤلاء شر من الخوارج القدامي خوارج هذا العصر شر من الخوارج القدامي، الخوارج القدامي عندهم شيء من الورع على علاتهم وعلى إلحادهم وعلى بدعهم الموجودة عندهم لكنهم أورع من هؤلاء الداعش الذين لا تستجيبز أن أسمائهم دولة الإسلام معروفة التي تقيم شرع الله وتحكم شرع الله هي هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية، على الرغم من أنوف داعش وغير داعش؛ فإن هؤلاء الناس الذين يعيشون في الأرض فساداً، لا شك أنهم كما أخبر عنهم النبي ﷺ، لكن أزف لكم بشرى هم لن يستمرروا فإن النبي ﷺ قال: «يظهرون فيكم كلما ظهر منهم قرن قطع حتى يظهر آخرهم مع الدجال».

وأنت أيها السائل وفقك الله أرجو أن ترجع إلى العلماء الربانيين الوعيين

أهل السنة والجماعة، أما هؤلاء المورثين الجهال الذين يفسرون القرآن كما يريدون ويفسرون السنة كما يريدون ويحكمون على المسلمين بالكفر كما يشاءون، وهم قد شغلو المسلمين عن كل شيء حتى عن فلسطين حتى عن القدس عن المسجد الأقصى؛ أعني: شغلو المسلمين عن كل الأعداء وأصبحوا هم الشغل الشاغل الآن للMuslimين فتنوهم في اليمن في ليبيا في العراق في الشام في أماكن كثيرة وقد نالنا منهم بعض الأذى.

ولكن والله الحمد والمنة هم خاسرون في كل حركة يتحركونها في بلاد التوحيد نهايتهم الخيبة الخسارة فخيبة لهم وتبًا لهم وخسارانًا لهم عباد الهوى والشيطان. وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ «تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه» والكلب مرض يصيب بعض السباع فإذا عض إنساناً أصابه نفس الداء ويكفي أن هؤلاء لم يرجعوا إلى العلماء إنما هم يفتون أنفسهم كما قال النبي ﷺ: «إنما أخشى على أمتي الأئمة المضللين» وفي حديث آخر: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً وإنما يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتووا بغير علم فضلوا وأضلوا» هم هؤلاء الدواعش ومن هم على شاكلتهم من أرباب الأهواء التي تمواج كمواج البحر في بعض البلاد الإسلامية.

ونسأل الله أن يخذلهم وأن يخزيهم لأنهم صاروا شرّاً علينا من الكفار يعني هم صاروا أخطر علينا على المسلمين على أهل السنة صاروا شرّاً من الكفار.

والنبي ﷺ أخبر أنهم شرّ الخلق والخلائق وأن شر قتلهم وأنهم شر قتلى تحت أديم السماء وأنهم يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم» هاهم يفجرون ببنات المسلمين باسم أنهم سباباً يزنون بهم الآن دعنا من أخذوهم من غير المسلمين مع أننا لا نقر حتى طريقتهم مع غير المسلمين لكن الآن هم يسبون بنات المسلمين من أهل السنة ويعيرونها في الأسواق ويعتبرونهن سباباً هل هناك شر من هذا هؤلاء، والله أخبر عنهم ﷺ حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم،

لا يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ليس لهم إلا ما أشرب من أهوائهم، تجد بعضهم لا يعرف يتوضأ بعضهم لا يعرف الشرك من التوحيد ولا السنة من البدعة، وهو من أدعياء الجهاد فعلينا أن نتنبه وأن نحذر الجهاد له ضوابط ذكرها أكثر من مرة.

ولعل أخي أحمد يحيلكم على الأماكن التي فصلنا فيها ضوابط الجهاد^(١) أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح وصلى وسلم الله على نبينا محمد». اهـ.

الشيخ عبيد الجابري - حفظه الله:

يقول - حفظه الله -: «كل الجماعات الدعوية الحديثة هي على ضلال وعلى سبيل هوى فليحذرها المسلمون عوامهم وخواصهم فإن لم يستجيبوا لهذا البيان فإنهم عصاة الله ولرسوله ولولي أمر المسلمين وهذه كبيرة من الكبائر، نقول هذا وإن رغمت أنوف الجماعة المخالفة من تبليغية أو إخوانية ومن نبت عنهم وأخذ عنهم، والجماعة جماعة الحق والهدى والسنّة هم السلفيون.

وقد كذب عدو الله إذ قال: «إن داعش نبتة سلفية» اللهم أوقف للخصومة وأشارله في نفسه وما له بها يسوعه، وأرنا فيه العبرة هو ومن على شاكلته واجعلهم عبرة لمن يعتبر يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام».

الشيخ عبد الرحمن محي الدين - حفظه الله:

قال - حفظه الله -: «اليهود والمشركون وغيرهم حرשו بين المسلمين مرة، أرادوا من المسلمين أن يقتلوا الرسول سمع! استغرب! وخطبهم وبين لهم لأنهم حسوا بعضهم بعضاً وأرادوا أن يقتلوا الرسول كان حكيماً بين لهم وعرفوا أن هذا دسيس من اليهود، الآن نحن مغفلين! لكن أرى كثيراً من الشباب يذهب مع داعش

(١) قال: أحسن الله إليكم الدرس المشار إليه وهو أشهر الدروس بتاريخ ٣٣٤١ / ٥ / ٦ من الهجرة في شأن الجهاد وما أثير حوله من شبكات في هذا الزمان.

يذهب مع قاعدة يذهب مع إخوان يريد أن يكسر المسلمين، يقتل المسلمين هذا خطأ والله لا يحل لا يحل يقول الله في القرآن ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأناشيد: ١] يجب أن تكون هنا جماعة واحدة كل المسلمين يجب أن يكونوا جماعة واحدة».

الشيخ سليمان الرحيلي - حفظه الله -:

السؤال: شيخنا بارك الله فيكم ما قولكم فيما يتعلق بداعش المتشرة في الإذاعات والتلفاز ووسائل الإعلام وببارك الله فيكم.

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من الأمور القطعية في الدين أن الخير كله فيها جاء به محمد ﷺ، وعمل به أصحابه رضوان الله عليهم؛ فالله ﷺ بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنياء: ١٠٧]، وأكمل له الدين، وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم دين الله فهم سليماً، وعملوا به عملاً مستقيماً؛ فملأوا الأرض التي وصلوها خيراً وبركة ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

إلى أن ظهر في الإسلام أقوام ونبت نابتة ظنوا أنهم أفهم لدين الله من صحابة رسول الله ﷺ، وأنهم أغير على دين الله من صحابة رسول الله ﷺ، إلا وهم الخوارج، وهؤلاء الخوارج يظهرون في كل قرن، كلما ظهر لهم قرن قطع وأولهم وأخرهم على صفات أخبر بها النبي ﷺ؛ فهم حدثناء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا يتجاوز إيمانهم تراقيهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يكفرون كل من خالفهم؛ فمن خالفهم فهو كافر حلال الدم يغنم ماله وتسبي نساؤه، وقد قال لي أحدهم يوماً وقت الحج: أرأيت هؤلاء الحجاج يبلغون ثلاثة ملايين ليس فيهم رجل عرف الله.

وهم يا إخوة -أعني أوائلهم- كفروا علينا بِعَذَابِهِ، لأنه قاتل ولم يغم ولم يسب، فهذا فكرهم، وهؤلاء الموجودون في داعش منهم من هو من الخوارج فهو متصرف بكل صفات الخوارج، ومنهم من فيه صفات للخوارج وكلهم خالفون للسنة مضررون بالأمة مثقلون بالأمة عن jihad المشروع مسلطون أسلحتهم على أهل السنة بحججة أنهم مرتدون وأنهم منافقون وأن قتلهم أولى من قتل اليهود والنصارى، في رمضان القريب اليهود ضربوا غزة وقتلوا المسلمين وهؤلاء في العراق والشام هل توجهوا إلى فلسطين لحماية المسلمين، لا والله، ولكن توجهوا إلى الحدود السعودية دولة التوحيد والسنة في يوم الجمعة الأول أول جمعة من رمضان في وقت صلاة الجمعة لأنهم يعلمون أن العساكر السعوديين يصلون الجمعة وفجروا سيارة فيمن كان موجوداً للحراسة ودخلوا البلد وحاولوا الإفساد لكن الله خذلهم.

إخواننا في اليمن من أهل السنة يقتلون الحوثيون الروافض، والقاعدة موجودة في اليمن بأسلحتها وعتادها لم يحركوا ولا مرة واحدة لحماية أهل السنة، بل يضحكون منهم ويفرحون فيهم أترجو الخير من أمثال هؤلاء؟! هم خالفون للعلماء ولن تعز الأمة إلا بالالتزام بر Kapoor العلماء فلا ينبغي يا إخوة أن نغتر بحلو الكلام فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال عنهم: «يحسنون الكلام ويسيئون الفعل».

الآن هم يقولون: نريد أن نقيم الخلافة نريد أن نحكم شرع الله، على جثت المسلمين على جثت أهل السنة يريدون قتال كل من خالفهم فوالله الذي لا إله إلا هو، والله الذي لا إله إلا هو، والله الذي لا إله إلا هو لا يجوز لمسلم أن يحبهم ولا يحوز مسلم أن يدعو لهم إلا بالهدایة، ولا يجوز لمسلم في أي أرض كان أن يبايعهم.

والوصية يا إخوة: احمدوا الله على ما أنتم عليه والزموا بلدانكم وأطیعوا ولاة أمركم في غير معصية الله وناصحوهم بالطرق الشرعية، وادعوا إلى التوحيد والسنة

وأنتم في خير إن شاء الله وَعَلَيْكُمْ. اهـ.



الخاتمة



وفي ختام هذا البحث فإلى كل خارجي فرح بهؤلاء الدواعش، ولكل من تأثر
بمنهجهم ومعتقداتهم، أو اغتر بأفعالهم نقول:

نهج الخوارج لم يزل مخدولاً يستعجلون الأعور الضليلًا ^(١) وصفالكم ولغيركم ودليلًا ^(٢) من هاهنا يأتي الفتنون وبيلاً ^(٣)	قل للدواعش لن تدوم طويلاً ما زال يقطع كل ما قرن بدا قد أخبر المعصوم وحيا باقياً ولقد أشار إلى العراق محذراً
--	--

(١) أي: مدتكم، أو على تقدير قل لتنظيم الدواعش لن تدوم طويلاً.

(٢) عن ابن عمر رض أن رسول الله ص قال: «ينشأن شء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع» قال ابن عمر سمعت رسول الله ص يقول: «كلما خرج قرن قطع» أكثر من عشرين مرة حتى «يخرج في عراضهم الدجال». انظر: «السلسلة الصحيحة» (٥٤٢)، فنسأل الله أن تكون من قطع على أيديهم هذا القرن من هؤلاء الضلال.

(٣) وصفاً لكم أيها الدواعش وصفاً لغيركم من الخوارج قديماً وحديثاً فلا يغتر أحد بكم ودليلًا على ضلالكم وانحرافكم أجمعين.

(٤) عن يسir بن عمرو، قال: «دخلت على سهل بن حنيف، فقلت: حدثني ما سمعت من رسول الله ص، قال في الحروبة، قال: أحدثك ما سمعت، لا أزيدك عليه، سمعت رسول الله ص: «يدرك قوماً يخرجون من هاهنا» وأشار بيده نحو العراق «يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» قلت: هل ذكر لهم علامه؟ قال: «هذا ما سمعت لا أزيدك عليه». رواه البخاري وأحمد.

وجعلتمو للكافرين سبولاً ^(١) تسلم ديار المسلمين عدواً ^(٢) نسوانهم أطفالهم وكهولاً فلغيرهم بغضًا أشدوا قيلاً أفيرتضي من في الهداة أصيلاً ^(٤)	حربتمو دار السلام وأهله ^(١) سالمتمو عباد أوثان ولم مزقتموهم شامهم وعراقهم بغضتم الدين الحنيف لأهله لم يرضكم من في الضلالة مثلكم
---	--

(١) جعل الخوارج «الدواعش وغيرهم» دار الإسلام دار حرب تباح فيه الدماء والأعراض والأموال؛ فدار الحرب هي: بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا وبينهم» كما في ناج العروس.
 ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كما في «مجموع الفتاوى» (٩١/٣٧): «الخوارج وأهل البدع... يكفرون بالذنوب والسيئات ويترب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وان دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الایمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة وجمهور المعزلة والجهمية طائفة من غالبة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرًا». انتهى، فأنتم أشبه بالرافض الذين ترعنون محاربتم! وما نراكم تحاربون إلا أهل السنة وحدهم، وسلم منكم الكفار جميعاً!

(٢) السُّبُول: جمع سبيل، وهذه السبيل التي زللاها الدواعش للكافرين كثيرة، منها اتهام الإسلام بأنه دين إرهاب وحرب وعشق للدماء، ومنها صد من أراد الدخول فيه عنه، وفتحهم لهم أبواب الحصون كي يذكرونها بصواريختهم ومدافعهم، وصدق الهمداني حيث يقول: «مبتدعة الإسلام والوضاعون للأحاديث أشد من الملحدين؛ لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من الخارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من الداخل؛ فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالمحاصررين من الخارج، فالدخلاء يفتحون الحصن؛ فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له». «الموضوعات» لابن الجوزي (١/١٥).

(٣) أي: حال كونهم عدواً لا يستحقون ذلك فلا سبيل لكم عليهم، فكفرتوكهم لتجعلوا لأنفسكم عليهم سبيلاً لعنكم الله

(٤) فلم يرض بهم وبأفعالهم إخوانهم الخوارج من تنظيم القاعدة، وجبهة النصرة، ومن يزعمون أنهم فيهم علماء كأبي محمد المقدسي وأبي قنادة الفلسطيني، وغيرهم، فكيف يرضي بهم أهل السنة الخلص السائرين على منهاج النبوة؟!

هَقِيَّةُ نَظِيمِ الدَّرَلَةِ رَاعِشَ

يا شَرَّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ^(١) أَلَا اصْبِرُوا
هَذِي جَحَافِلْ سَنَةٍ وَجَمَاعَةٍ
قَطَعَتْ قَرُونَ قَبْلَكُمْ وَسَقَطَعُوا
سَنَنُ إِلَّاهِ الْحَقِّ عَدْلٌ قَائِمٌ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَنَعْمَتْهُ تَتَمَّ الصَّالَاتُ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتي -أو: سِيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتي- قَوْمٌ يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِزُ حَلَاقِيهِمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعْوِدُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ». رواه مسلم، باب: الخوارج شرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ.

وعن أبي غالب: رأى أبو أمامة رَوْسًا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة: كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوا. قيل لأبي أمامة: أنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة حتى عد بعما حدثكموه». رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى: هذا حديث حسن» انظر «مشكاة المصابيح» (٨٠٣/٢).

(٢) قد يكون قتلاهم وقطع قرنيهم بيد الصالح كعيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أو الطالح كالحجاج ولذلك بني الفعل للمجهول في قوله: «كُلُّا خَرَجَ قَرْنَ قُطْعَ» وعلى كُلِّ فَقَدْ أمر رسول الله ﷺ بقتالهم وقتلهم قال: «إِنَّ مَنْ ضَسَرَ بِهِذَا قَوْمًا يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتَلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأُوثَانِ، يَمْرِقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ ثُمَّ أَدْرَكَتْهُمْ لَأَقْتَلُهُمْ قَتْلَ عَادَ». متفق عليه.

(٣) حججهم -أي: أهل السنة والجماعة- السلفيون بحق -تطبيع برؤوس شبّهات الخوارج وضلاليتهم، وسفتها يطّبع كذلك بهم قوة وفعلاً؛ فقوله «مسلو لا» حال، وهو قيد مراد لافادة كونه يطّبع بالفعل أيضًا لا بالفقرة فقط؛ فهو مسلول عليهم غير محمد! وهو أشد عليهم من أشد الأسلحة الفتاكـة!

وكتب

أبو سفيان عمرو سادات الكرداسي وأبو زياد محمد آل يعقوب النبوي

٨٢٤٨٠٥٨٥١١٠٢٠٠

٨٦٢٣٨٧٤١١١٠٢٠٠

الأربعاء ٢٣ ربيع أول ١٤٣٦ هـ

الموافق ١٤ يناير ٢٠١٥ م

Abozyad2210@gmail.com



فهرس المحتويات

مقدمة فضيلة الشيخ حسن بن عبد الوهاب البنا حفظه الله	٧
مقدمة فضيلة الشيخ محمد بن رمان الهاجري حفظه الله	١٤
مقدمة فضيلة الشيخ أبو الحسن علي الرملي الأردني حفظه الله	١٦
تمهيد بين يدي الكتاب بقلم: فضيلة الشيخ المفسر عادل السيد - حفظه الله -	١٨
المقدمة	٢٥
حكمنا على داعش حكم شرعى لا سياسى	٢٦
هل تكلم الله ورسوله عن داعش؟	٢٧
كل الفرق تزعم أنها تقول بالكتاب والسنة، فالحق مع من منهم؟	٢٨
حقيقة السلفية (هامش)	٢٨
محاكمة داعش ينبغي أن تكون من خلال كلام رجالها لا كلام أعدائها	٢٩
المخالفة في أصل من أصول الاعتقاد تكفي للحكم على أصحابها بالضلال	٣١
نشأة «داعش» و«جبهة النصرة» وحقيقة الخلاف بينهما	٣٣
سقوط الخلافة العثمانية هو النواة الأساسية في تكوين الجماعات	٣٣
إنشاء جماعة الإخوان لإعادة الخلافة!!	٣٤
بيان أهمية ما كتبه أبو مصعب السوري عن التيار الجهادي (هامش)	٣٤
من أركان بيعة الإخوان (ركن الفهم) وبيان المقصود به	٣٤
إنشاء التنظيم الخاص (الجيش السوري) وأثره فيما تبعه من أحداث	٣٥
لم يكن للتنظيم الخاص أي أثر إلا تصفية أعداء الجماعة (هامش)	٣٥
هل جماعة الإخوان عميلة؟! من كلام بعض قادتها (هامش)	٣٦
التحق سيد قطب بالجماعة وبيان أثره	٣٧
ما أبرزه وأظهره سيد قطب من مسائل التكفير والخروج	٣٨
متابعة أخيه محمد قطب له	٣٩
دور أبي الأعلى المودودي	٤٠

كتابات سيد قطب هي الخلايا الأولى للتنظيمات الجهادية ٤١
شكري مصطفى وسيد إمام وعبد الله عزام ٤١
إنشاء مكتب خدمات المجاهدين على يد عبدالله عزام ٤٢
عبد الله عزام هو الأب الروحي لأسماء بن لادن ٤٠
إنشاء تنظيم قاعدة الجihad (القاعدة) على يد أسماء بن لادن ٤٢
من أسباب انتشار تنظيم القاعدة في البلاد العربية ٤٣
مدرسة الأسكندرية = (حزب النور) وتأثيره بالخميني (هامش) ٤٣
إنشاء مجلس شورى المجاهدين في العراق على يد أبي مصعب الزرقاوي ٤٤
ولادة تنظيم الدولة الإسلامية في العراق على يد أبي عمر البغدادي ٤٤
بيان تبعية تنظيم الدولة لتنظيم القاعدة ٤٥
أبو محمد الجولاني وظهور جبهة النصرة ٤٦
بداية الخلاف بين تنظيم الدولة وجبهة النصرة، القاعدة ٤٧
قتل أبي خالد السوري ٤٩
إعلان الخلافة الإسلامية على يد أبي بكر البغدادي ٤٩
الخلافة الإسلامية هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق عند داعش ٥٠
لم يتوقف القتال بين داعش والنصرة رعاية للأشهر الحرم !! ٥١
عقيدة «داعش، والنصرة» ٥٣
لماذا قلنا: إن هذه العقيدة عقيدة لجبهة النصرة؟ ٥٣
مظاهر الشرك عند داعش ٥٤
تناقض داعش في عداء الشيعة ومولاة سيد قطب !! ٥٨
رؤوس المجموعة إلى التقريب بين السنة والشيعة في هذا العصر ٥٩
لماذا تحتفي الشيعة الرافضة بسيد قطب ٥٩
علاقة الخوارج بالروافض ٥٩
خروج ابن سبأ على الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه ٥٩
خروج حرقوص بن زهير على الخليفة عثمان ! ٦٠
التفصيل في مسألة السحر ٦٢
محاولة هروب داعش من الوصم بالخارجية ٦٤
الملاحة في مسألة الحكم ٦٤

هل داعش توفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا؟!! ٦٦
طعن سيد قطب في نبی الله موسى ٦٧
طعن كمال زروق خطيب داعش في رسول الله (هامش) ٦٧
طعن سيد قطب في داود وسليمان عليهما السلام ٧١
طعن سيد قطب في الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه ٧٣
تنبيه على خطأ عقدي لسيد قطب (هامش) ٧٣
طعن سيد قطب في معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنها ٧٥
حكم السلف في من يتقصص أصحاب رسول الله أو واحداً منهم ٧٧
تفصيل شيخ الإسلام في حكم ساب الصحابة ٧٩
الفرق بين كفر النوع وكفر العين ٨١
ضابط التبديل لشرع الله وحقيقةه ٨٢
ضابط المولا للكافر التي يكفر صاحبها ٨٦
عقيدة «داعش» في الجهاد وبيان بطلانها ومخالفتها لحقيقة الجهاد الشرعي ٩١
متى يكون الجهاد فرض عين؟ ٩٥
مراحل تشرع الجهاد في الإسلام ٩٧
هل نسخت آية السيف ما قبلها؟ ٩٩
متى تكون الدار دار كفر أو دار إيمان؟ ١٠٠
مراوغة أخرى للهروب من الوصم بالخارجية ١٠١
مكة دار كفر !!! عند داعش وأخواتها ١٠٢
قتال الجيوش العربية أو جب من قتال المحتل الصليبي عند داعش ١٠٦
الطعن في العلماء ١٠٧
الكلام عن الشروط العمرية على أهل الذمة ١٠٧
الإشارة إلى العهد العمرية ١٠٨
إقرار داعش بغير ما أنزل الله ١٠٩
مصطلح واجب العصر مصطلح مظلوم ١١١
ذمة المسلمين واحدة ١١٢
تناقض داعش في المعاهدات مع المحتل ١١٣
افتقار داعش بل التيار الجهادي ! إلى العلماء ١١٤

اعترافات رؤوس التيار الجهادي! بالجهل المتفشي فيهم.....	١١٥
طعن الخوارج قدّيماً وداعش حديثاً في العلماء.....	١٢٠
نظرة عامة في نشأة وعقيدة داعش والنصرة.....	١٢٤
أصل الأصول عند داعش مسألة الحكم وعودة الخلافة.....	١٢٤
أصل الخلاف بين داعش والنصرة والقاعدة ليس عقدياً.....	١٢٥
بيان كذب أبي محمد العدناني المتحدث الرسمي باسم التنظيم.....	١٢٦
النهي عن الشرك لا يكفي في بيان عقيدة التوحيد.....	١٢٧
عقيدة «داعش» عقيدة هدم لا بناء فيها.....	١٢٩
التعليق على صولة الأنصار فيما يسمى بولاية سيناء!! (هامش).....	١٣٠
البدعة: إيجام مكون من حق وباطل.....	١٣١
ما قاله أبو عمر البغدادي لا ينجيه من الوصم بالخارجية.....	١٣٢
وقفات مع الخلافة.....	١٣٣
الوقفة الأولى: حقيقة الخلافة.....	١٣٣
الفرق بين الملك والخلافة.....	١٣٤
إشكال ودفعه:.....	١٣٥
الوقفة الثانية: حقيقة الخلافة العثمانية.....	١٣٨
رسالة سعود بن عبد العزيز إلى والي بغداد.....	١٣٩
ما ورثه محمد حسان من تعظيم شرك القصور!! وتهوين شرك القبور.....	١٤١
الوقفة الثالثة: الخلافة الراشدة في آخر الزمان والمهدى.....	١٤١
تنبيه مهم جداً: بخصوص المهدى.....	١٤٧
سوء استخدام البعض لعقيدة المهدى لا ينبغي أن يحمل على إنكارها!	١٤٨
الوقفة الرابعة: أصل الأصول بين منهاج النبوة ومنهاج الخوارج	١٤٩
الرد على داعش في أن الخلافة هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق	١٥٠
الوقفة الخامسة: في مسألة الحكم والحاكمية	١٥٧
فصل: حكم من لم يحكم بما أنزل الله	١٥٩
فائدة مهمة من كلام شيخ الإسلام (هامش).....	١٦٤
تفصيل، وخلاصة في مسألة الحكم	١٦٥
نشأة الخوارج الأولى.....	١٧٢

موت الإنسان ساجدا ليس شرطاً أن يكون دليلاً على صلاحه وحسن خاتمه ..	١٧٥
من أسباب ضلال الخوارج التعمق والتنطع ..	١٧٨
ومن أسباب ضلالهم مقابلة النصوص بالأراء الفاسدة ..	١٧٨
انتشار الخوارج وجهاه خروجهم ..	١٧٩
قتل الأطفال والنساء عند الخوارج قدبياً وحديثاً ..	١٨٠
قصة علي رضي الله عنه مع الخوارج ..	١٨١
مأساة في كلام قادة داعش حول الجihad!! (هامش) ..	١٨٢
قصة مناظرة ابن عباس للخوارج ..	١٨٢
قد ورثت داعش قتل أهل الذمة من أسلافهم الخوارج ..	١٨٤
اتباع الخوارج للمتشابه ..	١٨٦
مقالات الخوارج وأصلهم الذي اجتمعوا عليه ..	١٩١
الخارجي هو من كفر بالتحكيم ولوم يكفر بغير التحكيم ..	١٩٢
ليس كل الخوارج يكفرون بالكبيرة ..	١٩٢
اتفاق أبي إسحاق الحويني مع النجدات على تكفير مصر (هامش) ..	١٩٢
العذر بالجهل عند الخوارج ..	١٩٤
موافقة داعش للحمزية والميمونية من الخوارج ..	١٩٣
موافقة داعش للأخنسية من الخوارج ..	١٩٣
موافقة داعش للإبااضية من الخوارج ..	١٩٣
اشترط إقامة الحجة عند الإبااضية ..	١٩٣
موافقة داعش للصرفية الزيدية ..	١٩٣
قصة الخوارج والخلافات والشققات بينهم ..	١٩٥
مشابهة داعش للأزارقة ..	١٩٦
من طرائف الخوارج ..	١٩٨
الصفات التي تجمع الخوارج قدبياً وحديثاً مما مر من الأحاديث ..	٢٠٢
أولاً: الجهل ..	٢٠٢
فائدة: الجهاد في سبيل الله مقرن بالعلم ..	٢٠٢
عدم رضاهم بالسنة ..	٢٠٣
قتالهم الصحابة ..	٢٠٥

خوارج العصر والطعن في الصحابة ٢٠٥
قتال الصحابة لخوارج على تأويل القرآن ٢٠٦
العلاقة بين خصف علی النعل، وبين قتال الخوارج ٢٠٦
ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين ٢٠٧
يحسّبون القرآن لهم وهو عليهم ٢١٢
أحداث الأسنان ٢١٢
سفهاء الأحلام ٢١٣
شهادة أبي قتادة الفلسطيني على جهلهم ٢١٥
ضعف فقههم في الدين ٢١٦
معنى لا يجاوز حناجرهم ٢١٦
شهادة أخرى لأبي قتادة الفلسطيني عليهم ٢١٧
لا يوجد فيهم علماء ٢١٨
العلماء هم البدور التي يضيء الله بها الطريق لعباده ٢١٨
يقابلون النصوص بآرائهم ٢١٩
يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه ٢١٩
يسفكون الدم الحرام ٢٢٠
من طرائف جهلهم ٢٢٠
ثانياً: لبس الحق بالباطل ٢٢٢
يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء ٢٢٢
يقولون من قول خير البرية ٢٢٢
ينطلقون إلى آيات نزلت في الكافرين فيجعلونها في المؤمنين ٢٢٣
يتبعون المتشابه من القرآن ٢٢٣
لماذا «داعش» من الخوارج؟ ٢٢٥
كل أهل البدع خوارج ٢٢٥
داعش خوارج ولو لم يحملوا السلاح أصلاً ٢٢٨
أولاً: اعتقادهم أصل الأصول عند الخوارج وهو التكفير بمسألة الحكم ٢٢٩
ثانياً: لا يحكمون بما أنزل الله ٢٢٩
من أعظم الضلال حصر (ما أنزل الله) في الحدود أو غيرها فقط ٢٢٩

ثالثا: خروجهم من المشرق.....	٢٢٩
رابعا: الانزال عن المجتمعات المسلمة بعد تكfirها	٢٣٠
خامسا: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.....	٢٣٠
سادسا: اتباع المتشابه من القرآن.....	٢٣٠
سابعا: كثرة الاختلافات والانشقاقات.....	٢٣١
ثامنا: اتخاذهم الشعارات البراقة يخدعون بها الناس	٢٣١
تاسعا: حداثة سنهم وقلة علمهم:.....	٢٣١
عاشرًا: يسفكون الدم الحرام	٢٣١
الحادي عشر: زعمهم أن ديارهم وحدهم هي دار الإيمان	٢٣٢
ماذا ينبغي على معرفة كون داعش من الخارج	٢٣٣
أولاً: أنهم أهل بدعة وفرقة	٢٣٣
ثانياً: وجوب توبتهم.....	٢٣٣
ثالثاً: أنهم أخطر وأضر على المسلمين من اليهود والنصارى.....	٢٣٤
رابعاً: وجوب التحذير منهم وبطلان شبهة (إضعاف المجاهدين)	٢٣٦
خامساً: بطلان دعوى وجوب إعانتهم ونصرتهم	٢٣٦
سادساً: عدم الاغترار بما يظرونه من صلاح وعبادة	٢٣٧
سابعاً: أنهم قرن مقطوع عاجلاً أو آجلاً بإذن الله جل وعلا	٢٣٧
ماذا يجب علينا تجاه الخوارج؟	٢٣٩
وجوب التعاون بين الدعاة في محاربة الخوارج.....	٢٤٠
وجوب التعاون بين الدول الإسلامية على الإصلاح	٢٤٠
من صور هذا الإصلاح	٢٣٩
الوقاية من فكر الخوارج والداعش	٢٤١
أولاً: المسؤولية الفردية	٢٤١
١- العلم والتعلم	٢٤٢
٢- التمسك بالجماعة والبعد عن الحزبية	٢٤٢
٣- لزوم العلانية واجتناب السرية	٢٤٣
٤- الحذر والتحذير من دعوة التكفير والتفجير	٢٤٣
٥- التجدد للحق وعدم الاغترار بزخارف الباطل.....	٢٤٤

ثانياً: المسؤولية الأسرية ٢٤٨
خطأ كثير من ولاة الأمور وربات المنازل ٢٤٩
ثالثاً: المسؤولية المجتمعية ٢٤٩
١-الإرشاد الديني ٢٤٩
٢-الإعلام ٢٥٠
هؤلاء يساندون التكفيريين لفضيلة الشيخ رسلان حفظه الله ٢٥١
٣-الجيش ٢٥٥
فتاوی العلماء في تنظيم الدولة داعش ٢٥٧
فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ٢٥٧
الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله ٢٥٧
الشيخ صالح الفوزان حفظه الله ٢٥٨
الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله ٢٦٠
الشيخ صالح السعديمي حفظه الله ٢٦٥
الشيخ عييد الجابري حفظه الله ٢٦٨
الشيخ عبد الرحمن محي الدين حفظه الله ٢٦٨
الشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله ٢٦٩
الخاتمة ٢٧٢
فهرس المحتويات ٢٧٦

